دِيوَانُ

ابْنِ خَفَاجَة

شرحه وضبط نصوصه وقدّم له

الدكتور عمر فاروق الطبّاع

دِيوَانُ

ابْنِ خَفَاجَة

دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع
هاتف : ٨٣٤٩٧٣/٤ - ٦٠٣٠١٣ - ص.ب : ٣٨٧٤ ٠
فاكس : ٦٠٣٠١٣ كود : ٠٠٩٦١١

ابن خفاجة

بقلم: الدكتور عمر الطبّاع

بعد ربع قرن من نهاية العهد الأموي في الأندلس [(١٣٨ ـ ٤٢٢ هـ) = (٧٥٠ ـ ١٠٣٠ م)]، قام عهد جديد، هو ثالث عهود الحكم العربي في أسبانيا الإسلامية عرف بعهد ملوك الطوائف، الذي امتدّ نحواً من خمسة قرون [(٤٠٣ ـ ٨٩٧ هـ) = (١٠١٢ ـ ١٤٩٣ م)]، زال في نهايتها نفوذ العرب السياسي في هاتيك الربوع، لتظلّ مشرقة فيها أضواء شموسهم الفكرية والأدبيّة.

في هذا العهد من عهود الأندلس المعروف أيضاً بعهد الإمارات أو الدويلات ولد ابن خفاجة، أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله. وكانت ولادته سنة ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م)، في جزيرة شَقْر[(١)]، الواقعة شرقي البلاد. وشَقْر في الحقيقة بلدة ساحلية بين شاطبة وبَلَنْسية، أطلق عليها الجغرافيون اسم الجزيرة، على نحو ما فعلوا بالقياس إلى شبه جزيرة أيبيريا حين أطلقوا عليها اسم الجزيرة لإحاطة الماء بها من أكثر جهاتها.

●

وإذا كان لموطن الولادة والنشأة تأثير في تكوين الشخصية، ولا سيما الجانب الذهني منها، فليس لنا أن ننكر أثر «شَقْر» مسقط رأس ابن خفاجة في نزعته الأدبية وخياله الشعري بخاصة، فقد كانت كما وصفها ياقوت «أنزه بلاد الله وأكثرها روضة وشجراً وماء»، ذكرها ابن عائشة الأندلسي فقال:

ألا خَلِّيـاني والصِّبا والقوافيا أُرَدِّدُها شَجْواً فأجْهَشُ باكيا
وقد بان حلوُ العيشِ إلا تَعِلَّةً يُحدّثني عنها الأمانيّ خاليا

فيا بردَ ذاكَ الماءِ هل منكَ قطرةٌ فها أنا أستَسْقي غمامك صاديا
وهيهات حالت دون شَقْر وعهدها ليالٍ وأيامٌ تنحال لياليا
فيا راكبا مستعمل الخطْو قاصداً ألا عُجْ بشَقْر رائحاً ومُغاديا
وقِفْ حيث سال النَّهرُ ينسابُ أرقما وهبّ نسيمُ الإيكِ ينفث راقيا

وإذا كانت شَقْر قد نفحت ابن خفاجة بنفحات الإلهام الفنيّ الأولية، فبلنسية بشطآنها وخمائلها وأنهارها وما ينبت في كورها من الزعفران، كانت أبعد أثراً في وثبات خياله، كيف لا وهي إحدى مسارح نشأته وصباه، ومجلى ناظريه، ولطالما سعى إلى رياضها ولاذ بظلالها فرأى فيها بروداً موشّاة من الحسن والبهاء حرّكت في ذاته مكامن السحر والفتنة، وهي المكامن التي ألهمت أبا العباس أحمد بن الزقاق قوله:

كأنّ بلنسية كاعبٌ وملبسها السُندس الأخْضرُ
إذا جئتها سَتَرَتْ وجْهَها بأكمامها، فهي لا تظْهَرُ

أو قوله:

بلنسية جنةٌ عاليَةْ ظِلال القُطُوف بها دانيَةْ
عيون الرحيق مع السلسبيـ ـلِ، وعين الحياة بها جارية

هذه الملامس من الجمال في طبيعة أرض النشأة الأولى التي انتشى بها ابن خفاجة، تستطيع أن تطالع سطورها وصفحاتها في شعره الوصفي، وهو أوسع فصول سفره الشعري وأبوابه، ومن هذه الخيوط ومن ريّا تلك الخطرات، تحوّل وجدان ابن خفاجة إلى ميدان أكثر عمقاً وانفساحاً حين تغنّى بالأندلس فقال:

إنَّ لِلْجَنَّةِ بالأَنْدَلُس مُجْتَلى حُسْنٍ وريّا نَفَسِ
فسنا صُبْحَتِها من شَنَبٍ ودجى لَيْلَتِها من لَعَسِ
وإذا ما هبّت الريحُ صباً صِحْتُ واشوقي إلى الأندلسِ

●

عاصر ابن خفاجة الدولة العامرية في بلنسية وكانت في إبّان ازدهارها عند ولادته (٤٥٠ هـ ـ ١٠٥٨ م) ورافقها أربعة عقود قبل زوالها سنة ٤٧٨ هـ (١٠٨٥ م)

لكنه لم يتصل بملوكها، ولا بملوك الطوائف في مدن الأندلس وحواضرها الشهيرة كمثل غرناطة وقرطبة وإشبيلية، لا لخمول في الشاعرية أو انعدام الشهرة بل لمزاج رومنسي غلب عليه وشدّه إلى أرجاء الطبيعة التي هام بها هيام عاشق متيّم، كان يصبو إلى لوحاتها في وداعة الربيع، كما يصبو إليها في مجامر صيفها وصقيع شتائها. لكنّ هذا الشغف البالغ بهياكل الجمال المشرئبة في جنبات الأندلس، والتي كان يراها في الأنجاد والوهاد، وفي الجداول والأنهار، وفي المروج السندسية والقمم الخاشعة الذاهبة في أجواء الفضاء... كل هذا لم يحل بينه وبين روابط الودّ والإخاء مع العديد من قادة البلاد وأمرائها الذين نالوا غير قليل من مدائحه ومراثيه الصادقة، ومن هؤلاء الأمير أبي إسحاق حين تقلّد كورة إشبيلية، والوزير محمد بن عبد الله بن ربيعة، وأبي الحسن بن الربيع صاحب قرطبة والوزير أبي محمد طاهر بن عامر.

هذا الجنوح إلى الأجواء الحالمة، وانجذاب فؤاد الشاعر إلى عوالم المرأة والطبيعة ومجالس المدام، هما التعليلان اللذان نفسّر بهما اعتبار ابن خفاجة في عداد الطبقة الثانية من شعراء الأندلس بعد ابن زيدون بخاصة. لقد تأثر المؤرخون الأندلسيون بالاعتبارات ذاتها التي سادت عمل المؤرخين المشارقة حين انطلقوا في تحديد مراتب الشعراء من منطلقات سياسية لا أدبية ولا فنية فاتخذوا سيرة الشاعر في البلاط وقدرته على نيل الحظوة عند السلاطين والملوك المعيار الأعلى للشاعرية، وعلى هذا الأساس قدّموا البحتري على ابن الرومي، كما قدّموا في الأندلس ابن زيدون على ابن خفاجة. وعندما تحرّر النقد حديثاً من تلك التبعيّة للبلاط، رأينا ابن الرومي يتربّع على عرش الشاعريّة الفذّة، فكان السبب ـ الذي حال دون تألّق نجمه في عصره ـ هو عينه الذي أعاد إليه الاعتبار في عصرنا. وقل مثل ذلك في ابن خفاجة.

●

في الاعتبارات المتقدّمة نرى ابن خفاجة المدّاح والرّاثي أقل وزناً وشأناً من ابن خفاجة الوصّاف والغَزِل، ووصفه متعدّد الألوان والايقاعات، وغزله رقيق صادق المشاعر والأحاسيس ولا سيّما حين يعانق دنيا المرأة من خلال عالم الطبيعة أو يصف الطبيعة في ضوء مفاتن المرأة، دون أن يغفل ما تمده به نشوة الخمرة من الصور واللمحات العاطفية التي تشهد له برهافة الحس والذوق الرفيع، كمثل قوله:

ألــمّ يسقّينـــي ســـلافَـــةَ ريقِــهِ وطَـــوْراً يحيينـــيَ بـــآس عـــذار
فنلـــتُ مـــراد النَّفـــس مـــن أقحـــوانـــةٍ شممـــت عليهـــا نفحـــةً لعـــرارِ
ووجـه تخـالُ الخـالَ فـي صحـن خـدّه فتـــاتَـــةُ مِسْـــكٍ فـــوق جـــذوةِ نـــارِ

●

في ديوان ابن خفاجة قيثارة متعددة الأوتار، متعددة الأصباغ والألوان، تلتقي في مقطوعاتها لا سيما الوصفية الخاطفة الأخيلة الحلوة والفكر البديعة، وتتمايس صورها بأفواف من اللفظ الجامع بين الرصانة والطرافة، فإذا نحن مع معطيات من الأصالة والإبداع، ففي جانب حبك شعري متين يجعل القصيدة بنية محكمة وطيدة العمد، ومن ناحية وشي يضفي على هذا البناء نمنمة حلوة تداعب منّا الحواس وتدغدغ مشاعرنا وتستهوي منا الأذهان والمدارك.

●

إننا إذ نضع بين أيدي القرّاء هذه الطبعة الجديدة من ديوان ابن خفاجة ـ في إطار منهجيتنا التي حافظنا على أسسها في إصدار دواوين المشاهير من شعراء العرب، ومن أهمها دقة الضبط وعدم الاجتزاء في الشروح ـ ندعو هؤلاء القرّاء إلى ولوج آفاق ابن خفاجة الوصفية المشبعة بالروح الرومنسية، البعيدة عن حذلقات الصنعة والزخرفة الشكلية المتكلّفة، لأنها مغرقة في رياض الحسن، حيث الأيك والطير والجدول الثرثار، والبان قدود والأغصان قامات هيفاء، وكمائم الزهر قسمات حلوة ومفاتن غيد رافلات بالصبا مضمّخات بالطيوب.

٦ آب ١٩٩٤ م
٢ جمادى الأولى
١٤١٥هـ.

قافية الألف

(١)
خُذْها إِلَيْكَ

أهدى ممدوحه مقطوعة من شعره وافتنّ في وصف محاسنها

خُــذْهــا إِلَيــكَ، وإنَّهــا لَنضِيــرةٌ، طَــرأَتْ عليــك قليلــةَ النُّظَــراءِ[1]
حَملَت، وحسبُكَ بَهجةٌ من نَفحةٍ، عَبَقَ العَروسِ وخجلةَ العَذراءِ[2]
مِن كلِّ وارسةِ القميصِ، كأنَّما نَشأت تُعَلُّ بريقةِ الصَّفراءِ[3]
نجَمت تروقُ بها نجومٌ، حسبها، بالأيكةِ الخضراءِ، من خَضراءِ
وأتَتكَ تُسفِرُ عن وجوهٍ طَلْقةٍ، وتنوبُ من لُطفٍ عن السُّفَراءِ[4]
يَندى بها وجهُ النَّديِّ، وربَّما بسَطَت، هناكَ، أسِرَّةَ السَّرّاءِ[5]
فاستضحكَت، وجهَ الدُّجى، مقطوعةٌ جَمُلَت جمالَ الغُرَّةِ الغَرّاءِ[6]

---

(١) نضيرة: من النضارة وهي الحسن والجمال ـ قليلة النظراء: نادرة المثال.
(٢) عبق العروس: رائحتها ـ خجلة العذراء: حياؤها وخفرها.
(٣) الوارس من الثياب: الأحمر ـ علّ: شرب ثانية ـ الصفراء: الخمرة.
(٤) تسفر: تكشف ـ الوجوه الطلقة: الضاحكة.
(٥) الأسرّة: المضاجع، جمع سرير، والأسرة أيضاً: الخطوط التي يرسمها الجبين، جمع سرار ـ السّرّاء: السرور، نقيض الضّرّاء.
(٦) الدّجى: ظلام الليل ـ الغرّة: شعر مقدّمة الرأس ـ الغرّاء: البيضاء.

(٢)
أَبرَقَ بهجةً

قال ابن خفاجه يصف خاتماً بديع الحسن

ومُـرَقـرَقِ الإفـرِنـدِ أَبْرَقَ بَهجـةً، ودَجا، فأطلعَ، في الظلامِ، ضياءَ[(١)]
كسَفَـت بـه، للشَّمـس، حسنـاً، آيـةٌ تَستـوقِـفُ الـرَّائـي لهـا، حِـربـاءَ[(٢)]
وتختَّمَـت، مـن فَصِّـه بغَمـامـةٍ، كَـفٌّ تكـونُ علـى السَّمـاحِ سمـاءَ[(٣)]
قـد صِيـغَ صِيغَـةَ حِكمـةٍ، أصبَـى لهـا نفـسَ الحكيـمِ، وضـاجـعَ العَـذراءَ
مـا إن تَـرِفُّ لهـا بنَفسَجـةٌ بـه، حتـى تَـرِقَّ لهـا، فتجـري مـاءَ[(٤)]
وكـأنَّمـا نظَـرت بـه، يـومَ النَّـوى، عـن مُقلـةٍ، بَهِتَـت لهـا، كحـلاءَ[(٥)]

(٣)
طَيْفٌ آلَمٌ

قال يصف الليل والدّراري وطيف الحبيب الزائر.

ورِداءِ ليـلٍ بـاتَ، فيـه مُعـانقـي، طَيـفٌ أَلـمَّ لِظَبيـةِ الـوَعْسـاءِ[(٦)]
فجَمَعـتُ بيـنَ رُضـابِـه وشَـرابِـه، وشـربـتُ مـن رِيـقٍ ومـن صَهبـاءِ[(٧)]

---

(١) **المرقرق**: المتلألىء اسم مفعول من رقرق أي تلألأ، وترقرق الماء: جرى رقراقاً أي هادئاً غير مندفع.
(٢) **تستوقف**: تحمله على الوقوف، والعبارة كناية عن الإثارة والاستهواء - **الحرباء**: ضرب من الزحافات تتلوّن في الشمس.
(٣) **الفصّ**: أصل الأمر جمع فصوص، **والفص**: السن من الثوم، والفصّ أيضاً: قلب الخاتم وما يركب في الخاتم من حجارة ثمينة، والجمع فُصوص وفِصاص.
(٤) **البنفسجة**: استعارة للفص الذي هو بلون البنفسج أي قلب الخاتم - **يقول**: إن الكفّ التي تزينت بهذا الخاتم تجري ماء أي سخاء وكرما.
(٥) **النّوى**: البعد والفراق - **المقلة**: العين - **الكحلاء**: العين الشديدة السّواد.
(٦) **رداء الليل**: ظلامه الحالك - **الوعساء**: الأرض المرتفعة الليّنة، **وقوله**: ظبية يريد المحبوبة الشبيهة بالظبية.
(٧) **الرضاب**: الريق، أي ريق المحبوبة التي زاره طيفها - **الصهباء**: الخمرة، والمراد رضابه=

ولثَمْتُ، في ظَلماءِ لَيلةِ وَفْرةٍ، شَفَقاً، هناك، لوجنةٍ حَمراءِ[1]
والليلُ مُشمَطُّ الذَّوائبِ، كَبرةً، خَرِفٌ يَدبُّ على عَصا الجَوزاءِ[2]
ثم انثنى، والسُّكرُ يسحَبُ فَرعَه، ويَجُرُّ، من طرَبٍ، فُضولَ رِداءِ[3]
تَندى بِفيهِ أقحُوانةُ أجرعٍ، قد غازَلَتها الشمسُ غِبَّ سَماءِ[4]
وتميسُ، في أثوابِه، رَيحانةٌ، كرَعَت على ظَمإٍ بجَدولِ ماءِ[5]
نفَّاحةُ الأنفاسِ، إلاَّ أنَّها، حذَرَ النَّوى، خفَّاقةُ الأفياءِ[6]
فلَوَيتُ مَعطِفَها اعتناقاً، حَسبُها فيه، بقَطرِ الدّمعِ، من أنْواءِ[7]
والفَجرُ يَنظُرُ، من وراءِ غمامةٍ، عن مُقلةٍ كُحِلَت بها زَرقاءِ[8]
فرغِبتُ عن نُورِ الصَّباحِ لنَوْرةٍ، أُغرى لها ببَنَفْسَجِ الظَّلماءِ[9]

= المحبوبة الذي يثير نشوته فكأنه يذوق مُداماً وريقاً.

(١) اللثم: التقبيل ـ الوفرة: صفة الليلة الظلماء، أي الشديدة الحلكة ـ الشفق: بقايا احمرار الشمس في الأفق بعد المغيب ـ الوجنة: الخد المشبّه لحمرته بالشفق.

(٢) الذّوائب: جمع ذؤابة، ضفيرة الشعر، شبه سدول الظلام بضفائر الشعر الأسود، والليل المشمّط الذّوائب: الذي يخالط سواده بياض ـ يدبّ: يمشي كالطفل على يديه ورجليه ـ الجوزاء: من أبراج السماء، وعصا الجوزاء من كواكب هذا البرج.

(٣) انثنى: مال، وتعطف بقامته ـ الفرع: الشعر ـ فضول الرداء: ذيوله.

(٤) الأقحوانة: واحدة نبتة الأقحوان وهي من رياحين الربيع: زهرها أكمامه كالأسنان ـ الأجرع: الأرض الرملية ـ غازلتها: داعبتها ـ غب سماء: أي بعد هطول المطر.

(٥) تميس: تتمايل ـ الريحانة: النبتة الفوّاحة ـ الظمأ: العطش ـ كرعت بجدول ماء: كناية عن الاخضلال بقطرات النّدى.

(٦) نفّاحة (فعّالة): شديدة النفح، أي ترسل رائحتها الفائحة قويّة ـ النّوى: البعد ـ الأفياء: جمع فيء: الظلّ، والفيء أصلاً ما كان شمساً فينسخه الظلّ أي يزيله.

(٧) لويت: ثنيت ـ الأنواء: الأمطار، جمع نوء.

(٨) المقلة: العين.

(٩) رغب عن الشيء: تركه، ورغب فيه: أراده ـ النّورة: الزهرة البيضاءة ـ بنفسج الظلماء: استعارة.

(٤)
مُفْتَرَّة عن لُؤْلُؤٍ

ابن خفاجة يصف مجلس لهو في أحضان الرياض

ومَجَـرِّ ذَيـلِ غَمـامـةٍ قـد نمَّقَـت، وَشْـيَ الـربيـعِ بـه، يـدُ الأنـواءِ[١]
ألقيـتُ أرحُلَنـا، هنـاك، بقُبّـةٍ مضـروبـةٍ مـن سَـرحـةٍ غنَّـاءِ[٢]
وقَسمـتُ طَـرفَ العَيـنِ بيـن رَبـاوةٍ مُخضـرَّةٍ، وقَـرارةٍ زَرقـاءِ[٣]
وشـرِبتُهـا عَـذراءَ، تحسِـبُ أنَّهـا مَعصـورةٌ مـن وجنتَـيْ عَـذراءِ[٤]
حمـراءُ صـافيـةٌ، تطِيـبُ بنفسِهـا وغِنـائِهـا وخـلائـقِ النُّـدمـاءِ
خُـذهـا، كمـا طَلَعـت عليـك عَـرارةٌ، مُفتـرَّةٌ عـن لـؤلـؤِ الأنـداءِ[٥]

(٥)
لِلَّهِ نَهْرٌ

يصف نهراً ينساب في البطحاء محفوفاً بأبراد من فتنة الأرض والأغصان.

لله نهـرٌ، سـالَ فـي بطحـاءِ، أَشهـى وُروداً مـن لمَـى الحَسنـاءِ[٦]
متعطِّـفٌ مثـلَ السِّـوارِ، كـأنّـه، والـزَّهـرُ يَكنُفُـه، مَجَـرُّ سَمـاءِ[٧]

---

(١) الغمامة: السحابة ـ نمقت: نقشت وزّينت والتنميق: تزيين الشيء لتحسينه ـ وشي الربيع: كناية عن رياحينه وأزهاره المختلفة الألوان ـ الأنواء: الأمطار.
(٢) ألقى رحله في المكان: حلّ به ـ القبّة المضروبة: جمع قباب، وهي أصلاً الخيام العالية الخاصّة بكبار القوم ـ السّرحة: الشجرة العالية ـ الغناء: الشجرة الكثيفة الأفنان.
(٣) الرباوة: الربوة، المرتفع، قرارة المكان: أرضه، وقرارة الوادي: أسفله.
(٤) العذراء (هنا): الخمرة الخالصة ـ وجنتي مثنى وجنة: الخدّ، والعذراء: الفتاة البكر، وقد جانس الشاعر بين اللفظتين وكل واحدة ذات دلالة خاصة، وهذا الجناس تام.
(٥) العرارة: هي نبتة البهار الطيبة الرائحة.
(٦) البطحاء: مسيل الماء الواسع جمع بطائح ـ لمى الحسناء: كناية عن سمرة شفتيها.
(٧) متعطف: أي يجري متثنيا وينساب متعرّجاً كالسّوار ـ يكنفه: يحيط به ـ مجرّ: أي مجـرّة، وهي مجموعة من النجوم.

قد رَقَّ، حتى ظُنَّ قُرصاً مُفرَغاً   من فِضَّةٍ، في بُردةٍ خَضراءِ[1]
وغدَت تحُفُّ به الغصونُ، كأنَّها   هُدبٌ يحُفُّ بمُقلةٍ زرقاءِ[2]
ولطالما عاطيتُ فيه مُدامةً   صفراءَ، تخضِبُ أيديَ النُّدَماءِ
والريحُ تعبَثُ بالغصونِ، وقد جرى   ذَهَبُ الأصيلِ على لُجَينِ الماءِ[3]

(٦)

مِنْ جيادِ الماءِ

ألا يا حَبَّذا ضَحِكُ الحُمَيَّا   بحانِتِها، وقد عَبَسَ المساءُ[4]
وأدهَمَ، من جِيادِ الماءِ، مُهرٍ   تَنازَعُ، جُلَّه، رِيحٌ رَخاءُ[5]
إذا بدتِ الكواكبُ فيه غَرقى،   رأيتَ الأرضَ تحسُدُها السَّماءُ[6]

(٧)

أسود وبيضاء

وأسودٍ عنَّ لنا، سابحٍ   في لُجَّةٍ، تَطفَحُ، بيضاءِ[7]
وإنما جال بها ناظرٌ   في مُقلةٍ، تنظُرُ، زَرقاءِ[8]

---

(١) البردة: الثوب.
(٢) المدامة: الخمر ـ تخضب: تصبغ، تلّون ـ النّدماء: جمع نديم، الجليس المشارك في الشّرب.
(٣) الأصيل: الوقت بعد العصر وقبل المغيب وقوله: ذهب الأصيل: أي شعاع الشمس الذهبي اللجين: الفضة.
(٤) الحميّا: أول الغضب وشدّته، والمراد هنا حميّا الخمر أي سورتها ـ الحانة: الحان أي موضع بيع الخمر، واللفظة من الحين أي الهلاك أي مهلكة لصحة المرء وماله.
(٥) الأدهم (أصلاً): الجواد الأسود اللون، وهنا الليل الأسود الشديد الظلمة ـ الريح الرخاء: الرّيح اللينة.
(٦) يقول: إذا غرقت كواكب الليل في ظلامه باتت السماء المظلمة تحسد الأرض على نجومها أي ما ينبته المطر من الأزهار.
(٧) عنّ لنا: ظهر وبرز ـ اللّجة: معظم الماء ـ بيضاءِ: نعت أي لّجةٍ بيضاء.
(٨) المقلة: العين ـ زرقاء: نعت، أي مقلة زرقاء.

(٨)
طَوْدُ عَدَالةٍ

قالها مادحاً قاضي القضاة:

يــا نَشــرَ عَــرفِ الــروضــةِ الغَنَّــاءِ؛ ونسيــمَ ظِــلِّ الســرحــةِ العَينــاءِ[١]
هــذا يَهُــبُّ مــعَ الأصيــلِ عــن الــرُّبــى أَرَجــاً، وذلــك عــن غــديــرِ المــاءِ
عُــوجــا على قــاضِــي القُضــاةِ، غُــدَيَّــةً، فــي وَشْــيِ زَهْــرٍ، أو حِلــى أَنــداءِ[٢]
وتَحمَّــلا عنّــي إليــه أَمــانــةً، مــن عِلــقِ صِــدقٍ، أو رِداءِ ثَنــاءِ[٣]
فــإذا رَمــى بكمــا الصبــاحُ ديــارَه، فتَــردَّدا فــي ســاحــةِ العليــاءِ
فــي حيــثُ جَــرَّ المجــدُ فَضــلَ إزارِه، ومَشــى الهُــويْنــا مِشيــةَ الخُيَــلاءِ
وسَــرى، فجلَّــى ليــلَ كــلِّ مُلِمَّــةٍ، قمــرُ العَــلاءِ وأَنجــمُ الآراءِ[٤]
مــن مَنــزلٍ قــد شــبَّ، مِــن نــارِ القِــرى، مــا شــابَ عنــه مَفــرِقُ الظَّلمــاءِ
لــو شِئــتُ طُلــتُ بــه الثُّــريَّــا قــاعــداً، ونَثَــرتُ عِقــدَ كــواكــبِ الجَــوزاءِ
ولثمــتُ ظَهــرَ يــدٍ تَنــدَّى حــرّةً، فكــأنَّنــي قَبَّلــتُ وجــهَ سَمــاءِ
ومــلأتُ، بيــنَ جَبينــه ويمينِــه، جَفنــيَّ بــالأنــوارِ والأنــواءِ
مُتهــاديــاً مــا بيــنَ أَبطَــحِ شِيمــةٍ دمُثَــت، وهَضبــةِ عِــزّةٍ قَعســاءِ[٥]
كلفــاً، هنــاكَ، بغُــرّةٍ مَيمــونــةٍ، خُلِقَــت أَســرَّتُهــا مــن السَّــرَّاءِ[٦]

(١) العَرف: الرائحة بعامّة والرائحة الطيبة بخاصّة ـ السرحة: الشجرة الطويلة لا شوك فيها ـ السرحة العيناء: الخضراء، المورقة.

(٢) عوجا: الأمر من عاج (على المكان): مال وعطف ـ غديّة: أي غدوة، باكراً ـ الحلى: جمع الحلية: ما يزيّن به ـ الأنداء: جمع ندى، والمراد هنا الجود والفضل.

(٣) العِلق: النفيس، جمع أعلاق ـ رداء الثناء: استعارة لحسن الأحدوثة.

(٤) جلّى الليل: كشف ظلمته وبدّدها ـ الملمّة: النازلة، المصيبة ـ يقول: إن ممدوحه يكشف بنور مجده وضياء عقله ورأيه ظلمة الليالي والشدائد.

(٥) الشيمة: الخلق والطبيعة ـ القعساء: المنيعة.

(٦) كلفاً: شغوفاً ـ الغرّة الميمونة: يريد الطلعة المباركة ـ السّراء: خلاف الضرّاء، المسرة ورغد العيش.

لـو كنـتَ تُبصِـرُنـي، أدُورُ إزاءَهـا، لنَظـرتَ مـن شَمـسٍ ومـن حَـربـاءِ
أرسـى بـه، فـي اللّـهِ، طـودُ سكينـةٍ وعـدالـةٍ، وامتـدَّ حبـلُ رَجـاءِ[1]
خَلَـعَ القضـاءُ عليـه خِلعـةَ سُـؤدَدٍ، غَنِيَـت بِشُهـرَتِهـا عـن الأسمـاءِ
عَبِـقَ الثَّنـاءُ نَـدى الحيـا، فكـأنَّـه رَيحـانـةٌ مطلـولـةُ الأفيـاءِ[2]
أبـداً لـهُ، فـي الله، وجـهُ بشـاشـةٍ، ووراءَ سِتـرِ الغَيـبِ، عيـنُ ذَكـاءِ
قـد راقَ، بيـن فَصـاحـةٍ وصبـاحـةٍ، سَمْـعُ المُصيـخِ لـه، وعيـنُ الـرائـي
وكـأنَّـه، مِـن عـزمـةٍ فـي رَحمـةٍ، مُتـركِّـبٌ مـن جُـذوةٍ فـي مـاءِ
بيـن الطَّـلاقـةِ والمَضـاءِ، كـأنَّـه وَقّـادُ نَصـلِ الصَّعـدةِ السَّمْـراءِ
لـو شـاءَ نَسْـخَ الليـلِ صُبحـاً لانْتَحـى، فمَحـا سَـوادَ اللَّيلـةِ اللَّيـلاءِ
تُثنـي بـه ريـحُ المَكـارمِ خُـوطَـةً، فـي حيـثُ تَسجَـعُ ألسُـنُ الشُّعَـراءِ
وكـأنَّـه، وكـأنَّ رَجـعَ نشيـدهِ، فصـلُ الـرَّبيـعِ ورنَّـةُ المُكّـاءِ[3]

(٩)
قُلْ لِلمريضِ

أَلا قُـلْ لِلمَـريـضِ القَلـبِ مَهـلاً، فـإنَّ السَّيـفَ قـد ضَمِـنَ الشِّفَـاءَ
ولَـمْ أَرَ، كـالنِّفـاقِ، شَكـاةَ غِـرٍّ، ولا كَـدَمِ الـوَريـدِ لـه دَواءَ[4]
وقـد دمَّـى النَّجيـعُ، هنـاكَ، أرضـاً، وقـد شَمَـلَ العَجـاجُ بـه سَمـاءَ[5]
ودِيـسَ بـهِ، انحطـاطـاً، بَطـنُ وادٍ، مُـذ أَعْشَـبَ شَعـرُ لِحيَتِـهِ ضَـراءَ[6]

---

(١) الطود: الجبل الراسخ.
(٢) عبق: فاح وانتشر ـ الأفياء: الظلال، جمع فيء، وقوله مطلولة: أي ندية من الطلّ وهو النّدى، والطل أيضاً الحَسَن والمعجب.
(٣) رجع الشيء: صداه ـ الرنّة: المرّة من رنّ رنيناً: رفع صوته بالبكاء، صاح ـ المكاء: طائر من القنابر يصعّد في الجوّ، جمع مَكاكيّ.
(٤) الشكاة: العيب ـ الغرّ: الشابّ الذي لا خبرة له.
(٥) النجيع: الدم ـ العجاج: الغبار.
(٦) ديس: المجهول من داس أي وطىء ـ الضراء (هنا): الشجر الملتفّ، والضراء أيضاً: =

(١٠)
يا ضَاحِكاً

يـــا ضـــاحِكـــاً مــلءَ فيــه جَهــلاً، أحســـنُ مـــن ضَحْكِـــكَ البُكـــاءْ
وَهَنْـــتَ حِسّـــاً، وهُنـــتَ نَفْســـاً، فـــــلا ذَكـــــاءَ، ولا زَكـــــاءْ[١]

(١١)
لا تَذْكو نارُه

نَبِّـه وَلِيـدَكَ، مــن صِبـاه، بـزَجْـرةٍ، فلــربَّمــا أَغفــى، هنــاك، ذَكــاؤهُ[٢]
وانَهــرْهُ حتــى تستهِــلَّ دُمــوعُــه فــي وَجنَتَيــهِ، وتَلتظِـي أحشــاؤهُ[٣]
فــالسيـفُ لا تَـذكـو، بكفِّـكَ، نـارُه، حتـــى يسِيـــلَ بصَفحَتَيـــه مـــاؤهُ[٤]

(١٢)
كَفَى اكتِئاباً

قال ابن خفاجة هذه القصيدة يرثي الوزير أبا محمد عبد الله بن ربيعة:

فـــي كـــلِّ نـــادٍ منـــكَ رَوضُ ثَنـــاءِ، وبِكُـــلِّ خَـــدٍّ فيـــك جَـــدوَلُ مـــاءِ
ولِكـلِّ شَخـصٍ هِـزَّةُ الغُصـنِ النَّـدِي، غِـــبَّ البُكـــاءِ، ورنَّـــةُ المُكَّـــاءِ
يـــا مَطلَـــعَ الأنـــوارِ! إِنَّ بمُقلَتـــي، أَسَفـــاً عَليـــكَ، كَمَنْشـــإِ الأنـــواءِ[٥]

= الاستخفاء، يقال يمشي الضراء: إذا مشى مستخفياً.
(١) وهن: ضعف ـ هنت: أصابك الهوان أي الذلّ جانس في هذا البيت بين وهَنْت وهُنْتَ، وبين الزكاء وهو الفطنة والذكاء وهو النمو.
(٢) الزجرة: اسم المرّة من زجر أي ردع ونهى.
(٣) انهره: ازجره ـ تلتظي: تتوقد وتستعر ناراً ـ
(٤) تذكو النار: تضطرم.
(٥) الأنواء: جمع نوء المطر وأصل النوء عند العرب سقوط نجم وطلوع نجم يقابله فسمي نوءاً لأنه إذا سقط الغارب ناءَ الطالع أي نهض، وعند سقوط النجم كان القوم ينتظرون هطول مطر أو هبوب رياح.

وكَفـى أَسًـى لا سَفيـرٌ بَيْنَنـا يَمشِـي، وأَنْ لا مَـوعِـدٌ لِلقـاءِ
فِيـمَ التَّجَمُّـلُ فـي زَمـانٍ بَـزَّنـي ثـوبَ الشَّبـابِ، وحِليَـةَ النُّبـلاءِ[1]
فعَـرِيـتُ، إلاَّ مِـن قِنـاعِ كَـآبَـةٍ، وعَطِلْـتُ، إلاَّ مِـن حُلِـيِّ بُكـاءِ
فـإذا مَـرَرتُ بمَعْهـدٍ لشَبيبـةٍ، أو رَسْـمِ دارٍ، للصـديـقِ، خَـلاءِ
جـالَـتْ بطَـرفِـي، للصَّبـابـةِ، عَبـرَةٌ، كـالغَيـمِ رَقَّ، فَحـالَ دونَ سَمـاءِ
ورَفعـتُ كفِّـي بيـنَ طَـرفٍ خـاشِـعٍ تَنـدى مَـآقيـه، وبيـنَ دُعـاءِ
وبَسطـتُ، فـي الغَبـراءِ، خَـدِّي ذِلَّـةً، أَستَنـزِلُ الـرُّحمـى مـنَ الخَضـراءِ[2]
مُتَمَلمِـلاً أَلَمـاً بِمصـرَعِ سَيِّـدٍ، قـد كـانَ سـابِـقَ حَلبَـةِ النُّجَبـاءِ[3]
لا، والـذي أَعلَقـتُ، مِـن تقـديسِـه، كَفِّـي بِحَبلَـيْ عِصمَـةٍ ورَجـاءِ
وخَـرَرتُ بيـن يـديـه، أَعلَـمُ أنَّـه ذُخـرِي، لِيَـومَـيْ شِـدَّةٍ ورخـاءِ[4]
لا هَـزَّنـي أَمَـلٌ، وقـد حَـلَّ الـرَّدى بـأبـي مُحمَّـدٍ المَحـلَّ النـائِـي
فـي حيـثُ يُطفَـأُ نُـورُ ذاكَ المُجتلَـى، وفِـرِنـدُ تِلـكَ الغُـرَّةِ الغَـرَّاءِ[5]
وكَفـى اكتِئـابـاً أَنْ تَعِيـثَ يـدُ البِلـى، فـي مَحْـوِ تِلـكَ الصُّـورَةِ الحَسنـاءِ
فَلَطـالَمـا كُنَّـا نُـريـحُ بظِلِّـهِ، فنُـريـحُ منـهُ بسَـرحَـةٍ غَنَّـاءِ
فتَقَتْ، على حُكمِ البشاشةِ، نَورَها، وتَنَفَّسَـتْ فـي أَوجُـهِ الجُلَسـاءِ
تَتَفَـرَّجُ الغَمَّـاءُ عنـهُ، كـأنَّـه قَمَـرٌ، يُمـزِّقُ شَملـةَ الظَّلمـاءِ[6]

---

(١) **الحلية**: ما يتزيّن به ـ **يسخط على الزمان** لأنه يسلبه رداء الشباب وزينة النبلاء، مكنّياً بذلك عن رزئه بصديقه الوزير.

(٢) **الرحمى**: رقة القلب والانعطاف الذي يوجب المغفرة والإحسان.

(٣) **متململ**: اسم فاعل من تململ: أي سئم وضجر ـ **الحلبة**: الخيل الجارية في الرهان.

(٤) **الذّخر**: ما يذّخر لوقت الشدّة ـ الشدّة والرخاء طباق.

(٥) **الفرند**: جوهر السيف ووشيه، والسيف الفرند: الذي لا مثيل له، واللفظة معرّب «برند» الفارسية ـ **الغرّة**: **الغرّاء**: الطلعة الحسنة.

(٦) **الغماء**: الليلة المظلمة الطامسة الهلال ـ **الشملة**: الثوب وشملة الظلماء رداؤها من باب الاستعارة.

قاسمتُ فيهِ الرُّزءَ أكرمَ صاحِبٍ، فمضى ينوءُ بأثقلِ الأعباء
يهفُو، كما هفَتِ الأراكَةُ، لوعَةً، ويُرِنُّ، طَوراً، رِنَّةَ الوَرقاء[1]
عَجَباً لها، وقَدَتْ، بصَدرٍ، جَمرةً، وتفجَّرَت، في وَجنَةٍ، عن ماء
ولئن تَراءى الفَرقدانِ بنا مَعاً، وكَفاكَ شُهرَةَ سُؤدُدٍ وعَلاءِ
فَلَطالَما كنَّا نَروُقُ المُجتَلي، حُسناً، ونَملأُ ناظِرَ العَليَاء
يُزهى بنا صَدرُ النَّدِيِّ، كأنَّنا، نَسَقاً، هُناكَ، قِلادةُ الجَوزاء[2]

(١٣)

يَوْمُ رُزْءٍ فادحٍ

قالها يرثي أم قاضي القضاة الفقيه أبي أميّة.

في مثلِه، من طارقِ الأرزاءِ، جادَ الجَمادُ بعَبرةٍ حَمراءِ[3]
من كلِّ قانيةٍ، تسِيلُ كأنَّها شُهبٌ، تَصَوَّبُ من فُروجِ سَماءِ[4]
تحمَى، فتَغرَقُ مُقلةٌ في جاحِمٍ منها، وتُحرَقُ وجنةٌ في ماءِ[5]
مَحتِ الكرى بين الجفونِ، وربَّما غسَلَت سَوادَ المُقلةِ الكَحلاءِ
لا تُورِثُ الأحشاءَ إلاَّ غُلَّةً، والماءُ يَنقَعُ غُلَّةَ الأحشاءِ[6]
أَهوِنْ به من يومِ رُزءٍ فادحٍ، سَحَبَ الصباحُ به ذُيولَ مساءِ
متلاطِمُ الأحشاء، تحسِبُ أنّه بحرٌ طَمى، متلاطمَ الأرجاءِ[7]

---

(١) **الأراكة**: واحدة الأراك وهو شجر يستاك بأغصانه ـ **يرن**: ينوح ـ **الورقاء**: الحمامة.

(٢) **القلادة**: ما يجعل في العنق من الحلي، **وقوله**: قلادة الجوزاء إشارة إلى واحد من الكواكب الستة المعروفة بالقوس.

(٣) **الأرزاء**: المصائب جمع رزء ـ **العَبرة** (بفتح العين): الدمعة.

(٤) **القانية**: أي الدمعة القانية أي الحمراء ـ **تصوّب**: من صوّب السهم: سدّده ـ **الفروج**: جمع فرج وهو الثغرة أو الخلل بين شيئين.

(٥) **الجاحم**: الجمر المتوقد ـ **الوجنة**: الخدّ.

(٦) **الغلّة**: الظمأ الشديد، والمقصود هنا غلّة الحزن ـ **ينقع الماء الغلّة**: يروي الظمأ.

(٧) **طمى البحر**: علا موجه ـ **الأرجاء**: الجوانب.

جمعَ الحِدادَ إلى العَويل، فما ترى، فـي القـومِ، غيـرَ حمـامـةٍ ورقـاءِ
مـن مـاسـحٍ عـن وجنـةٍ ممطـورةٍ، أو رافـعٍ مـن زفـرةٍ صُعَـداءِ
وكـأنمـا يَسقـي، بمـا يَبكـي، ثَـرى مـا قـد ذوى مـن دَوحـةِ العليـاءِ[(١)]
ولئِـن جَـزِعـتَ ليـومِ أُمِ بَـرَّةٍ، نشـأت تطـولُ أكـابـرَ الآبـاءِ
تصِـلُ الـدُّعـاءَ إلـى البُكـاءِ، كـأنَّمـا تَـرمـي السمـاءَ بمُقلـةٍ مَـرهـاءِ[(٢)]
فلمِثلِـه مـن يـومِ خَطـبٍ نـازلٍ، جَمَّـت دمـوعُ أفـاضـلِ الأبنـاءِ[(٣)]
فـاسمَـح بـأعـلاقِ الـدُّمـوعِ، فـإنَّمـا تُقنـى دمـوعُ العيـنِ للبُـرَحـاءِ[(٤)]
واهتِـف، بمـا تشكـو إليهـا، لـوعـةً، إن كـان يُصغـي هـالـكٌ لِنـداءِ
واقـرَع لهـا بـابَ السمـاءِ بـدَعـوةٍ، تستمطـرُ الخضـراءَ للغَبـراءِ
حتـى تجـودَ بكـلِّ عـارضِ رحمـةٍ، تستضحـكُ الأنـوار لـلأنـواءِ
زجِـلِ الـرُّعـودِ، كـأنمـا مَسَحـت بـه كـفُّ الصَّبـا عـن نـاقـةٍ عُشَـراءِ[(٥)]
فبمثلِهـا، مـن تُـربـةٍ قـد قُـدِّسَـت، نثَـرَ النسيـمُ قَـلائـدَ الأنـداءِ
وسـرى يمـرِّغُ، خـدَّهُ، قمـرُ الـدُّجـى، ويُـذيـلُ فضـلَ ضفيـرةِ الجَـوزاءِ[(٦)]
ولئِـن صَبَـرتَ، وصبـرُ مثلِـك حِسبـةٌ، فلقـد أخـذتَ بشيمـةِ النُّبَـلاءِ
من كلِّ ماضي العزمِ، يُهوي، بالأسى، عـن هَضبـةٍ، مـن صبـره، خَلْقـاءِ[(٧)]

---

(١) ذوى: ذبل ـ دوحة العلياء: تمثيل لرفعة الشأن، والدوحة أصلاً: الشجرة العظيمة.
(٢) المقلة: العين ـ المقلة المرهاء: البيضاء غير المكتحلة من مرهت العينُ: إذا فسدت وابيضت بواطن أجفانها بترك الكحل.
(٣) الخطب: الأمر الجلل، المصيبة الفادحة ـ جمت الدموع: عظمت.
(٤) الأعلاق: جمع علق، النفيس من كل شيء، والمراد هنا الدموع الغوالي ـ تقنى: تجمع ـ البرحاء: الشرّ والأذى، وحالة الشدّة.
(٥) الزجل من الرعود: الرعد القوي الصوت ـ العشراء: الناقة في الشهر العاشر من حملها.
(٦) مرّغ يمرّغ خدّه (في التراب): قلّبه به، ومرّغ قمر الدجى خدّه: استعارة أراد بها الدلالة على البهاء والحسن ـ الضفيرة أصلاً: خصلة الشعر وضفائر الجوزاء مجموعة كواكب.
(٧) الهضبة الخلقاء: الملساء.

كشفَتْ لـه الأيـامُ عـن أسـرارِهـا، فـرأى جَلـيَّ عـواقـبِ الأشيـاءِ
لـم يَثـنِ، فـي السَّرَّاء، مـن تيـهٍ بهـا، أعطـافَـه، فيخـورَ فـي الضَّـرَّاءِ[1]
مـا ارتـابَ أنَّ سـرورَه لكـآبـةٍ، يـومـاً، وأنَّ بقـاءَه لفَنـاءِ
فكـأنَّـه، والعيـسُ تبسُـطُ خَطـوَه، قـد بـانَ مُـرتحـلاً عـن الأحيـاءِ
فلـربَّ رَكـبٍ للـرَّدى تحـتَ السُّـرى، ضـربـوا قِبـابَهـم بهـا لِثَـواءِ[2]
متـوسِّـديـن بهـا التُّـرابَ، كـأنَّهـم لـم يَـرتَعُـوا فـي زَهـرةِ النَّعمـاءِ
صَـرعـى، فـلا قلـبٌ لغيـرِ صَبـابـةٍ، يُـذكَـى، ولا عَيـنٌ لغيـرِ بُكـاءِ
مـا شِئـتَ مـن قُـرَنـاءِ خَيـرٍ، أعصفَـت ريـحُ الـرَّدى بِهـمُ، ومـن قُـرَبـاءِ[3]
مُلِئـت بهـم عينـي دمـوعـاً، كلَّمـا مُلِئـت عيـونُهـمُ مـن الإغفـاءِ
وكفـى أسـىً وصبـابـةً أن أُنـزِلـوا، وهـمُ الأقـاربُ، مَنـزِلَ البُعَـداءِ
بَـدداً بمَسـرى كـلِّ ريـحٍ عـاصـفٍ، ومَصـابِ كـلِّ غَمـامـةٍ هَطـلاءِ
ألـوَى بهـم، ولكـلِّ جَنـبٍ مصـرعٌ، داءٌ عَيـاءٌ، عـزَّ كُـلَّ دواءِ[4]
وطـوى القـرونَ بحيـثُ صُمَّـت عنهـمُ أُذنُ المُصِيـخِ، وكَـلَّ طـرفُ الـرائـي
ولئِـن سطـا، والفـاصـلاتُ كثيـرةٌ، فلقـد سطـا بقليلـةِ النُّظَـراءِ[5]
ونَجِيبَـةٍ، جـاءَتْ بـأوحَـدِ أمجَـدٍ، قـد فـاتَ طَـوْلاً أَيْـدِيَ النُّجَبـاءِ[6]
مُتَقَلِّـبٌ، فـي الله، بيـنَ بَشـاشَـةٍ يَنـدى الهَشِيـمُ بهـا، وبيـنَ مَضـاءِ[7]
لَـدنٌ كَمَطلُـولِ النَّسيـمِ، وتـارَةً خَشِـنٌ كَصـدرِ الصُّعـدَةِ السَّمـراءِ[8]

---

(١) السّرّاء: خلاف الضرّاء المسرّة ورغد العيش ـ ثنى أعطافه تيها: بدا مزهواً مختالاً.
(٢) الردى: الموت ـ الثواء: الإقامة.
(٣) القرناء: جمع قرين، النظير والصاحب المماثل.
(٤) ألوى به الداء: أهلكه ـ الداء العياء: العضال، الذي يستعصي على العلاج.
(٥) سطا يسطو به وعليه: وثب عليه وقهره، وسطا الفرسُ: ركب رأسه.
(٦) الطول: القدرة، الفضل، الغنى.
(٧) الهشيم: النبت اليابس المتكسر، وقوله يندى الهشيم أي يصير ندياً، يبتل.
(٨) اللدن: الطري، الناعم ـ المطلول من النسيم: النسيم النّدي ومطلول: اسم مفعول من طلّت=

فــي مقعَــدٍ وَسِــعَ الأنــامَ عَــدالَــةً، وسَمــا، فَــزاحَــمَ مَنكِــبَ الخَضــراءِ
يَستَنــزِلُ الأرْوى، هنـــاك، سَكِينَــةً، ويَــروعُ قَلــبَ الصَّخــرةِ الصَّمَّــاءِ[1]
عَــدلٌ، يظَــلُّ بظِلِّــهِ ذِئــبُ الغَضــا جــاراً، هنــاكَ، لِظَبيَــةِ الــوَعســاءِ
وكَفــاهُمــا أن يخلُــوَا بــأراكَــةٍ، عِنــدَ المَقِيــلِ، ويَشــربـا مــن مــاءِ
وإلَيــكَ، مِــن حُــرِّ الكَــلامِ، عَقِيلَــةً قَصَــرَتْ خُطـاهـا خَجلَــةُ العَــذراءِ[2]
نَشَــأتْ، وشُقــرٌ دَارُهــا، فكــأنَّمــا وَرَدَتــكَ زائِــرةً مِــن الــزَّوراءِ[3]
رَقَّــتْ، وقـد عَلِمَـت بمـوضِـع حُسنِهـا، فــأتَتــكَ تمشِي مِشيــةَ الخُيَــلاءِ[4]

= طلا (السماءُ): الأرضَ: قطرت عليها الطلّ وهو المطر الضعيف.

(١) **الأروى**: ضأن الجبل، جمع الأروية، واللفظة للمذكر والمؤنث ـ **يروع**: يفزع ـ **الصخرة الصمّاء**: الصخرة الصلبة.

(٢) **العقيلة** (من النساء): الكريمة، المحصّنة، والعقيلة هنا صفة القصيدة من باب المجاز، أي القصيدة الفريدة. ـ **الخَجْلة**: المرّة من الخجل، الحياء.

(٣) **شقر**: اسم مدينة من مدن الأندلس ـ الزوراء: من أسماء بغداد.

(٤) **الخيلاء**: الزّهو.

قافية الباء

(١٤)
عرفَتْ قدرَه دَوْلَةٌ

قال هذه القصيدة مادحاً الفقيه أبا العلاء بن زهير

شأوتُ مَطايا الصَّبَا مَطلبَا، وطُلتُ ثَنايا العُلى مَرقَبا[١]
وأقبلتُ، صَدرَ الدُّجى، عَزمةً، تُوطِّىءُ ظَهرَ السُّرى مَركبا[٢]
فجبتُ، إلى سُدفةٍ، سُدفةً، وخُضتُ، إلى سَبْسَبٍ، سَبسبا[٣]
وقلتُ، وقد شاقَني مُلتقى شَميمِ العَرارِ، وبَردُ الصَّبا:
خليليَّ من حِمْيرٍ حدَّثا أخا شَيْبةٍ عن ليالي الصِّبا
وبُلَّا، بذِكرِ الهَوى، غُلَّةً بصَدرِ كريمٍ صَبَا ما صَبَا
ولا غامَ، ما غامَ، حتى انجَلى، فأضحَى، ولا انقادَ حتى أَبَى[٤]

(١) **شأوت**: من شأى أي سبق ـ **المطايا**: ما يمتطى من الخيل والنوق جمع المطيّة ـ ومطايا الصّبا: استعارة ـ **الثنايا**: جمع ثنية، الطريق، العقبة ـ **وطلت الثنايا**: أي تغلبت على صعابها وفي هذا افتخار بقدرته وفضله.

(٢) **صدر الدّجى**: أوائل الليل ـ **وطّأ الظهر**: جعله وطيئا، أي سهّلَهُ.

(٣) **جبتُ**: من جاب المكان: طاف به، تجوّل فيه ـ السّدفة: الظلمة ـ **السبسب**: الفلاة القاحلة لا نبت ولا ماء فيها، المفازة.

(٤) **غام**: من الغيم، مثل بذلك للغمّ والأسى ـ **انجلى الغيم**: انكشف، انقشع وتبدّد ـ **أبى**: من الإباء وهو الكبر والأنفة.

وحَنَّ هديلٌ على بانةٍ، تصدَّى خطيباً بها أخطَبا
فأذكَرَنا ليلةً باللِّوى، وعَهداً بعَصرِ الصِّبا أطرَبا
وماءً، بوادي الغَضا، سَلسلاً، ومُرتَبَعاً، بالحِمَى، مُعشِبا
ليالِيَ، عَهدِي بنا فتيةً، وعهدي بأحبابِنا رَبرَبا[1]
وما كانَ أعطرَ تلك الصَّبا؛ وأندَى معاطِفَ تلك الرُّبى
وأطيبَ ذاك الجَنى روضةً؛ ورشفةَ ذاك اللَّمى مَشرَبَا
فحرَّكَ، من ساكنٍ، كامنٌ، تَعاطي حديثٍ يَحُلُّ الحُبَى
ولم يَكُ يَعرِفُني أمرداً، طريراً، ويُنكِرُني أشيَبا[2]
فكِدتُ، ودونَ الصِّبا شَيبةٌ، أَجُرُّ، هنالك، ما أذهَبَا
وقلتُ، وحبُّ الدُّمى ذنبُه: ألا غَفَرَ اللهُ ما أذنَبَا
وصعَّدتُ، عن حبِّه، زَفْرةً، يَكادُ لها الصدرُ أن يَلهَبا
وأغربَ، من لوعةٍ، مَدمَعٌ إذا لجَلَجَت لوعةٌ أعربا[3]
وَرَدْعُ أَصيلٍ لَوى مَعطِفي، ففضَّضت بالدمع ما ذَهَّبا[4]
وشَعشَعتُ منه، بظَهرِ النَّقا، شَراباً أُرَقرِقُه أصهبا
وأعوَلتُ أندُبُ عصراً خَلا؛ وقصْرُ ابنِ ستِّينَ أن يَندُبا[5]
وشبَّبتُ أطرَبُ لا عن هوًى؛ وهل يَطرَبُ المرءُ إن شَبَّبا؟
لكَ الخيرُ، شِختُ سِوى مِقْولٍ نبيلٍ، يُذهِّبُ ما هذَّبا

---

(١) الربرب: القطيع من الظباء أو بقر الوحش، والمراد الكوكبة من الأقران والأحبة.
(٢) **الأمرد**: الذي لم يطر شاربه ـ **الطرير**: الذي نبت شاربه.
(٣) **أغرب الدمع**: سال وانسكب غزيراً، من أغرب الحوض ملأه ـ **لجلج في الكلام** لجلجة: تردّد فيه ـ **ولجلج شيء في صدره**: تردّد ـ **اللوعة**: حرقة القلب ـ **أعرب كلامه**: حسّنه، أفصح.
(٤) **الردع**: أثر الطيب في الجسد، والردع: الزعفران وهو المقصود ـ **فضّض الشيء**: طلاه بالفضّة، **وفضّض بالدمع**: كناية عن البكاء وفي العبارة تمثيل الدمع لنقائه بالفضّة ـ **ذهّب الشيء**: جعله مطلياً بالذّهب.
(٥) **أندب**: أبكي متفجعاً ـ **خلا**: مضى.

فصارَ يُذكّرُني ما يسرُّ، ... كلامٌ، إذا ما طَرى، طَرَّبا[1]
كلامٌ يَجِدُّ بلُبِّ الفَتى ... ذَهاباً، إذا شاء أن يَلعبَا[2]
تحمَّلَ ما شاء من رِقَّةٍ، ... فحيَّا، عن المَشرقِ، المَغرِبا
وكادَ بما فيه، من بَلَّةٍ، ... يَسومُ الصحيفةَ أن تُعشِبا
فللّه قَولِيَ ما أَهذبَا؛ ... ولله لَفظيَ ما أعذَبا
ولله دَرُّ أخي سُودَدٍ، ... رسا هضبةً، وسَرى كوكَبا
تصوبُ السماءُ، إذا ما حبَا؛ ... ويَمثُلُ رَضوى، إذا ما احتبى
وتعْشو الضيوفُ إلى نارِه، ... فتَلقى، هناك، ألا مَرحَبا
وتمضي به، في الوغى، نَجدةٌ ... مضى السيف، في كفِّهِ أو نَبا
فترضى الصوارِمُ عنه أَخاً؛ ... وتشكُرُ منه المعالي أبَا
وقد لثَم النَّقعُ أُسدَ الشَّرى، ... وكرَّت بها الخيلُ تَعدُو تُبا[3]
فلم تَرَ إلاّ نجيعاً جرى، ... ورُمحاً تَشظَّى، وطِرفاً كَبا[4]
لقد عَرفَت قدرَه دولةٌ، ... تُفَدِّي به الأكَرَمَ، الأنجَبا
وتَعتدُّهُ المُنتقى، المُتَّقى ... على الخيرِ، والحُوَّلَ القُلَّبا[5]
تَقِلُّ الوِزارةُ في حقِّه، ... وتَنزِلُ، عن قَدرِه، مَنصِبا
تطولُ السماءُ بآبائِه، ... وتُحصي بهم كوكباً كوكبا
وتنقادُ غُرُّ المعالي له، ... فيقتادُها مِقنَباً مِقنَبا[6]

---

(١) **طرى الكلام**: أقبل ـ **طرّب**: حمل على الطرب.
(٢) **اللبّ**: العقل وجدّ بلبّه ذهاباً: استحوذ على عقله، أفقده وعيه.
(٣) **النقع**: الغبار ـ **تعدو**: تركض، **التبا**: من تبا تبوا: إذا غزا وغنم.
(٤) **النجيع**: الدم ـ **تشظّى**: انشقّ ـ **الطرف**: الكريم الطرفين أي الأب والأم ـ **كبا**: سقط.
(٥) **المنتقى**: المصطفى ـ **الحوّل**: الخبير بتقلّب الأحوال والقلّب بالمعنى نفسه: العالم بتقلّب الأوضاع.
(٦) **يقتادها**: يقودها ـ **المِقنب**: (بكسر الميم): الجماعة من الخيل المتحفّزة للغارة.

ويَلأمُ شتَّى العُلى والحِلى، على حينَ أَصبَحن أَيدي سَبا[1]
وحسبُ المنى أنْ سَرى مَوعدٌ، كفيلٌ بنيلِ المُنى مَطلَبا
تَوالَت رِقاعُك، تَترى بهِ، وشُكري لها موكِباً موكِبا
وغيريَ مَن غَرَّه مَوعِدٌ، يَشِيم به بارِقاً خُلبَّا[2]
فخُذها إليكَ تهزُّ الفَتى، ومن شِيمةِ الراحِ أن تُطرِبا
خصَصتُ الأخصَّ بها أثرةً؛ وحيَّيتُ، بالأطيبِ، الأطيبا
وسُمتُ البراعةَ أن تَكتفي، وذلَّقَ اليَراعةِ أن تَكتُبا
وأجرَيتُ من مُدَّةٍ أدهماً؛ ووقَّرتُ، من مُهرَقٍ، أشهبَا
تركتُ القلوبَ له مَربطاً، وصَدرَ النَّديِّ به مَلعبا

(١٥)

شابَتْ نَواصي الغصون

يصف لهوه في ليلة مثلجة

ألا فضَلت، ذَيلَها، ليلةٌ، تجُرُّ الرَّبابُ بها هَيدَبا[3]
وقد بَرقعَ الثَّلجُ وجهَ الثَّرى، وألحَفَ غُصنَ النَّقا، فاحتَبى[4]
فشابَت، وراءَ قِناعِ الظَّلام، نواصي الغصونِ، وهامُ الرُّبا[5]
فمَهما تيمَّمتُ خَمَّارةً، ركِبتُ إلى أشقرٍ أشهبَا[6]

---

(١) أصبحن أيدي سبا: أي تفرّقن، وتبدّد شملهنّ.

(٢) البارق الخلّب: أي السّحاب الذي يبرق ولكنّه لا يمطر.

(٣) فضله فضلاً: غلبه في الفضل ـ الرباب: الأبيض من السحب ـ الهيدب: السحاب المنخفض الداني من الأرض.

(٤) برقع الثلج وجه الثرى: غطاه ببرقع من نسجه ـ ألحف الغصن: ألبسه لحافاً، كساه ـ احتبى (أي الغصن) بالثوب: اشتمل به، تلفّف به.

(٥) نواصي الغصون: أعاليها، والنّاصية أصلاً شعر مقدّم الرأس ـ الهام: جمع هامة ـ الرأس.

(٦) تيمّم: قصد، ذهب نحو المكان ـ الأشقر: الخمر، من باب المجاز ـ والأشهب: الثلج ـ يقول إنه ذهب إلى حانة الخمر وقد علا الثلج الدروب والمسالك.

وحيَّيتُ جانبَها طارقاً، فقالت تُجيب: ألا مَرحَبا[1]
وقَامَت بأجيَدَ، من كأسِها، لأوقَصَ، مِن دَنِّها، أحدَبا[2]
فجاءَت بحمراءَ وقّادةٍ، تَلهَّبُ في كاسِها كوكَبا[3]
عَثرتُ بذيلِ الدُّجى دونَها، فأضحَكتُ ثغراً لها أشنبا[4]
وقد مَسحَ الصُّبحُ كُحلَ الظلامِ، وأطلعَ فَودُ الدُّجى أشْيَبا[5]

(١٦)
يُطارِدهُ بارقٌ

ألا زاحمَ الليلَ بي أشقرٌ، تَصوَّبَ، تحتَ الدُّجى، كوكبا[6]
فكادَ، وقد طارَ بي شُعلةً، على فَحْمةِ الليلِ أن تَلهَبا
وباتَ يطارِدُه بارقٌ، أحَالَ غُرابَ الدُّجى أشهبَا[7]
فذهَّبَ، ليلَ السُّرى، عارضٌ، يفضِّضُ بالماءِ ما ذَهَّبا[8]
فأعشبَ ما جادَ من تَلعةٍ، وطرَّزَ بالنَّورِ ما أَعشَبا[9]

---

(١) **طارقاً**: زائراً ليلاً ـ **فقالت**: يريد صاحبة الحانة.
(٢) **الأجيد**: الأجيد صفة الإبريق الطويل العنق ـ **الأوقص**: خلاف الأجيد، أي القصير ـ **الدنّ**: إناء الخمر.
(٣) **بحمراء**: أي بخمرة حمراء اللون ـ وقّادة (للمبالغة): شديدة التوقد، متلألئة ـ شبه الخمرة في الكأس بكوكب دريّ متوقّد شديد التلهّب.
(٤) **يصف كيف تعثّر بسبب ظلمة الليل** وطابق بين سواد الدجى والكأس الضاحك كأنه ثغر أبيض الأسنان.
(٥) **الفود**: جانب الرأس ـ **شبّه بياض الفجر** بالشيب في جانب الرأس وظلمة الليل الذاهب بالشعر الأسود الحالك.
(٦) **الأشقر**: الفرس الأشقر ـ **تصوّب كوكب**: انحدر.
(٧) **أحال غراب الدّجى**: حوّله، وأراد بغراب الدجى ظلمة الليل ـ **الأشهب**: من الشهبة وهي البياض والذي يتخلّله السواد.
(٨) **السّرى**: السير قليلاً ـ **العارض**: السحاب المعترض في السماء والممطر.
(٩) **التلعة**: أعلى الوادي ـ **النّور**: الزهر.

فــردَّى منـاكــبَ تلـكَ الغصــونِ، وزرَّرَ أكفــافَ تلــك الــرُّبــا[1]

(١٧)

بدرُ تَمٍّ

مَـــرَّ بنـــا، وهـــو بَـــدرُ تَـــمٍّ، يسحَـــبُ مـــن ذَيلِـــهِ سَحـــابـــا
بقـــامـــةٍ، تَنْثَنـــي قضيبـــاً؛ وغُـــرَّةٍ، تَلتظِـــي شِهـــابـــا[2]
يَقـــرأُ، والليـــلُ مُـــدلهِـــمّ، لنُـــورِ إجـــلائِـــه، كِتـــابـــا[3]
ورُبَّ ليـــلٍ سهِـــرتُ فيـــه، أزجُـــرُ، مـــن جِنحـــهِ، نِكـــابـــا[4]
حتـــى إذا الليـــلُ مـــالَ سُكـــراً، وشـــقَّ سِـــربـــالَـــه وَجـــابـــا[5]
وحـــامَ، مـــن سُـــدفِـــه، غُـــرابٌ، طـــالَـــت بـــه سِنُّـــه، فشـــابـــا[6]
ازدَدتُ، مـــن لـــوعتـــي، خَبـــالاً، فحـــثَّ، مـــن غُلَّتـــي، شَـــرابـــا[7]
ومـــا خَطـــا قـــادمـــاً، فـــوافـــى، حتـــى انثنـــى نـــاكصـــاً، فـــآبـــا
وبيـــنَ جَفنَـــيَّ بحـــرُ شَـــوقٍ، يعُـــبُّ، فـــي وَجنتِـــي، عُبـــابـــا
قـــد شـــبَّ، فـــي وجهـــه، شُعـــاعٌ، وشـــبَّ عـــن قلبِـــه التهـــابـــا
وروضـــةٍ طَلقـــةٍ حيـــاءً، غنَّـــاءَ مُخضـــرَّةٍ جَنـــابـــا[8]
ينجـــابُ عـــن نَـــورِهـــا كِمـــامٌ، يحُـــطُّ، عـــن وجهِـــه، نِقـــابـــا[9]

---

(١) **ردّى المناكب**: جعلها تلبس رداء ـ **الأكفاف**: حواشي الثوب ـ **أكفاف الربى**: جوانبها، أطرافها.
(٢) **تنثني**: تتمايل ـ **تلتظي**: تتوقد.
(٣) **ادلهم الليل**: أظلم ـ **الإجلاء**: مصدر أجلى الشيء أبانه وكشف صفحته.
(٤) **جنحه**: أي جنح الليل وهو طائفة منه ـ **النكاب**: المصائب، جمع نكبة.
(٥) **السربال**: القميص ـ **جاب**: قطع، اجتاز.
(٦) **السدف**: حلكة الليل.
(٧) **الخبال**: الفساد، الاضطراب ـ **الغلة**: حرقة الجوانح.
(٨) **الروضة الطلقة**: الضاحكة.
(٩) **النقاب**: ما يستر الوجه.

باتَ بها مَبسِمُ الأقاحي يرشُفُ، من طَلِّها، رُضابا[1]
ومن خُفوقِ البروقِ فيها أَلويةٌ، حُمِّرَت خِضابا[2]
كأنَّها أنمُلٌ وِرادٌ، تحصُرُ قَطرَ الحَيا حِسابا[3]

(١٨)
حَسِبْتُهُ أَلِفا

وأغرَّ كادَ، لطافةً وطَلاقةً، ينسابُ ماءً بيننا مَسكوبا[4]
وسِنانَ، يُدرِكُ كلَّ قلبٍ طالباً، ويفوتُ كلَّ مُتيَّمٍ مطلوبا[5]
قد قامَ في صَدرِ النَّدامى، فاستوى، فحسِبتُه أَلِفاً به مكتوبا[6]
وأكبَّ يَشرَبُها، وتشربُ ذِهنَه، فرأيتُ منه شارباً مَشروبا
مَشمولةً، بَينا تُرى في كفِّه ماءً، تُرى في خدِّه أُلهوبا[7]

(١٩)
طَلَعَتْ شَمْساً

فَتَقَ الشَّبابُ، بوَجنتَيها، وردةً، في فَرعِ إسْحِلَةٍ تَميدُ شَبابا[8]
وضَحَت سَوالفُ جِيدِها سُوسانةً، وتوَرَّدَت اطرافُها عُنَّابا[9]

---

(١) **الأقاحي**: زهر الأقحوان ـ **الرضاب**: الريق.
(٢) **الألوية**: الأعلام، جمع لواء.
(٣) **الحيا**: الريق.
(٤) **الأغرّ**: الوضاء الجبين ـ **ينساب ماءً**: أي كالماء أي يمرّ بلطف.
(٥) **وسنان**: ناعس الطرف، والطرف الناعس من صفات الحسن ـ **المتيّم**: المحب الذي استعبده الحب، أي جعله أسيراً للمحبوب.
(٦) شبّه استواء المحبوب وبروزه في المجلس بصورة الألف في الكتابة.
(٧) **مشمولة**: صفة الخمرة الباردة ـ **الألهوب**: اللهب.
(٨) **فتق وردة**: جعلها تفتح أكمامها ـ **الوجنة**: الخد ـ **الأسحلة**: من الأشجار التي تتخذ منها المساويك **تميد**: تميس، تتمايل.
(٩) **الجيد**: العنق، وسوالف الجيد: جمع سالفة، صفحة الجيد ـ **السوسانة**: شجرة السوسان ذات الرياحين.

بيضاءُ، فاضَ الحسنُ ماءً فوقَها، وطَفا به الدُّرُّ النفيسُ حَبابا
بينَ النُّحورِ قِلادةً، تحتَ الظَّلامِ غَمامةً، دونَ الصَّباحِ نِقابا[1]
نادمتُها، ليلاً، وقد طَلَعَت بهِ شمساً، وقد رَقَّ الشَّرابُ سَرابا[2]
وترنَّمَتْ، حتى سمِعتُ حَمامةً، حتى إذا حسَرَت، زجرَتُ غُرابا[3]

(٢٠)
تخيّرتُه نجيبا

تَخيَّرتُه من رَهطِ أعوجَ سابحاً، أغرَّ، كريمَ الوالديَنِ، نجِيبا[4]
خفيفاً، ولم يَحلُم بسَوطٍ، كأنَّما يَفوتُ عدوّاً، أو يؤمُّ حَبيبا[5]
سَرى، وانتمى برقٌ بذِي الأثل، ليلةً، فباتَ بها هذا لذاك نَسِيبا[6]
وحَنَّ إلى سَفرٍ، فطارَ إلى السُّرى، يخوضُ خليجاً، أو يَجوبُ كثِيبا[7]
يؤم بها أرضاً، عليَّ، كريمةً، ومُرتَبعاً فيها، إليَّ، حبِيبا[8]
ونهراً، كما ابيضَّ المقبَّلُ، سَلسلاً، وجزعاً، كما اخضرَّ العِذارُ، خصِيبا[9]
ورُبَّ نسيمٍ مَرَّ بي وهو عاطرٌ، رقيقُ الحواشي، لا يُحسُّ دبِيبا

---

(١) النحور: جمع نحر: الجيد ـ النّقاب: الحجاب.
(٢) رقّ الشّراب: صفا ـ السّراب: ما يظن ماء وسط النهار عند اشتداد الحرّ، وهو ليس إلا من خداع البصر.
(٣) شبّه صوتها بترنيمة الحمامة، وشعرها بالغراب الأسود ـ وقوله حسرت: أي كشفت النقاب عن رأسها.
(٤) التخيّر: الانتخاب ـ أعوج: جواد من خيول العرب الكريمة ـ السّابح: أي الجواد السّابح، السّريع ـ النجيب: الفرس الكريم الأصل.
(٥) يفوت العدوّ: يسبقه في جريه ـ يؤم الحبيب: يقصده ويتوجّه إليه.
(٦) بذي الإثل: أي بموضع ذي الأثل، والأثل ضرب من الشجر المتين.
(٧) جاب يجوب المكان: يجتاز، يقطع.
(٨) يؤم: يقصد ـ المرتبع: المنزل.
(٩) كما ابيض المقبّل: يشبه النهر بالثغر بجامع البياض ـ نهراً سلسلاً: عذباً ـ الجزع: موضع الاجتياز في الوادي.

وجـدتُ بـه، مـن ذلـك المـاءِ، بَلَّـةً، ومـن نَـوْرِ هـاتيـكَ الأبـاطـح طيبـا[1]
فصـافَحـتُ رَيْعـانَ النسيـم تشـوُّقـاً إليهـا، ولازَمـتُ القَضِيـبَ رَطِيبـا
وقـد قلَّـدَ النُّـوَّارُ جيـداً لـرَبْـوةٍ هنـاك، ونَحـراً، للفَضـاءِ، رحِيبـا[2]
وأفصحـتِ الـورقـاءُ، فـي كـلِّ تَلعـةٍ، نشيـداً، وقـد رقَّ النَّسِيـمُ نسِيبـا[3]
وكـان علـى عهـدِ الشَّبـابِ تغنِّيـاً، يشـوقُ أخـاً وَجـدٍ، فعـادَ نحِيبـا[4]
دَعـا لغُـروبِ الـدَّمـعِ، والـدارُ غُـربـةٌ، فلـم أرَ إلا داعيـاً ومُجِيبـا[5]

(٢١)

انقضّ شهابا

وصف فرساً مطهّما فقال:

ومُطَهَّـمٍ شَـرِقِ الأديـمِ، كـأنَّمـا أَلِفَـت مَعـاطِفُـه النَّجِيـعَ خِضـابـا[6]
طَـرِبٌ، إذا غنَّـى الحُسـامُ، مُمَـزِّقٌ ثـوبَ العَجـاجـةِ جِيئـةً وذَهـابـا[7]
قـدَحَـت يَـدُ الهَيجـاءِ منـه بـارقـاً، متلهِّبـاً، يُـزجـي القَتـامَ سَحـابـا[8]
ورَمـى الحِفـاظُ بـه شيـاطيـنَ العِـدى، فـانقـضَّ فـي ليـلِ الغُبـارِ شِهـابـا[9]
بسَّـامُ ثغـرِ الحَلـيِ، تحسِـبُ أنـه كـاسٌ، أثارَ بهـا المِـزاجُ حَبـابـا[10]

---

(١) **النور**: الزهر ـ **الأباطح**: جمع بطحاء: المسيل الواسع وفيه الرمل والحصى الدقاق.
(٢) **النوّار**: الزهر ـ **الجيد**: العنق ـ النحر: الجيد.
(٣) **الورقاء**: الحمامة ـ **التلعة**: المرتفع من الأرض، والجمع تلاع.
(٤) **الوجد**: الحبّ.
(٥) **غروب الدّمع**: مسيله.
(٦) **المطهّم**: الجواد الحسن الخَلْق ـ **الأديم**: الجلد، وشرق **الأديم**: أي أديمه يميل إلى الاحمرار ـ **النجيع**: الدم الخضاب: ما يلوث به.
(٧) **الحسام**: السيف القاطع، **العجاجة**: الغبار.
(٨) **قدح (بالزّند)**: حاول إخراج النار منه، **وقوله**: قدحت بارقاً: كناية عن سرعة الجواد في كرّه وانقضاضه ـ **الهيجاء**: الحرب ـ **يزجي**: يقود ـ **القتام**: غبار المعركة القاتم.
(٩) **الحفاظ**: الذّود عن المحارم.
(١٠) **بسّام ثغر الحلي**:استعارة للون المشرق ـ **المزاج**: أي المزج بالماء، والحباب ما يعلو الكأس من زبد.

(٢٢)
حَسْبي شَجْواً

قال يصف وطأة الدهر ويبكي الأحبّة والخلاّن

أَلَا عَرَّسَ الإخوانُ في ساحةِ البِلى، ... وما رَفعُوا، غيرَ القُبورِ، قِبابا[١]
فَدَمعٌ، كما سَحَّ الغَمامُ، ولَوعَةٌ، ... كما أَضرمَت ريحُ الشَّمالِ شِهابا
إذا استَوقَفَتْني في الدِّيارِ، عَشِيَّةً، ... تلَذَّذتُ فيها جَيئةً وَذَهابا
أَكُرُّ بِطَرفي في مَعاهِدِ فِتيةٍ، ... ثَكِلتُهُمُ بِيضَ الوُجُوهِ شَبابا[٢]
فطَالَ وُقُوفي بينَ وَجدٍ وزَفرةٍ، ... أُنادِي رُسُوماً، لا تُحِيرُ جَوابا[٣]
أَمحو جميلَ الصَّبرِ، طَوراً، بِعَبرةٍ ... أَخُطُّ بها، في صَفحتَيَّ، كِتابا
وقد دَرَسَت أَجسامُهُم ودِيارُهم، ... فَلَمْ أَرَ إلاّ أَقبُراً وَيَبابا[٤]
وحَسبيَ شَجواً أَن أَرى الدَّارَ بَلقَعاً، ... خَلاءً، وأَشلاءَ الصديقِ تُرابا[٥]

(٢٣)
الشّيبُ شَيْنٌ

قال يصف المشيب ويطري الشباب وصبواته

أَرِقْتُ على الصِّبا، لطُلوعِ نجمٍ، ... أُسمِّيه، مُسامَحةً، مَشيبا[٦]
كفاني، رُزءَ نَفسٍ، أنْ تَبدّى، ... وأعظمُ منه رُزءاً أن يَغِيبا[٧]
ولولا أن يشُقَّ على الغَواني، ... لَلاقيتُ الفتاةَ بهِ خضِيبا

---

(١) عرّس تعريساً (في المكان): نزل ليلاً ـ البِلى: الفناء ـ ساحة البلى: الموت.
(٢) ثكلتهم بيض الوجوه: أي فقدتهم وهم في مقتبل العمر.
(٣) لا تحير جواباً: لا تجيب.
(٤) اليباب: الخراب.
(٥) البلقع: الأرض القفر، والدار البلقع: الخالية من أصحابها.
(٦) شبه الشيب لبياضه بالنجم، وقوله: أرقت على الصبا كناية عمّا اعتراه من القلق على تولّي الشباب.
(٧) الرزء: المصيبة العظيمة.

فلــم أعــدمْ، هنــاك، بــه شفيعــاً إلــى أمــلٍ، ولــم أبــرَحْ حبيبــا
غــريبــةُ شَيــبِ فَــوْدٍ، إنْ تــراخَــت حَيــاتــي، آل أســودُه غَــريبــا[1]
شَنِئــتُ بمُجتــلاهــا النَّــورَ، حتــى شَنِئــتُ، بمُجتلــى النَّــورِ، القَضِيبــا[2]
وعِفــتُ، كــراهــةً للشــيءِ، شيئــاً، يكــونُ لــه شبيهــاً، أو نَسِيبــا
وأيَّــةُ شَيبــةٍ إلاّ نَــذيــرٌ؛ وهــل طــرَبٌ، وقــد مثَلَــتْ خطِيبــا
وبُــؤتُ بحملِهــا مــن غيــرِ خَطــبٍ، كــأنــي قــد حمَلــتُ بهــا عَسِيبــا[3]
ومِلــتُ مــع الشَّبــابِ عــن التصــابــي، وكيــفَ بــه، وقــد طَلَعَــت رقِيبــا!
وقلــتُ: الشَّيــبُ للفِتيــانِ شَيــنٌ، كفــى الأحــداثَ، شينــاً، أن تشِيبــا[4]
فــلا تطمَــح، إلــى فــودِي، غُــلامــاً، غــريــراً، أو اغشَنــي كهــلاً أرِيبــا
فــأحسَنُ مــن حَمــامِ الشَّيــبِ، عنــدي، غُــرابُ شَبيبــةٍ ألِــفَ التَّعِيبــا
يَطِيــبُ بنَفســه عنــدَ الغَــوانــي، فيَغنــى، عــن فتيــتِ المِســكِ، طِيبــا
وتَــرعَــى منــه عيــنُ الظَّبــيِ شُهبــاً، لهــا، فيُســالِــفُ الظَّبــيَ الــرَّبِيبــا[5]
وبيــنَ العيــنِ والشَّعــرِ اشتبــاكٌ، كــريــمٌ يقتضــي نسَبــاً قــريبــاً

(٢٤)

مِحْراب العِذَار

مــا للعِــذارِ، وكــانَ وَجهُــكَ قِبلَــةً، قدْ خَطَّ فيهِ، منَ الدُّجى، مِحرابا
وإذا الشَّبــابُ، وكــانَ لَيــسَ بخــاشِــعٍ، قــدْ خَــرَّ، فيــه، راكِعــاً، وأنــابــا
ولَقَــد عَلِمــتُ، بكــونِ ثَغــرِكَ بــارقــاً، أنْ سَــوفَ يُــزجــي للعِــذارِ سَحــابــا

(١) **الفود**: جانب الرأس، ومثناه الفودان ـ آل: صار وتحوّل.
(٢) **شنئت**: كرهت ـ **النّور**: الزهر الأبيض.
(٣) **باء بالشيء**: عاد ورجع ـ **الخطب**: الأمر الجلل ـ **عسيب**: علم على جبل.
(٤) **الشين**: العيب، العار.
(٥) **سالفه يسالفه في الأمر**: ساواه فيه ـ **الظبي الربيب**: الذي ربّي حتى أدرك.

(٢٥)
. . . فَهي الهِلالُ

عـوجـاءُ تُعطَـفُ ثـم تُـرسَـلُ تـارةً، فكـأنمـا هـيَ حيّـةٌ تَنسـابُ[١]
وإذا انحنَـت، والسَّهـمُ منهـا خـارجٌ، فهـيَ الهـلالُ، انقـضَّ منـه شِهـابُ

(٢٦)
نَلْتَقي ونَثوبُ

يحِـلُّ بهـا أدنـى الـرّيـاحِ، فليتَهـا شَمـالٌ، تهـادى بيننـا، وجَنـوبُ[٢]
تهُـبُّ بنـا طـوراً جَنـوبـاً، فنلتقـي؛ وتجـري شَمـالاً تـارةً، فنثـوبُ[٣]

(٢٧)
تَجِدُّ بيَ الصَّهباءُ

ويـومٍ صقيـلٍ، للشَّبـابِ، ظَلِلتُـه، تجُـدُّ بـيَ الصَّهبـاءُ فيـه، وألْعَـبُ[٤]
رطِيبٌ بـأنفـاسِ الصَّبـا ونَـدى الصَّبـا، فقـد رَقَّ حتـى كـاد يَجـري، فيَسكُـبُ
توَضَّحَ، في وجهِ الصِّبا منه، مَبسمٌ؛ وأشرق، في ليل من الشَّيبِ، كوكبُ[٥]
تقلَّبْـتُ فيـه بيـنَ أعطـافِ عِيشَـةٍ، كمـا اخضـرَّ يَنـدى أبطـحُ ظَـلَّ يُعشِـبُ
وقد هزَّ، من عِطفَيْ نديمٍ وخُوطةٍ، أنيـنُ حَمـامٍ، أو غُـلامٌ يُطـرِّبُ[٦]
وجِـزعٌ، بـأنـداءِ الغَمـام مُفضَّـضٌ، وذَيـلٌ عليـه، للعشـيّ، مُـذهَّـبُ

---

(١) تعطف: تثنى ـ تنساب (الحية): تجري مسرعة.
(٢) حلّ به: ألم به ـ الشمال والجنوب: أي الريح التي تهب من الشمال والجنوب.
(٣) تثوب: تعود، ترجع.
(٤) أراد باليوم الصقيل: اليوم المشرق الخفيف الوطأة، والصقيل هنا استعارة من السيف الصقيل أي الأملس الذي جلاّه الصقال ـ الصهباء: الخمر ـ وقد طابق بين الجد واللعب.
(٥) توضح: افترّ باسماً ـ الليل: هنا سواد الشعر، الكوكب هو الشيب.
(٦) عِطفي: مثنى عطف، والعطف هو الجانب من الجسم ونحوه ـ الخوط: الغصن الناعم، وأراد بالخوطة المرأة الناعمة التي تشاركه في مجلس الشراب.

وقد جالَ، من كاس السُّلافةِ، أشقرٌ، يسابقُه، من جَدولِ الماء، أشهَبُ[1]
بروضٍ، كأنَّ الغُصنَ يَزهى، فيَنثني به، وكأنَّ الطَّيرَ يُسقى، فيَطرَبُ[2]
قد ارتجزَ الرَّعدُ المُرِنُّ بأفقِه، فأملى، وجالت راحةُ البَرقِ تكتُبُ[3]
كأنَّ لِسانَ البَرقِ فيهِ، عشيَّةً، لِواءٌ خضيبٌ، أو رِداءٌ مُذَهَّبُ

(٢٨)
الرّوض وجهٌ أزهر

مجلسُ لهوٍ في أحضان الرياض

سَقياً ليومٍ قد أَنَختُ بسَرحةٍ رَيّا، تُلاعبُها الشَّمالُ، فتلعَبُ[4]
سَكرى، يُغَنِّيها الحَمامُ، فتنثَني طَرباً، ويَسقِيها الغَمامُ، فتَشرَبُ
يَلهو، فتُرفَعُ، للشبيبةِ، رايةٌ فيه، ويطلُعُ للبَهارةِ كوكبُ[5]
والرَّوضُ وَجهٌ أَزهرٌ، والظِّلُّ فرعٌ أسودٌ، والماءُ ثغرٌ أشنَبُ[6]
في حيثُ أطرَبنا الحَمامُ عَشيَّةً، فشَدا يُغَنّينا الحَمامُ المُطْرِبُ
واهتَزَّ عِطفُ الغُصنِ من طربٍ بنا؛ وافترّ، عن ثغرِ الهِلالِ، المَغرِبُ[7]
فكأنَّه، والحُسنُ مُقتَرِنٌ به، طَوقٌ، على بُردِ الغَمامةِ، مُذهَبُ[8]
في فِتيةٍ، تَسري، فيَنصَدعُ الدُّجى عنها، وتَنزِلُ بالجدِيبِ، فيَخصِبُ[9]

---

(١) السلافة: الخمر.
(٢) يزهى: من الزهو وهو التباهي والإعجاب بالذات ـ ينثني: يتمايل.
(٣) ارتجز الرعد: أرسل صوتاً متتابعاً شبيهاً بالرجز وهو الإنشاد بصوت متتابع.
(٤) أنخت: من أناخ بالمكان: نزل به ـ السّرحة: فناء الدار وكل شجر طال، ولا شوك فيه.
(٥) البهارة: الحسن والجمال.
(٦) الوجه الأزهر: الوضّاء المشرق ـ أشنب: بارد.
(٧) افترّ: تبسّم.
(٨) الطوق: العقد من لؤلؤ ونحوه ـ البرد: الثوب ـ شبّه الهلال البادي في صفحة الغمام الرقيق بعقد مذهب.
(٩) انصدع الدّجى: انجاب ـ الجديب: غير الخصيب.

كَرُموا، فلا غَيثُ السَّماحةِ مخلِفٌ، يوماً، ولا بَرقُ اللَّطافةِ خُلَّبُ[1]
من كلِّ أزهرَ للنعيمِ، بوجهِه، ماءٌ، يُرَقرِقُهُ الشَّبابُ، فيَسكُبُ

(٢٩)

يهزُّني شبابٌ

يا رُبَّ وضّاحِ الجبينِ، كأنَّما رَسمُ العِذارِ، بصَفحتَيه، كِتابُ
تَغرى، بطلعتِه، العيونُ مَهابةً، وتبيتُ تعشَقُ عقلَه، الألبابُ
خُلِعَتْ عليه، من الصَّباحِ غِلالةٌ تَندى، ومن شفَقِ السَّماء، نِقابُ
فكرَعتُ من ماء الصِّبا في مَنهلٍ، قد شُقَّ، عنه من القميصِ سَرابُ
في حيثُ للرِّيحِ الرخاء تنفُّسٌ أرِجٌ، وللماءِ الفُراتِ عُبابُ
ولرُبَّ غضِّ الجِسمِ مَدَّ بخَوضِه شَبَحاً، كما شقَّ السماءَ شِهابُ
ولقد أنَختُ بشاطِئَيه يهُزُّني، طرباً، شبابٌ، راقَني، وشَرابُ
وبكَيتُ دِجلتَه يُضاحِكُني بها، مَرَحاً، حبيبٌ، شاقَني، وحَبابُ

(٣٠)

ركبتُ دِجْلَتَهُ...

يصف نزهة في زورق برفقة الحبيب

وصقيلِ إفرندِ الشَّبابِ، بطَرْفِه سَقَمٌ، وللعَضْبِ الحُسامِ ذُبابُ[2]
يَمشي الهُوَينا نَخوةً، ولرُبَّما أطرَتْه، طَوراً، نَشوةٌ وشبابُ[3]
شَتَّى المحاسنِ، للوَضاءةِ رَيْطةٌ، أبداً عليه، وللحَياءِ نِقابُ[4]

---

(١) المخلق: الذي أخلف ولم يصدق، والغيث المخلف: الذي لم يمطر ـ البرق الخلّب: الذي يلمع ولا يعقبه مطر.
(٢) الإفرند: جوهر السيف ووشيه، استعارة لزهو الشباب وحسنه ـ السقم في الطرف: الذبول والنّعاس وهو من محاسن العين ـ العضب: السيف القاطع ـ الذباب: حدّ السيف.
(٣) يمشي الهوينا: أي متمهّلاً ـ أطرته: جعلته ينثني ويزهو.
(٤) الوضاءة: الحسن ـ الريطة: الملاءة ـ النقاب: القناع الساتر للوجه.

وبمَعطِفَيــــه للشبيبــــةِ مَنهَــــلٌ، قـد شـفَّ عنـه مـن القميـص سَـرابُ[1]
عَبَـر الخليـجَ سبـاحـةً، فكـأنمـا أهـوى، فشَـقَّ بـه، السمـاءَ، شِهـابُ[2]
تَطفُـو لغُـرَّتـهِ، هنـاك، حَبـابـةٌ، ويمـوجُ، مـن رِدفِ أَلـفَّ، عُبـاب[3]
ولئِـن تَـركـتُ مـن التَّصـابـي مَـركبـاً، ولكـلِّ مَـرحلـةٍ، تُجـابُ، رِكـابُ
لقـدِ احتَللـتُ بشـاطِئَيـه، يهُـزُّنـي، طـربـاً، شَبـابٌ، راقَنـي، وشَـرابُ
وانسـابَ بـي نهـرٌ، يعُـبُّ، وزورقٌ، فتَحمَّلَتنــي عَقــربٌ وحُبــابُ[4]
وركِبـتُ دِجلَتَـه، يضـاحِكُنـي بهـا، فـرحـاً، حبيـبٌ، شـاقَنـي، وحبَـابُ[5]
نجلُـو، مـنَ الـدُّنيـا، عـروسـاً، بيتَنـا، حسنـاءَ، تُـرشَـفُ، والمُـدامُ رُضـابُ[6]
ثــمَّ ارتَحَلْــتُ، وللسمــاءِ ذُؤابــةٌ شَهبـاءُ، تُخضَـبُ، والظَّـلامُ خِضـابُ[7]
تَلـوي مَعـاطفَـيَ الصَّبـابـةُ والصِّبـا، والليـلُ، دونَ الكـاشحِيـن، حِجـابُ[8]
حيـثُ استقـلَّ الجِسـرُ فـوقَ زوارقٍ نُسِقَـت، كمـا تَتَسـاوكُ الأحبـابُ
لـم تَستبِـق، وكـأنَّهـا، مُصطفَّـةً، دُهْـمٌ، تُنـازِعُـك السِّبـاقَ، عِـرابُ[9]
مـن كـلِّ غـربيـبِ الأديـم، لَـوَ انّـه قَبـلَ النعِيـبَ لَعِيـفَ منه غُـرابُ[10]

---

(١) **المنهل**: المورد ـ **شفّ**: رقّ فأظهر ما وراءه ـ شبه القميص لشفافيته ورقته بالسّراب.
(٢) **عبر الخليج**: اجتازه.
(٣) **الغرّة**: شعر مقدّم الرأس ـ **الردف**: الكفل ـ الردف الألف: الملتف، يريد الممتلىء ـ عباب البحر: موجه.
(٤) **يعبّ (أي النهر)**: يتلاطم موجه ـ **العقرب**: الزورق ـ **الحباب**: الحيّة شبّه بها انسياب الماء في صفحة النهر.
(٥) **الحباب**: الفقاقيع التي تعلو الماء، وتلاحظ المجانسة بين الحبيب والحباب.
(٦) **المدام**: الخمر ـ **الرضاب**: الريق.
(٧) أراد بذؤابة السماء الشهباء: أضواء الشفق بعد الغروب ـ **تخضب**: تصبغ ـ **وصف كيف هجم ظلام الليل على ضوء الشفق وراح يصبغه بسواده.**
(٨) **الصبابة**: رقة الهوى ـ **الصّبا** (بكسر الصاد): الشباب ـ **والصّبا** (بفتح الصاد): الريح الناعمة ـ **الكاشحون والكاشحين**: جمع كاشح، أي المبغض.
(٩) **دهم**: حالكة السواد ـ في هذا البيت شبه الشاعر المراكب في الماء بالجياد الدهم السوداء.
(١٠) **الغربيب**: الأسود ـ **الأديم**: الجلد ـ **النعيب**: صوت الغراب.

(٣١)
لهبٌ يلاعبُ الرّيحَ

قال يصف موقداً توزّع فيه ناظره بين رَماد أزرق وجمر أحمر ملتهب.

لاعَبَ، تلك الرِّيحَ، ذاكَ اللَّهَبُ، فعادَ، عينَ الجِدِّ، ذاك اللَّعِبُ[١]
وباتَ في مَسرى الصَّبا يتبعُهُ، فَهْوَ لها مُضطَرِمٌ، مضطَرِبُ
ساهرتُه أحسِبُه منتشياً، يهُزُّ عِطْفَيه، هناك، الطَّرَبُ[٢]
لو جاءَه منتقِدٌ لمَا دَرَى أَلَهَبٌ متَّقِدٌ أم ذَهَبُ[٣]
تَلثُمُ منه الرِّيحُ خدّاً خَجِلاً، حيثُ الشَّرارُ أَعينٌ ترتَقِبُ[٤]
في موقِدٍ، قد رَقرقَ الصبحُ به ماءً عليه من نجومٍ حَبَبُ[٥]
منقسِمٌ بينَ رَمادٍ أزرقٍ، وبينَ جَمرٍ خَلفَه، يَلتهِبُ
كأنما خَرَّت سماءٌ فوقَه، وانكدرَت، ليلاً، عليه شُهُبُ[٦]

(٣٢)
الغَمَام الحاصِبُ

يا رُبَّ قَطرٍ جامدٍ حَلَّى به، نحرَ الثَّرى، بَرَدٌ تحدَّرَ صائِبُ[٧]
حصَبَ، الأباطحَ منه، ماءٌ جامدٌ، غشَّى، البلادَ به، عذابٌ ذائِبُ[٨]

---

(١) الجِد (بكسر الجيم): خلاف اللهو واللعب.
(٢) المنتشي: ذو النشوة، والنشوة: السكر.
(٣) اللهب المتقد: المتوقد، المشتعل.
(٤) تلثم: تقبّل.
(٥) الحبب: ما يعلو الماء ونحوه من فقاقيع.
(٦) طرّت: سقطت ـ انكدرت الشهب: تناثرت.
(٧) القطر: المطر ـ حلّى: زيّن ـ النحر: الجيد.
(٨) حصب المكان أو الشخص: رماه بالحصى، والحصى هنا هو قطع البَرَد ـ الأباطح: جمع أبطح مسيل الماء الواسع ـ غشى به: غطى.

فـالأرضُ تَضحَـكُ عـن قـلائـدِ أنجـمٍ، نُثِـرَتْ بهـا، والجـوُّ جَهْـمٌ قـاطِـبُ[1]
فكـأنمـا زَنَـتِ البسيطـةُ تحتَـهُ، فـأكـبَّ يَـرجُمُهـا الغَمـامُ الحـاصِـبُ[2]

(٣٣)
حَديثٌ يَطيبُ

وخِيـريَّـةٍ، بيـنَ النَّسيـمِ وبينَهـا، حـديـثٌ إذَا جَـنَّ الظَّـلامُ، يَطِيـبُ[3]
لهـا نفَسٌ يَسـري، مـعَ الليـلِ، عـاطرٌ، كـأنَّ لـه سِـرّاً، هنـاكَ، يَـرِيـبُ[4]
يـدِبُّ مـعَ الإمسـاءِ، حتـى كـأنمـا لـه، خَلـفَ أستـارِ الظـلامِ، حبيـبُ[5]
ويخفَـى مـعَ الإصبـاحِ، حتـى كـأنمـا يظَـلُّ عليـه، للصَّبـاحِ، رقِيـبُ

(٣٤)
المِنْبَر والخَطِيبُ

ألا رُبَّ رأسٍ لا تـزاوُرَ بينَـه، وبيـنَ أخيـهِ، والمَـزارُ قـريـبُ[6]
أنـافَ بـه صَلْـدُ الصَّفـا، فهـو مِنبَـرٌ؛ وقـام علـى أعـلاه، فهـو خطِيـبُ[7]

---

(١) **القلائد**: جمع قلادة، الطوق يزيّن به العنق، والقلائد هنا تشبيه لحبّات البرد التي غطت الأرض **الجوّ الجهم**: العابس المقّطب.
(٢) **البسيطة**: الأرض.
(٣) **الخيرية**: زهر المنثور الأصفر ـ **جنّ الظلام**: امتد.
(٤) **يريب**: يحمل على الريبة، أي الشك.
(٥) **يدبّ (هنا)**: يقبل، يأتي.
(٦) **الرأس (هنا)**: رأس الجبل ـ **وقوله**: لا تزاور بينه وبين أخيه، إشارة إلى رأسين متجاورين ولكنهما غير متصلين.
(٧) **أناف**: ارتفع ـ **الصفا**: الصخر، وصلد الصفا: الصخر الصلب ـ شبّه في هذا البيت الصخرة العالية بالمنبر، ورأس الجبل فوقها بالخطيب.

(٣٥)
قَهْوَةٌ وحَبيبُ

وأغيَـدَ، فـي صَـدرِ النـديّ لحُسنِـهِ ... حُلـيّ، وفـي صـدرِ القصيـدِ نسِيـبُ[١]
مـن الهِيـفِ، أمّـا رِدفُـه فمُنعَّـمٌ ... خصيـبٌ، وأمـا خصـرُه فجـدِيـبُ[٢]
يـرُفُّ بَـرَوضِ الحُسـنِ، من نـور وجهِه ... وقـامتِـه، نُـوّارةٌ وقضِيـبُ[٣]
جَـلاهـا، وقـد غنّـى الحَمـامُ، عشيّـةً ... عجـوزاً عليهـا، للحَبـابِ، مشِيـبُ[٤]
وجـاءَ بهـا حمـراءَ، أمّـا زُجـاجُهـا ... فمـاءٌ، وأمـا مِلـؤهُ فلهِيـبُ
علـى لُجّـةٍ تـرتـجُّ، أمّـا حَبـابُهـا ... فنَـورٌ، وأمـا مَـوجُهـا فكثِيـبُ[٥]
تجـافَـت بهـا عنّـا الحـوادثُ، بُـرهَـةً، ... وقـد سـاعَـدَتنـا قَهـوةٌ وحبِيـبُ[٦]
وغـازَلَنـا جَفـنٌ، هنـاك، كنـرجِـسٍ، ... ومُبتَسَـمٌ، لـلأقحـوانِ، شنِيـبُ[٧]
فلِلّـهِ ذيـلٌ، للتصـابـي، سَحبتُـهُ، ... وعيـشٌ، بـأطـرافِ الشبـابِ، رطيـبُ[٨]

(٣٦)
هَلْ ساءَهُ

هـل سـاءَه أنْ آلَ آسـاً وردُه، ... وتعطّلَت، من فيهِ، كأسٌ تُشربُ[٩]

---

(١) وأغيد: أي رب أغيد، والغيد: طول الجيد ـ الحليّ: ما يتزيّن به من المجوهرات الثمينة ـ النسيب في صدر القصيد: مطالع الغزل.
(٢) الهيف: جمع الأهيف: النحيل الخصر ـ الردف: العجز يصف محاسن المحبوب فينعته بطول الجيد، وضمور الخصر وامتلاء الردف.
(٣) النّوارة: الزّهرة ـ القضيب: الغصن وهو تمثيل للقامة.
(٤) جلا الشيء: أظهره وكشف عنه، والضمير في جلاها عائد للخمرة ـ عجوزاً: أي خمرة معتقة ـ الحباب: ما يعلو الخمرة من فقاقيع.
(٥) اللّجة (هنا): الماء الجاري ـ ترتج: تهتزّ بقوة. الكثيب: المرتفع الرّملي.
(٦) يصف كيف تغلب على حوادث الزمان برفقة الحبيب والمدام.
(٧) الجفن: العين ـ المبتسم الشنيب: الثغر ذو الأسنان البيضاء والشنيب أيضاً: ريق الثغر البارد.
(٨) العيش الرطيب: العيش الهادىء المنعّم.
(٩) آل الشيءُ: تحوّل وتبدّل من حال إلى حال ـ الآس: شجر الآس المعروف بـ «الحنبلاس» وهو=

فكــأنَّ صَفحتَــه، ونَــدَّ عِــذاره،   مــاءٌ يَثــورُ، بصَفْحَتَيــهِ، طِحلِــبُ[1]

(٣٧)
حبّذا عيدٌ

قال في نعجة وكبش أملح يداعب صديقاً له:

أَلَا حَبَّـذَا عِيـدٌ تَـلاقَـت بـهِ المُنـى،   فَجـدَّدَ، مـن عَهـدِ الشَّبـابِ، مَشيـبُ
وأَعرَضَ، في حُسنِ المَليحةِ، أَملَحٌ،   يُـلاعِـبُ، رَبّـاتِ الحِجـالِ، رَبِيـبُ[2]
تَهـادت تَثنَّـى، وهْـي تُـذعَـرُ، فـالتَـوى   قَضيـبٌ بِهـا، وارتَـجَّ منـهُ كَثِيـبُ
وسَـوداءَ، أَمَّـا نِسبَـةٌ، فَهْـيَ نَعجَـةٌ،   تَـرُوقُ، وأَمَّـا نَصبَـةٌ، فنَجِيـبُ[3]
أَقَـامَ بِهـا، مـا بَيـنَ ظِـلٌّ ومَـوردٍ،   مَـرادٌ، بِبَطـنِ الـواديَيـنِ، خَصِيـبُ
أَتَتْـكَ، وأَفيـاءُ الشَّبـابِ تُظِلُّهـا؛   وهَـل زارَ، إلاّ فـي الظَّـلامِ، حَبيـبُ؟
فطُفـتَ بهـا، تَمشـي الهُـوَينـا، وإنَّمـا،   تَمَشَّـى إلَيهـا، وهـيَ تَجهَـلُ، ذِيـبُ

(٣٨)
أَظْلَمَ قَرْنُ الشمس

قال هذه القصيدة في رثاء الوزير أبي ربيعة ووصف نُوب الأيام وحوادث الزمان

شَرابُ الأمـاني، لـو عَلِمـتَ، سَـرابُ،   وعُتْبَى اللَّيـالـي، لـو فَهِمـتَ، عِتـابُ[4]
إذا ارتَجَعَـتْ أَيـدِي اللَّيَـالـي هِبـاتِهـا،   فَغـايَـةُ هـاتِيـكَ الهِبـاتِ ذَهـابُ

= هنا كناية عن عذار الحبيب.

(١) شبه عطر عذار الحبيب برائحة البخور، وكنّى عن خضرته بالآس ـ **الطحلب**: الخضرة التي تعلو صفحة الماء الراكد.

(٢) **ربّات الحجال**: النساء، **والحجال**: الستر يضرب للعروس في جوف البيت.

(٣) **النعجة**: كناية عن المرأة، **النصبة**: النبتة المغروسة، وأراد بالنصبة الأصل ـ **النجيب**: كل نفيس في نوعه.

(٤) **العتبى**: الرضى.

وهــلْ مُهجَــةُ الإنســانِ إلاّ طَــرِيــدَةٌ، تحُــومُ عَليهــا، لِلحِمــامِ، عُقــابُ[1]
يخُــبُّ بهــا، فــي كــلِّ يَــومٍ ولَيلَــةٍ، مَطــايــا إلــى دارِ البِلــى، ورِكــابُ[2]
وكَيفَ يَغِيض الـدَّمعُ أَو يَبرُدُ الحشا، وقــد بــادَ أقــرانٌ، وفــاتَ شَبــابُ
فما نابَ، عن خِلِّ الصِّبا، خِلُّ شَيبَةٍ، ولا عاضَ، مِن شَرخ الشَّبابِ خِضابُ
ألا ظَعَنَـا، مــن صــاحِــبِ وشبيبــةٍ، فهَــل لهُمــا مــن ظــاعِنَيــنِ إيــابُ؟
دَعا بِهِما صَرفُ اللَّيالي إلى البِلى، فكــلُّ الــذي فــوقَ التُّــراب تُــرابُ
فهـا أنـا أبكـي كـلَّ مَعهَـدِ راحَـةٍ، تَضــاحَــكَ أحبــابٌ بــه وصِحــابُ
أُقَلِّــبُ طَــرفــي لا أرى غَيــرَ لَيْلَــةٍ، وقد حُطَّ عن وَجهِ الصَّباحِ نِقابُ[3]
كـأنّـي، وقـد طـارَ الصَّبـاحُ حمـامـةٌ، يَمُــدُّ جَنــاحَيــهِ عَلــيَّ غُــرابُ
على حِينَ، لا غيرَ اعتبارِي خطابةٌ، فتُـوعَـى، ولا غَيـرَ العَـوِيـلِ جَـوابُ
وقد جاشَ بحرٌ، بينَ جَنبَيَّ، مائِجٌ، لــه زَخــرةٌ، فــي وَجنَتِــي، وعُبــابُ
فيا لَهُمُ من رَكبِ صَحبٍ تتابَعُوا، فُرادى، وهُمْ مُلْدُ الغُصونِ شَبابُ[4]
دعــا بِهِــمُ داعــي الــرَّدى، فكــأنَّمــا تَبـارَت بِهِـم خَيـلٌ، هنـاكَ، عِـرابُ[5]
فها هُمْ، وسِلمُ الدَّهرِ حَربٌ، كأنَّما جَثــا بينَهُــم طَعــنٌ لهُــم وضِــرابُ
هُجُــودٌ، ولا غيــرَ التُّــرابِ حَشِيَّــةٌ، لِجَنــبٍ، ولا غَيــرَ القُبــورِ قِبــابُ[6]
فَحتـى مَتـى تَبـرِي اللَّيـالـي سِهـامَهـا؛ وحَتــى مَتــى أُرمــى بِهــا فــأُصــابُ؟
وحَتــى مَتــى أَلقــى الــرَّزايــا مُمِضَّــةً، كما كَرَعَت، بَينَ الضُّلوعِ، حِرابُ[7]

---

(١) **المهجة**: الروح ـ الحمام (بكسر الحاء): الموت ـ **العقاب**: من الطيور الجارحة.
(٢) **يخبّ**: من الخبب وهو ضرب من العدو ـ **مطايا**: جمع مطية الدابة التي تمتطى وأراد بالمطايا المنايا ـ **دار البلى**: عالم الموت.
(٣) **الطرف**: العين ـ **النقاب**: ما تستتر به المرأة وجهها.
(٤) **الغصون الملد**: جمع الأملد، وهو الغصن الناعم الغضّ شبّه به شباب العمر.
(٥) **الخيل العراب**: الخيل الكريمة الخالية من الهجنة.
(٦) **هجود**: ينام، وقد شبه الموت بالنوم ـ **الحشيّة**: الفراش المحشو.
(٧) الرزايا: المصائب ـ ممضّة: موجعه ـ كرعته **الحراب**: رمته فأصابت كُراعه، والكراع (من=

فـإمَّـا كَمـا تَعـدُو الضَّـراغِـمُ عَنـوةً؛ وإمّـا كمـا تَمْشـي الضَّـراءَ ذِئـابُ
فَفِــي كــلِّ يَــومٍ فَتكَــةٌ لِمُلِمَّــةٍ، يُمَــزِّقُ جَيــبٌ، تَحتَهـا، وإهـابُ[1]
ورَبــعِ خَــلاءٍ مِــن خَلِيـلٍ، وإنَّمـا تَجـافـى حُسـامٌ مِنهُمـا وقِـرابُ
يُـذكِّـرُنيـهِ، كـلَّ حِيـنٍ، جِـوارُه، فيُحـزِنُنـي رُزءٌ بِـهِ ومُصـابُ
فَلَسـتُ بنـاسٍ صـاحبـاً مـن رَبيعَـةٍ، إذا نَسِيَـت رَسـمَ الـوَفـاءِ صِحـابُ
أَجَلتُ طِباعِي فيهِ، فـالأنـسُ وَحشَـةٌ، طِـوالَ اللَّيـالـي، والنَّعيـمُ عَـذابُ
وهَيهـاتَ لا أَغْنـى خَلِيـلٌ غِنـاءَهُ؛ وهَل عَـدَلَ العَـذْبَ الفُراتَ سَرابُ؟[2]
ومِمَّـا شَجـانـي أَن قَضَـى حَتـفَ أَنفِـهِ، وَمـا انـدَقَّ رُمـحٌ، دُونَـه، وذُبـابُ[3]
وأنَّـا تَجـاوَرنـا ثـلاثِيـنَ حِقبَـةً، فَفـاتَ سِبـاقـاً، والحِمـامُ قِصـابُ[4]
وكَيـفَ تَهـاجَـرْنـا كُهُـولاً، وإنَّمـا لَـوى الـدَّهـرُ فَـرعَينـا، ونحـنُ شَبـابُ
كـأنْ لـم نَبِـت فـي مَنـزِلِ القَصْـفِ ليلـةً، نُجِيـبُ بِهـا داعِـي الصِّبـا، ونُجـابُ[5]
إذا قـامَ مِنَّـا قـائِـمٌ، هَـزَّ عِطفَـه شَبـابٌ، أَرَقنـاهُ بِـهِ، وشَـرابُ
جَمَحنـا بمَيـدانِ الصِّبـا، ثُـمَّ إنَّنـا كَـرَرْنـا، فَكـانَـت فِتنَـةٌ ومَتـابُ
وَلمَّـا تَـراءَت لِلمشِيـبِ بُـرَيقَـةٌ، وأَقشَـعَ مِـن ظِـلِّ الشَّبـابِ سَحـابُ
نَهَضنـا بـأعبـاءِ اللَّيـالـي جَـزَالَـةً، وأَرسَـت بِنـا فـي النـائِبـاتِ هِضـابُ
فيـا عَجَبـاً لِلـدَّهـرِ كيـفَ سَطـا بِـهِ، وقـد كـانَ يُـرجـى، تـارَةً، ويُهـابُ
وكيف استلانَت صَولةُ الموتِ عُودَه، فلـم يَنـبُ عنـه للمنيَّـةِ نـابُ؟

= الإنسان): ما دون الركبة من مقدّم الساق.

(١) **الإهاب**: الجلد.

(٢) **عدله**: ساواه، ماثله ـ **الفرات**: الماء العذب.

(٣) **الذباب**: حدّ السيف.

(٤) **الحمام**: الموت ـ **وقوله**: الحمام قصاب معناه أن الموت هو الذي يفرّق ويفصل بين الصحاب ويقطع أواصرهم.

(٥) **القصف**: اللهو ـ **ومنازل القصف**: مجالس الأنس والشراب.

ولا عجبـــاً أنّـــا ذَلَلْنـــا لحـــادثٍ، تـــذِلُّ لـــه الآســـادُ، وهـــي غِضـــابُ
وأنّـــا خَضَعنـــا للمقـــاديـــرِ عَنـــوةً، كما خضَعَت، تحتَ السيوفِ، رِقابُ
ولـــو أنَّ غيـــرَ اللهِ كـــان أصـــابَـــه، لجاشَـت نفوسٌ، لا تُفادُ، صِعابُ[1]
فيا ظاعناً قد حُطَّ، من ساحةِ البِلى، بمنـــزلِ بَيـــنٍ، ليـــسَ عنـــه إيـــابُ[2]
كفى حَزَناً أن لم يَرِدني، على النَّوى، رســولٌ، ولــم ينفُــذْ، إليـك، كِتـابُ
وأنّـــي، إذا يمَّمْـــتُ قبـــرَكَ زائـــراً، وقفـــتُ ودونـــي، للتُّـــرابِ، حِجـابُ
فـأظلـمَ قَـرنُ الشمـس، وهـي مُنيـرةٌ، وضـــاقَــت بـــلادُ اللهِ، وهـــي رِحـــابُ
ورَقْرَقتُ، بينَ الحزنِ والصبرِ، عَبرةً، لهـــا جَيئـــةٌ، فـــي مُقلتـــي، وذَهـــابُ
ولـــو أنَّ حَيّـــاً كـــان حـــاورَ ميِّتـــاً، لطـــالَ كـــلامٌ، بينَنـــا، وخِطـــابُ
وأعـــربَ عمَّـــا عنـــده مـــن جَليَّـــةٍ، فـأقلَـع عـن شمـسٍ، هنـاك، ضَبـابُ
عليـكَ سـلامُ اللهِ مـن صاحـبٍ قضـى، فـأجهـشَ رَبـعٌ، بعـده، وجَنـابُ[3]
تولَّى حميدَ الذِّكر، لم يأتِ وصمةً، فتبقـى، ولـم تَـدنَـسْ عليـه ثِيـابُ[4]
أغـــرُّ طليـــقُ الصَّفحَتيـــن، كـــأنَّمـــا وراءَ تُـــرابِ القبـــرِ منـــه شِهـــابُ
ألا إنَّ جِسمـــاً يستحيـــلُ لتُـــربـــةٍ، وإنَّ حيـــــاةً تنتهـــي، لَخَـــرابُ
فـــلا سَعـــيَ إلاَّ أن يكـــونَ لآجـــلٍ ولا ذُخـــرَ إلاّ أن يكـــونَ ثـــوابُ

(٣٩)

أنتَ طبيبُ

أأدعـو، فـلا تَلـوي، وأنـتَ قـريـبُ؟ وأشكو، فلا تُشْكـي، وأنت طبيـبُ؟[5]

---

(١) جاشت النفوس: هاجت واضطربت.
(٢) الظاعن: الراحل، المسافر ـ الإياب: العودة.
(٣) اجهش الربع بالبكاء: تهيّأ له.
(٤) لم يأت وصمة: لم يرتكب إثماً يسيء إلى سمعته.
(٥) لا تلوى: لا تقف أو تتمهّل.

وما كنتُ أخشى أن أرانيَ ضاحياً، وأيكُك مطلولُ الفُروع رَطِيبُ[1]
وهل يستجيزُ المجدُ أن أشتكي الصَّدى، وأنتَ رِشاءٌ مُحْصَدٌ وقَلِيبُ؟[2]
وكيفَ بمطلوبي، إذاشطَّتِ النَّوى، وقد ضَمَّ من قُربٍ، فليسَ يُجيبُ؟
فهل شِيبَ، من تلك المُصافاةِ، مَشرعٌ، وهِيل، على ذاك الإخاءِ، كَثِيبُ؟[3]
سلامٌ على عهدِ الوفاءِ مودِّعاً، سلامُ فِراقٍ ما أقامَ عَسِيبُ[4]
سلامٌ له، فوقَ المحاجرِ، بَلَّةٌ، وطوراً بأحناءِ الضلوعِ لهِيبُ[5]
وقد كان يَسري، والتنائفُ بيننا، فتَندَى به ريحٌ، وينفَحُ طِيبُ[6]
وتفترُّ عن بِشرٍ، هنالك، زَهرةٌ؛ ويهفُو له من مَعطِفيَّ قضِيبُ

(٤٠)

نارُ القِرى

يخيّم الشاعر وسط الطبيعة وعندما جنّه الليل، أوقد نار القرى وأمعن في وصفها وقد بسطت فوقها سماءً من دخان

ومَعِينُ ماءِ البِشرِ أبرقَ هشَّةً، فكرَعتُ من صَفَحاتِه في مَشربِ[7]
متهلِّلٌ يَندى، حياءً، وجهُه، فتَراه بين مفضَّضٍ ومذَهَّبِ[8]

---

(١) **الأيك**: الشجر الكثير الملتف.

(٢) **الصدى (هنا)**: الظمأ، والعطش الشديد ـ **الرشاء**: حبل الدلو، **الرشاء المحصد**: الحبل المفتول، المستحكم الصنعة ـ القليب: الدلو ـ يقول لائماً: كيف أظمأ وأنت كالدلو وبإمكانك أن ترويني فتذهب غلتي؟.

(٣) **شيب**: لم يعد صالحاً ـ **المصافاة**: الودّ والإخاء الصادق ـ **المشرع**: مورد الماء ـ **هيل**: المجهول من أهال (التراب): جعله ينهال.

(٤) **عسيب**: جبل.

(٥) **المحاجر**: العيون ـ **بلّة**: اسم المرّة من بلّ، والمراد الدمعة ـ أحناء الضلوع: حناياها.

(٦) **التنائف**: جمع تنوفة، الفلاة، القفر.

(٧) **المعين من الماء**: الماء الجاري المرئي بالعين ـ **البشر**: بشاشة الوجه من بشَر يبشِر، وأبشر.. به: سُرّ، **بشرني بوجه حسن**: أي لقيني طلق الوجه ـ **الهشة**: الابتسامة ـ **كرع كرعاً وكروعاً في الماء**: مدّ عنقه وتناول الماء بفيه من موضعه.

(٨) مفضّض: مموّه أو مرصّع بالفضّة، ومذهّب: مرصع بالذّهب.

أضنى الحُسامَ حَسادةً، ففِرِنْدُه دمعٌ ترَقرقَ، فوقَه، لم يَسكُبِ[1]
خيّمتُ منه بين طودٍ باذخٍ نالَ السِّماكَ، وبين وادٍ مُعشِبِ[2]
تهفو به نارُ القِرى، فكأنّها، مهما عَشا ضيفٌ، لسانُ المُعرِبِ[3]
حمراءُ، نازعتِ الرياحَ رِداءَها، وَهْناً، وزاحمتِ السماءَ بمَنكِبِ[4]
ضرَبتْ سماءً من دخانٍ فوقَها، لم يُذرَ فيها شعلةٌ من كوكبِ
وتنفّسَتْ عن كلِّ نَفحةِ جَمرةٍ، باتَت لها ريحُ الجَنوبِ بمَرقَبِ
قد أُلهبَتْ، فتذهَّبَت، فكأنّها، لسكونِ شرِّ شرارِها، لم تَلهَبِ[5]
تذكو وراءَ رَمادِها، فكأنّها شقراءُ، تمرحُ في عَجاجٍ أكهبِ[6]
والليلُ قد ولَّى يُقلِّصُ بُردَه، كدّاً، ويسحَبُ ذيلَه في المغربِ[7]
وكأنما نجمُ الثريّا، سَحرةً، كفٌ تُمسِّحُ عن مَعاطفِ أشهَبِ[8]

(٤١)

الأنس النّدي

ونَديّ أُنسٍ هزَّني هَزَّ الشَّرابِ من الشَّبابِ[9]

---

(١) الفرند: جوهر السيف ووشيه.
(٢) الطود: الجبل ـ الباذخ: العالي، الشاهق ـ السماك: نجم.
(٣) القرى: الضيافة، ونار القرى: النار التي يهتدي بها المسافر ليلاً وصولاً إلى أماكن الضيافة ـ عشا الضيف إلى النار: قصدها ليلاً.
(٤) وهنا: أثناء الليل.
(٥) ألهبت النار: أضرم لهبها ـ تذهّبت: صارت بلون الذهب من شدّة التوقد.
(٦) ذكت النار: سعّرت واشتد لهبها ـ تمرح: تختال مزهوة ـ العجاج: الغبار ـ الأكهب: اللون الأغبر المشرب سواداً.
(٧) قلّص البرد: شمّره ورفعه، والبرد: الثّوب.
(٨) الثريا: مجموعة نجوم ـ سحرة: أي في السحر ـ معاطف: أعناق، جمع معطف ـ الأشهب: الفرس الأشهب أي البيضاء التي يداخل بياضها سواد.
(٩) نديّ أنس: النّادي أو مجلس أنس ـ هزّني: حرّكني بقوة، أهاج مشاعري.

والليـــلُ وضّـــاحُ الجَبيـــنِ، قصيـــرُ أذيـــالِ الثِّيـــابِ[1]
فقَنَصـــتُ منـــه حَمـــامـــةً بيضـــاءَ، تَسنـــحُ مـــن غُـــرابِ[2]
والنَّـــورُ مبتسِـــمٌ، وخـــدُّ الـــوردِ محطـــوطُ النِّقـــابِ[3]
ينـــدَى بـــأخـــلاقِ الصِّحـــاب، هنـــاك، لا بِنَـــدى السَّحـــابِ[4]
وكِـــلاهُمـــا نَثـــرٌ، كمـــا نَثَـــروا القـــوافـــيَ بـــالخِطـــابِ[5]
فكـــأنَّ كـــأسَ سُـــلافـــةٍ ضَحِكـــت، إليهـــم، عـــن حَبـــابِ[6]

(٤٢)

دَعْ عنْكَ

دع عنكَ مِن لومِ قومٍ لستَ تَخْبُرُهُمْ، إلاَّ تَكَشَّـفَ سِتـرُ الغَيـبِ عـن عَيْـبِ[7]
عُوجٌ، على الدَّهرِ، هُوجٌ، غيرَ أنَّهمُ سُودٌ مـنَ الجهـلِ، بِيضـانٌ مـن الشَّيـبِ

(٤٣)

بادَ فأنقضى

بعَيشِك هل تَدري، أَهُوجُ الجَنائِبِ، تَخُبُّ برَحلي، أم ظُهورُ النَّجائبِ؟[8]
فما لُحتُ في أُولى المشارقِ كوكباً، فأشرَقتُ، حتى جِئتُ أُخرى المغاربِ
وحيـداً تَهـاداني الفَيـافـي، فـأجتلـي وجـوهَ المَنـايـا، فـي قِنـاعِ الغَيـاهِـبِ[9]

(١) **الليل الوضاح الجبين**: الليل المقمر ـ **ليلٌ قصير الأذيال**: كناية عن تقلّص رقعة ظلامه المنعكس على الأرض.
(٢) **قنص**: تصيّد ـ **تسنح من غراب**: أي تقبل هرباً من غراب، وفي البيت تورية.
(٣) **النور المبتسم**: الزهر المفتّرة أكمامه ـ **النّقاب (أصلاً)**: الغطاء، **ونقاب الورد**: كمائمه وقوله: محطوط النّقاب: أي متفتح الأكمام.
(٤) **يندى**: يجود ـ **ندى السحاب**: طلّه، المطر.
(٥) **القوافي**: كناية عن أبيات الشعر.
(٦) **السلافة**: الخمرة ـ **الحباب**: ما يعلو من الفقاقيع.
(٧) **تخبرهم**: تختبرهم، تمتحنهم.
(٨) **الجنائب**: رياح الجنوب ـ **الهوج**: الهوجاء ـ **النجائب**: النّوق الكريمة، جمع نجيبة.
(٩) **تهاداني الفيافي**: تتهاداني، والفيافي: جمع فيفاء، الفلاة المقفرة ـ **إجتلى الوجوه**: نظر إليها ـ

ولا جــارَ إلاَّ مــن حُســامٍ مُصمَّــمٍ؛ ولادارَ إلاَّ فــي قُتُــودِ الــرَّكــائِــبِ[1]
ولا أُنــسَ إلاَّ أن أُضــاحِــكَ، ســاعــةً، ثُغــورَ الأمــانــي فــي وجــوهِ المطــالــبِ
وليلٍ، إذا ما قلتُ قد بادَ، فانقضى، تكشَّفَ عن وعدٍ من الظَّنِّ كاذبِ[2]
سحَبتُ الــدَّيــاجــي فيهِ ســودَ ذوائــبٍ، لأعتنِــقَ الآمــالَ بيــضَ تــرائِــبِ
فمزَّقتُ جَيبَ الليل عن شخصِ أطلسٍ، تَطلَّعَ وَضّاحَ المَضاحِكِ قاطِبِ[3]
رأيتُ بــه قِطْعــاً مــن الفجــرِ أغبَشــاً، تــأمَّــلَ عــن نجــمٍ، تَــوقَّــدَ، ثــاقــبِ
وأرعــنَ طَمّــاحِ الــذؤابــة، بــاذخٍ، يطــاوِلُ أعنــانَ السمــاء بغــارِبِ[4]
يسُــدّ مَهــبَّ الريــحِ عــن كــلِّ وُجهَــةٍ، ويَــزحَــمُ، ليــلاً، شُهبَــهُ بــالمَنَــاكِــبِ
وقــورٍ، علــى ظَهــرِ الفــلاةِ، كــأنــه، طِــوالَ اللَّيــالــي، مُفكــرٌ فــي العَــواقــبِ
يلــوثُ عليــه الغَيــمُ ســودَ عَمــائــمٍ، لها، من وَميضِ البَرقِ، حُمرُ ذَوائبِ[5]
أَصَخــتُ إليــه، وهــو أخــرسُ صــامــتٌ، فحــدَّثَنــي ليــلُ السُّــرى بــالعَجــائــبِ
وقــالَ: ألا كــم كنــتُ ملجــأ قــاتــلٍ، ومَــوطِــنَ أوّاهٍ، تَبَتَّــلَ، تــائِــبِ[6]
وكــم مَــرَّ بــي مــن مُــدلِــجٍ ومُــؤوِّبٍ، وقــالَ بظِلِّــي مــن مَطِــيٍّ وراكــبِ[7]
ولاطَمَ، من نُكبِ الرياحِ، معاطفي، وزاحَمَ، من خُضرِ البحارِ، غَوارِبِي[8]
فمــا كــان إلاّ أنْ طَــوَتهُــم يــدُ الــرَّدى، وطــارَت بهــم ريــحُ النَّــوى والنَّــوائِــبِ

= الغياهب: جمع غيهب: الظلمة الشديدة.
(١) **الحسام المصمّم**: السيف الماضي القاطع - **القتود**: جمع قتد خشبة الرحل.
(٢) **باد الليل**: ذهب، وولّى.
(٣) **الأطلس**: الذئب الأغبر المائل إلى السواد - **المضاحك**: جمع مضحك، الثغر - **القاطب**: العابس المتجهم.
(٤) **الأرعن**: الجبل ذو الرعان، الطويل - **الذؤابة بعامّة**: الشعر المضفور، **والذؤابة من كل شيء** أعلاه، وهنا قمة الجبل - **أعنان السماء**: السحب - **الغارب**: الظهر.
(٥) **يلوث**: يعقد، يربط - **العمائم**: جمع عمامة غطاء الرأس.
(٦) **الأواه**: الكثير التأوّه - تبتل: تنسك وتعبّد.
(٧) **المدلج**: السائر ليلاً - **المؤوب**: العائد.
(٨) **الغوارب**: جمع غارب، **الظهر**.

فمـا خَفْـقُ أَيكـي غيـرَ رَجفـةِ أَضلُـعٍ؛ ولا نَـوْحُ وُرقِـي غيـرَ صَـرخةِ نـادِبِ[1]
ومـا غَيَّـضَ السُّلـوان دمعـي، وإنمـا نَـزَفـتُ دُمـوعـي فـي فِـراقِ الصَّـواحِـبِ
فحتَّى متى أبقى، ويظْعَـنُ صـاحِـبٌ، أُوَدِّعُ منــه راحِــلاً غيــرَ آيِــبِ؟
وحتَّى متى أَرعى الكـواكِبَ سـاهـراً، فمن طالِعٍ، أُخرى الليالي، وغارِبِ؟[2]
فـرُحماكَ يـا مَـولايَ، دِعْـوةَ ضـارعٍ، يمُــدُّ إلــى نُعمــاكَ راحــةَ راغِــبِ
فـأَسمَعَني، مـن وَعِظـه، كـلَّ عِبـرةٍ، يتــرجِمُهــا عنــه لســانُ التجــارِبِ[3]
فسَلّى بمـا أبكـى، وسـرّى بمـا شَجـا، وكان، على عَهدِ السُّرى، خيرَ صاحِبِ
وقُلْــتُ، وقــد نكَّبــتُ عنــه لِطِيَّــةٍ: سَـلامٌ، فـإنَّـا مِـن مُقيـمٍ وذاهِــبِ[4]

(٤٤)

يا ملكَ الملوك

من مدائحه التي أثنى بها على أبي إسحاق ابن أمير المؤمنين

بمثـلِ عُـلاكَ، مـن ملِـكٍ حسِيـبِ، عـدَلـتُ إلـى المـديـحِ عـن النسِيـبِ[5]
وسـاعَــدَنــي ثَنــاءٌ فيــك رَطْــبٌ، كمــا ســرَتِ التحيَّــةُ مــن حَبيــبِ
وهــزَّت مــن مَعــاطِفِــيَ القَــوافــي، كمـا هفَـت النُّعـامـى بـالقضِيـبِ[6]
أَمَــا ورُواءِ دولتِــه، يمينــاً تــألآهــا نجيــبٌ فــي نَجيــبِ[7]
لقــد ضحِــكَ الصبَّــاحُ بمُجتَــلاه، وراءَ الليــلِ، عــن ثَغــرٍ شنِيــبِ[8]

---

(١) الورق: الحمائم، جمع ورقاء ـ النادب: الباكي المتفجع.
(٢) الكوكب الغارب: الآفل.
(٣) العِبرة (بالكسر): الموعظة، والعَبْرة (بالفتح): الدّمعة.
(٤) الطيّة: السفر.
(٥) الملك الحسيب: ذو الحسب، والحسب: المحتد الشريف ـ النسيب: الغزل.
(٦) هزّت: حرّكت ـ المعاطف: حنايا النفس ـ القوافي: الشعر من باب المجاز المرسل ـ هفت: تطاير لخفته، انخفض وهفت أيضاً: تساقط ـ النّعامى: ريح الجنوب.
(٧) الرُّواء: حسن المنظر ـ تألّي اليمين: حلفها ـ النجيب: الكريم الأصل.
(٨) الثغر النشيب: الطيّب.

وظـاهـرَنـي، بمُغتـرَبـي، حُسـامٌ، أَنِسـت بـه، ونِعـمَ أخـو الغـرِيـبِ
أَشِيـمُ بـه سنَـا بـرقٍ يَمـانٍ، يُخفِّـرنـي إلـى المَـرعـى الخصِيـبِ
إلـى جَـذلانَ، وضّـاحِ المُحيّـا، سليـمِ القلـبِ والصـدرِ الـرَّحيـبِ
إلـى يقظـانَ، وقّـادِ العَـوالـي، مُـريـشِ السَّعْـيِ بـالـرأيِ المُصيـبِ[1]
يسـاورُ، منـه، طـوراً، ليثَ غـابٍ، ويمسَـحُ، تـارةً، عِطْفَـيْ أَدِيـبِ
إذا استمطـرتَ منـه غَمـامَ رُحْمـى، أَوِ استنصـرتَ فـي يـومٍ عصيـبِ[2]
مَـلأتَ يـديـك يُسـراهـا بيسـرٍ، ويُمنـاهـا بمُختَـرَطٍ خشيـبِ[3]
فـإن تنـزِلْ، فـلا بسـوى تميـمٍ؛ وإن تحمِـل، فـلا بسـوى قضيـبِ[4]
فـإنَّ الغيـثَ فـي بِيـضِ الأيـادي؛ وإنَّ الغَـوثَ فـي النَّصـل الخضيـبِ[5]
إمـامٌ فـي الـذُّؤابـة مِـن قُـرَيـشٍ؛ وحَسـبُ المجـدِ مـن عُـودٍ صليـبِ[6]
تَشِيـمُ بصَفحَتَيـهِ بُـروقَ بِشـرٍ، تُعيـدُ بَشـاشـةَ الـرَّوضِ الجـديـبِ
تَمُـجُّ الـريَّ أنفـاسُ المَجـانـي بـه، ومَغـارسُ العُـودِ السليـبِ[7]
ويجمُـلُ فـي حُبـاه طَـودُ حِلـمٍ، تعُـدُّ، خـلالَـه، رمـلَ الكثيـبِ[8]
تَطلَّـعَ، للعيـونِ وكـلِّ قلـبٍ، شُعـاعٌ يُستطـارُ مـن الـوجيـبِ

---

(١) **العوالي**: الرماح ـ **مريش**: اسم فاعل من أراش (السهم): ألزق عليه الريش، **والرّائش**: السهم ذو الرّيش، وقوله مريش السّعي من باب الاستعارة أي أنّه يجد في المسعى ويرمي فيصيب مرماه.
(٢) **استمطر منه الرحمى**: سأله إياها ـ **اليوم العصيب**: الشديد.
(٣) **المخترط**: أي السيف المخترط، **الخشيب**: السيف المسلوك.
(٤) **التميم هنا**: التام الشمائل.
(٥) **الغيث**: المطر ـ **الغوث**: العون ـ **النّصل**: حديدة السهم، **والنّصل الخضيب**: المخضّب بالدم.
(٦) **الذؤابة**: الأعلى من كلّ شيء ـ **العود الصليب**: أي الخالص النّسب.
(٧) **مجّ الشيء**: رمى به ـ **العود السليب**: المقشور.
(٨) **يجمل**: يبدو جميلاً ـ **الحبى**: جمع حبوة، العمامة أو الثوب ـ **الطود**: الجبل ـ **الحلم**: الرزانة الوقار.

بمُعضِلةٍ تَشيبُ لها النَّواصي، فما تَلقى، هنالك، غيرَ شِيبِ
فقلتُ، وقد زجَرتُ الطَّيرَ: مهلاً، فغِربانُ العدوِّ إلى نعيبِ
كأنَّك بالظهورِ يشُدُّ رَكضاً، وبالبُشرى تَخُبُّ على نجيبِ[1]
وقد غنَّى الحُسامُ يَصِلُّ قَرعاً، وأفضى بالعدوِّ إلى النحيبِ
فأضحَكَ، من نَجاةِ الثغرِ، ثَغراً؛ ونَفَّس، من حِماه، عن كئيبِ
فقَرَّ، وكان أخفقَ من جَناحٍ؛ ونامَ، وكانَ أرعى من رقيبِ
وهل جَمَعَ العِدى إلاّ هشيمٌ؛ وهل بِيضُ السيوفِ سوى لهيبِ؟
فقل للخيلِ، والأبطالُ شُوسٌ: ألا كُرِّي، وقل للشمسِ: غيبي[2]
وبرِّد حرَّ أَحشاءِ الموالي؛ وخَضخِض لُجَّةَ العَلَقِ الصّبيبِ[3]
وبدِّد شملَ آمالِ الأعادي؛ وطَأْ تيجانَ أَربابِ الصليبِ
وسُمْهُم، إن يَغُضُّوا أو يعَضُّوا، بعَقبِ الحَربِ، أُنملةَ الحريبِ[4]
فإنَّك، والرِّباطُ إلى اغتباطٍ، كفيلُ السَّعْدِ بالفَتحِ القريبِ[5]
وإنّي، والنسيمُ بها لذيذٌ، لَمشتمِلٌ على نَفَسٍ مُذيبِ
لحادثةٍ تُصدِّعُ من صَفاتي، مكدِّرةٍ صَفاءً من قليبِ[6]
فها أنا أَلحظُ الأيامَ شزراً، وأَرميها بطَرفِ المُستريبِ
وأَشكو، لو شكوتُ، إلى مُصيخٍ، ليالِيَ لا توقِّرُ من مَشيبِ
تَمشَّى، تارةً، مشيَ السَّبَنْتي، وآونةً، تَدِبُّ دبيبَ ذيبِ[7]

---

(١) **تخبّ**: تجري، تعدو، من الخبب وهو ضرب من العدو.
(٢) **الأبطال الشوس**: الطّوال.
(٣) **خضخض**: الأمر من خضخض: أي حرّك ـ **العلق**: الدم ـ الصبيب: المسفوح.
(٤) **الأنملة**: الأصبع، أو رأس الإصبع ـ **الحريب**: الذي سلب ماله.
(٥) **الرباط**: أراد مدينة الرباط المغربيّة.
(٦) **صدّع الشيء**: شقّه ـ الصفاة: العقل ـ **القليب**: البئر.
(٧) **السّبنتى**: الشجاع ذو الجرأة، والسّبنتى: النّمر ـ **ذيب**: مخفف ذئب.

وكنتُ، متى استرَبتُ من الليالي، فزعتُ إلى ثبيرٍ أو عَسيبِ[1]
إلى جبلٍ، أصُدُّ به العَوادي، وأقتادُ المُنى قَودَ الجنيبِ[2]
أظَلُّ به أُنادي من بعيدٍ، وألتمسُ المَطالبَ من قريبِ
فيا مَلِكَ المُلوكِ، ولي لِسَانٌ يُشيرُ به البَنانُ إلى خَطيبِ
يفُضُّ بكلِّ قافيةٍ خِتاماً، ويُفعِمُ كلَّ نادٍ ريحَ طِيبِ
دعاءٌ، لو دعوتُ به جَماداً، لَهَزَّ مَعاطفَ الغُصنِ الرَّطيبِ
ومِثلي هَزَّ مثلَك، ثم أصغَى، على ثِقَةٍ، يُصيخُ إلى مُجيبِ
وردَّدَ فيك نَظرتَه، رجاءً، كما التفتَ العليلُ إلى الطبيبِ

(٤٥)
إنّه لَمبرّزٌ

يا لِينَ عِطفي، واخضِرارَ جَنابي، لِرَفيفِ آدابٍ، وماءِ شَبابِ
راقا ورَقَّا، فالتَقى بِهِما، مَعاً، ثَغْرُ الحبَابِ، وأوجُهُ الأحبابِ
فَسَجَعتُ ثَمَّ حَمامَةً، ومِنَ المُنى أنّي استعَرتُ لَها جَناحَ غُرابِ
وسَكِرتُ سُكْرَيْ قهوةٍ وشبيبَةٍ؛ وسَحَبتُ مِن ذَيْلَيْ هَوًى وتَصابي[3]
وأمّا وطِرفي، إنّه لَمُبَرِّزٌ، في حَلْبَةِ الشُّعَراءِ والكُتَّابِ
مُتَخايِلٌ، في صَدرِ كلِّ جَريدَةٍ، بقَصيدَةٍ وكَتيبَةٍ لِكِتابِ[4]

(٤٦)
أجَدْتَ وجُدْتَ

كتب هذه الأبيات إلى أبي إسحاق بن ميمون

بَرَعتَ فَرُعتَ، فمَن ذا حَبيبٌ، له الوَيلُ، أم مَن أبو الطَّيِّبِ

(١) استراب: داخله الريب، شكّ ـ فزع إلى المكان: لجأ ـ ثبير وعسيب: جبلان.
(٢) أصدّ: أدفع ـ العوادي: الشدّائد، وعوادي الدهر: عوائقه.
(٣) سحب من ذيله: تبختر، مشى زهواً.
(٤) المتخايل: المزهو ـ الجريدة: الكوكبة من الفرسان.

وَلَوْ جارَياكَ إلى غايةٍ، لَفُزتَ، وكانا من الخُيَّبِ[1]
أجَدتَ وَجُدتَ، فَمِن رَوْضَةٍ تَضُوعُ، ومِن وابِلٍ صَيِّبِ[2]
وحَسبيَ علياكَ مِن دَوحَةٍ، وبِرُّكَ من ثَمَرٍ طَيِّبِ
وعِندي، فهَلْ لكَ مِن رَغبَةٍ، لكَ البِكرُ في خُلُقِ الثَّيِّبِ؟[3]

(٤٧)

أثْمَرَتْ بالذّهب

يصف حديقة الطير فيها يخطب والأغصان تطرب، وتزدهي فيها نارنجة خضراء محملة بثمار من الذهب.

ألا أفصَحَ الطَّيرُ، حتى خطَبْ، وخفَّ له الغصنُ، حتى اضطَّرَبْ
فمِلْ طرباً بينَ ظِلٍّ، هَفا، رطيبٍ، وماءٍ، هناك، انثعَبْ[4]
وجُلْ في الحديقةِ، اختِ المُنَى، ودِن بالمُدامةِ، أمِّ الطَّربْ[5]
وحاملةٍ، من بناتِ القَنا، أماليدَ تَحمِلُ خُضرَ العَذَبْ[6]
تنوبُ، مورقةً، عن عِذارٍ؛ وتضحَكُ، زاهرةً، عن شَنَبْ[7]
وتندَى بها، في مهَبِّ الصَّبا، زَبَرْجَدَةٌ أثمرَت بالذَّهب[8]
تَفاوَحُ أنفاسُها تارةً؛ وطَوراً تغازِلُها من كثَبْ[9]

---

(١) الخيّب: الذين تصيبهم الخيبة، أي الفشل.
(٢) الوابل الصيّب: المطر الشديد الانهمار.
(٣) الثّيب: المتزوجة التاركة زوجها، المرأة غير البكر.
(٤) هفا (الظلّ): خفق ـ انثعب الماء: سال.
(٥) جُلْ: الأمر من جال، جال في المكان: طاف ودار ـ المدامة: الخمر.
(٦) حاملة: أي شجرة حاملة ـ بنات القنا: كناية عن الأغصان ـ والقنا: جمع القناة، العود الطويل ـ الأماليد: الأغصان الناعمة واللّيّنة، جمع أملود ـ العَذَب (بفتح الأول والثاني): الأفنان.
(٧) العذار: الشعر الذي يلي شحمة الأذن ـ، الشّنب: الأسنان البيضاء، والشّنب أيضاً: الريق.
(٨) الزبرجدة: من الحجارة الثمينة، والزبرجد أخضر اللون ـ وقوله: أثمرت بالذهب يقصد ثمار شجرة النّارنج الذهبية اللون.
(٩) تفاوح أنفاسها: تنتشر ـ طوراً: تارة ـ من كثب: أي من مكان قريب.

فتبسِمُ، في حالةٍ، عن رِضاً؛ وتنظُرُ، آونةً، عن غضَب

(٤٨)
دعاني النُهى

ألا دَعاني اليومَ داعي النُهى، وقَوَّمَتْ قِدحيَ أيدي الخُطُوبْ[1]
وكنتُ خفَّاقَ جَناح الصِّبا، جَرَّارَ أذيالِ التصابي، سَحُوبْ[2]
فربَّ ليلٍ أقمرٍ بِتُّهُ، مُهتزَّ أعطافِ الأماني، طَرُوبْ
هَصَرتُ فيه من غصونِ الصِّبا؛ وبِتُّ أجني من ثِمارِ الذُّنُوبْ
سِيّانِ سِيّانِ صباحُ المُنى، إذا انطوى عنك، وليلُ الكُرُوبْ[3]

(٤٩)
اسحَبْ ذُيولَ اللهو

يدعو الشاعر إلى نهب اللذات قبل أن يولي قطار العمر.

أيُّ زمانٍ جادَ إلاّ نَهَبْ، أم أيُّ خَطْبٍ جارَ إلاّ ذَهَبْ؟[4]
كُلاًّ طوى الدهرُ، فلا ما وَهَى بجانبٍ دامَ، ولا ما وَهَبْ[5]
فما لعقلٍ وافرٍ والمُنى؛ وما لنفسٍ حُرَّةٍ والذَّهَبْ
فَصِلْ، إذا قارعتَ قِرناً، وصِلْ خِدْناً، ولا تُقْلِعْ، إذا السيفُ هَبّ[6]

---

(١) النّهى: العقل ـ القدح: السهم ـ الخطوب: الدّواهي، والأمور الجليلة جمع خطب.
(٢) التصابي: الميل إلى اللهو.
(٣) سيّان: مثنى سيّ، والسيّ: المثل ـ الكروب: جمع كرب، الحزن والغم الشديد.
(٤) الخطب: الشأن، والخطب الأمر المكروه ـ جار: من الجور، وهو الظلم والاستبداد.
(٥) وهى (الشيء): خار وضعف ـ وهب: منح وأعطى. تلاحظ المجانسة غير التّامة بين: وهي، ووهب.
(٦) صل: الأمر من صال: وثب للسطو، وصال: قهر ـ قارع: صارع ـ القِرن (بكسر القاف): النّد، المثيل ـ الخدن: الحبيب، الصاحب.

وابتَــع بكيــسِ كــاسَ مَشمــولــةٍ، واسحَب ذيولَ اللَّهو، واخلَع، وهبْ[1]
واستضحــكِ المجلِــسَ عــن قَهــوةٍ، قــد نبَّهَــت للصُّبــحِ هُــدأً، فهَــبّ[2]
نــاريّــةِ اللَّــذعــةِ، نُــوريَّــةٍ، فــي صُفــرةٍ فــاقعــةٍ، أو صَهَــبْ[3]
وهُــزَّ، مــن عِطفَيــك عــن نَشــوةٍ، غُصنــاً، إذا مــا نفَّــسَ الصُّبــحُ هَــبّ
بــأبيــضٍ، كــالمــاءِ، مستــودَعٍ، مــا شئتَــه مــن أحمــرٍ، كــاللَّهَــبْ[4]
لــو ذابَ هــذا لجَــرى فِضَّــةً، أو جَمَــدتْ تلــك لكــانــت ذهَــبْ[5]

(٥٠)

أَحِنُّ... معَ الغُروبِ

لا، والــذي تُجلــى الكــروبُ بــه، وتَنفــرِجُ الخُطــوبْ
لا بِــثُّ، إلاَّ بيــن دَمــعٍ يَنهمــي، وَحَشــاً يَــذوبْ[6]
حَــرّانَ، أَنتشــقُ النسِيــمَ، ونِعــمَ مســلاةُ الكــروبْ[7]
لا تلتقــي الأجفــانُ فيــكَ، ولا المضــاجــعُ والجُنــوبْ
أبــداً أحِــنُّ إليــك شــوقــاً، كــالغــريــبِ مــعَ الغُــروبْ
وأقــولُ للــرِّيــحِ الجَنــوبِ، مــعَ الأصيــلِ، صِلــي الهُبــوبْ
فهــلِ استطبــتَ بــيَ الشَّمــالَ، كمــا استطبــتُ بــكَ الجَنــوبْ؟

---

(١) **كاس**: مخفّف كأس ـ **الشمولة**: الخمرة التي برّدتها ريح الشمال ـ **هب**: الأمر من وهب، أعطى دون مقابل.

(٢) **القهوة**: الخمرة ـ **الهدء**: الجزء من الليل، يقال: هدأة الليل: أي وقت النوم.

(٣) **نارية اللذعة**: أي مذاقها حاد كالنّار ـ **نوريّة**: نسبة إلى النور أي مشعّة كالضياء ـ **الصهب**: اللون الأشقر.

(٤) **بأبيض**: أي بكأس أبيض ـ **من أحمر**: أي شراب أحمر ـ **كاللهب**: شبه الخمرة بالهب بجامع الحدّة واللون.

(٥) **ذاب هذا**: أي الكأس ـ **تلك**: الخمرة.

(٦) **انهمى الدمع**: سال وجرى غزيراً ـ **الحران**: الشديد العطش.

(٧) **الكروب**: جمع كرب، الحزن ـ **الخطوب**: جمع خطب، الأمر المكروه.

(٥١)
ثَمَّ الحسابُ

أَلا قَصـــرُ كـــلِّ بَقَـــاءٍ ذَهـــابْ، وعُمـــرانُ كـــلِّ حيـــاةٍ خَـــرابْ[1]
وكـــلّ يُـــدانُ بمـــا كـــانَ دانَ، فثَـــمَّ الجَـــزاءُ، وثَـــمَّ الحِســـابْ
فـــلا تُجـــرِ كفَّـــك، مـــن مُهـــرَقٍ، بمـــا لا يَســـرُّ، هنـــاك، الكِتـــابْ[2]
فـــإنَّـــك يـــومـــاً مُجـــازى بـــه، وإنَّ يَـــــداً كَتَبَتْـــــه تُـــــرابْ
ولا خِطَّـــةٌ غيـــرَ إحـــدى اثنَتيـــنِ: إمَّـــا نعيـــمٌ، وإمَّـــا عَـــذابْ
فـرُحمـاكَ! يـا مَـن عليـه الحِسـابُ؛ وزُلفـاكَ! يـا مـن إليـهِ المـآبْ[3]

---

(١) الذّهاب: فناء الشيء، ذهابه إلى غير عودة.
(٢) المهرق: اسم مفعول من أهرق، أهرق الماء: صبّه، والدم: سفكه.
(٣) الزّلفى: المنزلة ـ المآب: الرجوع، العودة.

قافية التاء

(٥٢)
كيف آنَسُ بالمُنى

أَلا صُمَّتِ الأجداثُ عنّي فلم تُجِب، ولم يُغْنِني أَنّي رَفَعتُ لها صوتي[١]
فيا عجباً لي! كيفَ آنَسُ بالمُنى، وغايةُ ما أَدْرَكتُ منها إلى الفَوتِ؟
وهل من سرورٍ، أَو أَمانٍ لعاقلٍ، ومَفضى عُبورِ العابرين إلى المَوتِ؟[٢]

(١) صمّت الأجداث: لم تسمع ـ الأجداث: جمع جدث: القبر.
(٢) مفضى: اسم المكان من أفضى إلى: وصل إلى.

قافية الثاء

(٥٣)
نَشْوَةٌ

وعَشِـيٍّ أُنْـسٍ أَضجَعَتنـي نَشْـوةٌ ... فيـه، تُمهِّـدُ مضجَعـي وتُـدمِّـثُ[١]
خلعَـتْ علـيَّ بـه الاراكـةُ ظِلَّهـا، ... والغُصـنُ يُصغـي، والحَمـامُ يُحـدِّثُ[٢]
والشمـسُ تَجنَـحُ للغـروبِ، مـريضةً، ... والـرّعـدُ يَـرقـى، والغَمـامـةُ تَنفُـثُ

(٥٤)
أرى به عزّاً

قال ابن خفاجة هذه الأبيات وقد عاده صديقه الفقيه ابن عائشة:

إنَّ الليـالـي، لا دَهَتـكَ، لَعـائِثَـهْ، ... فـوقَيـتُ فيـك يـدَ الـزَّمـانِ العـابِثَـهْ[٣]
وسلِمـتُ مـن خِـلٍّ يعـودُ علـى النَّوى، ... كـرَمـاً، فتَنفـرِجُ الخُطـوبُ الكـارِثَـهْ[٤]
فـأرى بـه، للقلـبِ، قلبـاً ثـانيـاً، ... عِـزّاً، وللعينيـنِ عينـاً ثـالثَـهْ

---

(١) أضجعتني: جعلتني أضّجع أي أرقد ـ تدمّث المضجع: تجعله ليناً.
(٢) الأراكة: جمع الأراك، شجر يستاك به.
(٣) العائثة: اسم فاعل مؤنث من عاث عوثاً فلاناً عن كذا: صرفه عنه حتى تحيّر ـ العابثة: اللاهية.
(٤) الخلّ: الصديق ـ النّوى: البعد.

قافية الجيم

(٥٥)
لَنا نَهْجُ

لعَمريَ! لو أَوضَعتُ في مَنهَج التُّقى، لكانَ لنا، في كلِّ صالحةٍ، نَهْجُ[1]
فمـا يستقيـمُ الأمـرُ، والمَلْـكُ جـائـرٌ، وهل يستقيمُ الظِّلُّ، والعُودُ مُعوَجُّ؟

(١) أوضع: أسرع في سيره ـ المنهج: الطريق الواضح.

قافية الحاء

(٥٦)
إذا أَعْوَلتُ

قال هذه المرثية متحسراً لفقد ابن أخته محمد وقد مات في اغمات:

أَرَقتُ أَكُفَّ الدَّمعِ، طَوراً، وأَسفحُ، وأَنْضَحُ خدِّي، تارَةً، ثُمَّ أَمْسَحُ(١)
ودونَك طَمَّاحٌ، من الماءِ، مائِجٌ، يعُبُّ، ومُغْبَرٌّ، منَ التُّربِ، أَفيَحُ(٢)
وإنّي، إذا ما اللَّيلُ جاءَ بِفَحمةٍ، لأوري زِنادَ الهَمِّ فِيها، فأقدَحُ(٣)
وأُتبِعُ طِيبَ الذِّكرِ أَنَّةَ مُوجَعٍ، فينفَحُ هذا حيثُ هاتِيكَ تَلفَحُ
وأَلقَى بياضَ الصُّبحِ يَسوَدُّ وَحشةً، فأحسِبُني أُمسِي على حينَ أُصبِحُ
ويُوحِشُني ناعٍ، منَ اللَّيلِ، ناعِبٌ، فأزجُرُ منه بارِحاً لَيس يَبرَحُ
وأَستَقبِلُ الدُّنيا بذِكرى مُحمدٍ، فيَقبُحُ في عَينيَّ ما كان يَملُحُ(٤)
وأُشفِقُ مِن مَوتِ الصِّبا، ثُمَّ إنَّني لآمُلُ أَنَّ اللهَ يَعفُو، ويَصفَحُ

(١) أرقت الدمع: سكبته ـ نضح خدّه: بلّه.
(٢) دونك طمّاح من الماء: أي يحجزك عن غايتك ـ أراد بالطّماح.. البحر ـ المائج: الهائج والمضطرب ـ الأفيح: الواسع.
(٣) أورى الزناد: أخرج ناره ـ أقدح (بالزّند): حاول إخراج النار منه.
(٤) يملح الشيء في عينه: يحلو.

غُلامٌ، كما استَخشَنتَ جانِبَ هَضبَةٍ، ولانَ على طَشٍّ، منَ المُزنِ، أبطَحُ[1]
أَقُولُ، وقد وافى كِتابُ نَعِيِّهِ، يُجمجِمُ في أَلفاظِه، فيُصرِّحُ
أَرامٍ بأغماتٍ يُسَدِّدُ سَهمَه، فيَرمي، وقَلبٌ بالجَزيرَةِ يُجرَحُ؟[2]
فيا لَغَريبٍ، فاجأته مَنيَّةٌ، أَتَتهُ على عَهدِ الشَّبابِ تُلَحلِحُ[3]
كأنَّ لهيباً، بينَ جنبَيَّ، واقِداً، به، ورَكايا، بينَ جَفنَيَّ، تُمتَحُ[4]
جَلَستُ أَسُومُ الدَّهرَ فيه مَلامَةً، وكُنتُ، كما قد كُنتُ، أُثني وأَمْدَحُ[5]
تَراني، إذا أَعولتُ حُزناً، حَمامَةً تُرِنُّ، وَطَوراً، أَيكةً تَترَنَّحُ[6]
غَريقاً ببَحرِ الدَّمعِ والهَمِّ والدُّجى، ولو كان بَحراً واحداً كُنتُ أَسبَحُ
أُحَمِّلُ أنفاسَ الشَّمالِ تَحيَّةً، يَنُوءُ بها من ماءِ جَفنِي، فيرزَحُ[7]
فلي نَظرَةٌ، نحوَ السَّماءِ، ولَوعَةٌ، تَلَدَّدُ بي، نحوَ الجَنوبِ، فأجنَحُ[8]
فرادَعتُ عنها النفسَ، والنفسُ صَبَّةٌ؛ وراوَغتُ حُسنَ الصبر، والصبرُ أرجحُ[9]
فَنَمَّ، بأسرارِ الصَّبابةِ، مَدمَعي؛ وكلُّ إناءٍ، بالذي فيه، يَرشَحُ
وأيأستُ قلباً، كانَ يَخفِقُ، تارَةً، وتَنزُو به الآمالُ، طَوراً، فيطمَحُ
فما أَتَلَقَّى الرَّكبَ، أَرجُو تَحيَّةً تُوافي له، أو رُقعَةً تُتَصفَّحُ
ففِي ناظِري، للَّيلِ، مَربَطُ أَدهَمٍ، وفي وَجنَتي، للدَّمعِ، أَشهَبُ يَجمحُ
إذا كان قَصرُ الأنس، بالإلف، وحشَةً، فما أَشتَهي أَنِّي أُسَرُّ، فأفرَحُ[10]

(١) الطش: الخفيف أو الضعيف من المطر.
(٢) أغمات: بلدة في المغرب.
(٣) أتته تلحلح: أي لازمته ولم تبرحه.
(٤) الركايا: الآبار، جمع ركيّة ـ متحت الركيّة: استخرج ماؤها.
(٥) سام يسوم: غالى بالثمن.
(٦) أعول: رفع صوته باكياً ـ الأيكة: الشجر الكثير الملتف ـ ترنّح: تمايل من الوهن أو الضعف.
(٧) ينوء بها: من ناء بالحمل: نهض به مثقلاً ـ رزح: سقط ولم يستطع النهوض.
(٨) اللوعة: حرقة الحزن ـ تلدّد: تلفّت يميناً وشمالاً، واللفظة من لديدَي العنق وهما صفحتاه.
(٩) رادع نفسه: حملها على أن تكف ـ راوغ: خاتل ـ أرجح: أكثر رجحاناً أي أغلب.
(١٠) أراد بقصر الأنس: ما يرمي إليه، أي الغاية التي يطمح إليها.

فيا عـارِضـاً، يَستَقْبِـلُ اللَّيـلَ واكِفـاً، ويَسرِي، فيَطوي الأطْولَين، ويَمسحُ[1]
تحمَّـلْ إلـى قبـرِ الغَـريـبِ مَـزادةً، من الدَّمع، تَندى حيثُ سرتَ، وتنضحُ
وأحفـى سَـلامٍ، يَعبُـرُ البَحـرَ دُونَـه، فيَنـدى، وأزهـارَ البِطـاحِ، فتَنْفَـحُ[2]
وعَـرِّج، على مَثوى الحبيـبِ، بِنظرةٍ، تَـراه بِهـا عَينِـي، هنـاكَ، وتَلمَـحُ

(٥٧)

الظلُّ والماء القَراح

ومُـرتَبَـعٍ، حطَطـتُ الـرَّحـلَ منـهُ بحيـثُ الظِّـلُّ، والمـاءُ القَـراحُ[3]
يحـرِّمُ، حُسـنَ مَنظـرِه، مَليـكٌ، يحـرِّمُ، مُلكَـه، القَـدْرُ المُتـاحُ
فجِـرْيَـةُ مـاءِ جَـدولِـه بُكـاءٌ عليـه، وشَـدْوُ طـائـرِه نِيـاحُ[4]

(٥٨)

برأسِه ليلٌ بهيمٌ

يصف كلباً أسود الرأس مطوقاً بالبياض سريعاً ينقض على الصيد

وأخطـلَ، لـو تَعـاطـى سَبْـقَ بَـرقٍ، لطـارَ مـن الفِجـاءِ بـه جَنـاحُ[5]
يسـوفُ الأرضَ، يسـألُ عـن بنِيهـا، فتُخبِـرُ، أنفَـه عنـه، الـرِّيـاحُ[6]
أَقَـبَّ، إذا طَـرَدتَ بـه قَنيصـاً، تنكَّـبَ، قـوسَـه، الأجَـلُ المُتـاحُ[7]

---

(١) **العارض**: السحاب الممطر ـ **الواكف**: اسم فاعل من وكف المطر: انهلّ.
(٢) **أحفى سلام**: أكثره حفاوة، أي تكريماً ـ **البطاح**: جمع **البطحاء**: المسيل الواسع فيه رمل وحصى.
(٣) **المرتبع**: المنزل في الربيع ـ **الماء القراح**: الخالص.
(٤) **النّياح**: النّواح، مصدر ناح ينوح على الميت: بكى بصياح وعويل.
(٥) **الأخطل**: السريع في جريه ـ **الفجاء**: جمع فجوة المتسع من الأرض.
(٦) **يسوف الأرض**: يتنسّم رائحتها، يشمّها.
(٧) **الأقب**: الضامر ـ يصف ضموره وسرعة انقضاضه على الصيد **ويشبهه** بسهام الموت.

أطـــلَّ، بـــرأسِـــه، ليـــلٌ بهيـــمٌ، فشَـــدَّ، علـــى مخـــانقِـــه، صَبـــاحُ[1]

(٥٩)
دَمْعي مَطَرٌ تَوالَى

تَهـــادانـــي لـــذكـــركـــمُ ارتيـــاحُ، فبِـــتُّ، وكـــلُّ جـــانحـــةٍ جَنـــاحُ[2]
ودمعـــي، جِـــريـــةً، مطـــرٌ تَـــوالـــى؛ وجِسمـــي، هِـــزةً، غُصـــنٌ يَـــراحُ[3]
أإخـــوانـــي، ولا إخـــوانَ صِـــدقٍ، أُصـــافـــي بعـــدَكـــم، إلاّ الصِّفـــاحُ[4]
لحُســـنِ الصَّبـــرِ دونكـــمُ حِـــرانٌ، وللعبَـــراتِ بعـــدكُـــمُ جِمـــاحُ[5]
فـــدَيْتُكـــمُ بنفســـي مـــن كِـــرامٍ، يهُـــزُّ بهـــم، مَعـــاطفَـــهُ، السَّمـــاحُ[6]
أرى بهـــمِ النجـــومَ، ولا ظَـــلامٌ، وأَوضـــاحَ النهـــارِ، ولا صَبـــاحُ
تخـــايَـــلُ، نخـــوةً، بهـــم المـــذاكـــي، وتَعسِـــلُ، هِـــزَّةً، لهـــمُ الـــرِّمـــاحُ[7]
لهـــم هِمَـــمٌ، كمـــا شمَخَـــت جبـــالٌ، وأخـــلاقٌ، كمـــا دَمَثَـــت بِطـــاحُ
وجـــاريـــةٍ ركِبْـــتُ بهـــا ظَـــلامـــاً، يطِيـــرُ، مـــن الـــرِّيـــاحِ بهـــا، جَنـــاحُ[8]
إذا المـــاءُ اطمـــأنَّ، فـــرقَّ خَصـــراً، عَـــلا، مِـــن مَـــوجِـــه، رِدفٌ رَداحُ[9]
وقـــد فَغَـــرَ الحِمـــامُ، هنـــاك، فـــاهُ، وأتلَـــعَ، جِيـــدَه، الأجَـــلُ المُتـــاحُ[10]

---

(١) المخانق: جمع مخنق، موضع الخنق من العنق.
(٢) تهاداني الارتياح لذكركم: جعلني أتمايل فرحاً ـ الجانحة وجمعها جوانح: أضلاع الصدر.
(٣) يراح الغصن: تهزه الريح.
(٤) صافاه يصافيه: محضه الودّ ـ الصِّفاح (بكسر الصاد): السيوف.
(٥) الحران: عدم الانقياد ـ الجماح: مصدر جمح جمحا وجماحاً وجموحاً الفرس تغلّب على راكبه وذهب به لا يثني، استعصى فهو جامح بلفظ واحد للمذكر والمؤنث.
(٦) السماح: السماحة، الملاينة.
(٧) تخايل: تتخايل، تزهو ـ المذاكي: الخيول الأصيلة ـ تعسل الرماح: تهتزّ.
(٨) أراد بالجارية: السفينة.
(٩) الردف من السفينة: مؤخرها، جانبها ـ الرداح: الضخم.
(١٠) فغر ـ فتح ـ الحمام: الموت ـ أتلع جيده: رفعه.

فمـــا أدري، أَمـــوجٌ أم قُلـــوبٌ؛ وأنفـــاسٌ، تُصَعَّـــدُ، أم رِيـــاحُ

(٦٠)
بين كَلْب وأرنب

وأطلسَ، مـلءُ جـانِحَتَيـه خَـوفٌ، لأشْـوسَ، مـلءُ شَـدقَيـه سِـلاحُ[١]
يجـاهِـرُنـا، يطيـرُ حَـذارَ طـاوٍ، لـهُ رَكـضٌ يغَـصُّ بـهِ البَـراحُ[٢]
وأعجَـبُ أنْ تقلَّـصَ ذَيـلُ ليـلٍ أحـمَّ، وقـد أجـدَّ بـه الـرَّواحُ[٣]
يجولُ بحيثُ يكشِرُ عن نِصالٍ مُؤَلَّلةٍ، وتَحمِلُـــه رِمـــاحُ[٤]
وطـوراً يَـرتقـي حُـدْبَ الـرَّوابـي؛ وآوِنـةً تسِيـلُ بـه البِطـاحُ[٥]
جـرَى شَـدّاً، وللصُّبـحِ التمـاعٌ، بحيـثُ جَـرى وللبَـرقِ التمـاحُ[٦]
فخَلْخَلَـهُ، وسَـوَّرَهُ، وَميـضٌ جَـرى معـه، وطـوَّقَـه صَبـاحُ[٧]

(٦١)
تخايلَت بهِم الجِيادُ

يصف فرسان المسلمين مادحاً بسالتهم ومروءتهم

ركَضُـوا الجِيـادَ إلـى الجِـلادِ صَبـاحـاً؛ واستَشعـرُوا النَّصـرَ العـزيـزَ سِـلاحـا[٨]

---

(١) **الأطلس**: أراد الأرنب المائل لونه الأغبر إلى السواد ـ ملء جانحتيه: أي ملء جنبيه ـ **الأشوس**: أراد الكلب الأشوس وهو الذي ينظر شزراً من شدّة الحنق.
(٢) **جاهر**: أظهر علناً ـ **الطاوي**: الجائع ـ **البراح**: الفضاء الرحب.
(٣) **الليل الأحم**: الأسود، الشديد الحلكة.
(٤) **أراد بالنصال المؤلّلة**: أنيابه المحدّدة.
(٥) **الروابي الحدب**: المحدودبة، المحنية ـ **البطاح**: المنبسط من الأرض.
(٦) **الالتماح**: البريق، اللمعان.
(٧) **خلخله**: ألبسه الخلخال ـ **سوّره**: ألبسه السّوار ـ **طوّقه**: جعل في رأسه الطوق.
(٨) **ركضوا الجياد**: جعلوها تعدو ـ **الجلاد**: الحرب ـ **استشعروا**: اتخذوا شعاراً ـ **العزيز**: الصعب المنال.

واستقبلُوا أُفُقَ الشَّمالِ بجَحفَلٍ نشَرَ القَتامَ، على الشَّمالِ، جَناحا[1]
قد ماسَ، في أَرجائِه، شجَرُ القنا؛ وجرى به ماءُ الحديدِ، فساحا[2]
مطَرَ الأعاجِمَ منه عارضُ سَطوةٍ، بَرَقَ الحديدُ بجانِبَيه، فَلاحا
حتى إذا قُضِمَ المُهنَّدُ، نَبوةً، واندقَّ صَدرُ السَّمهريّ، فطاحا[3]
زَحمَت مَناكبُه الأعادي زَحمةً، بَسَطَتْهُمُ فوقَ البِطاحِ بِطاحا[4]
قَتلى، بحيثُ ارفضَّ دمعُ المُزنِ، لا رُحمى، فأسعدَه الحَمامُ، فناحا[5]
قد تُرِّبَت منهم صَحائفُ أوجُهٍ، جعَلَت تمزِّقُها السيوفُ جِراحا[6]
فلو اطَّلَعتَ لمَا اطَّلَعتَ على سِوى سهمٍ، تَثلَّمَ في قتيلٍ طاحا[7]
فحمَت، حريمَ المُسلمينَ، مَصارعٌ، تركَت حريمَ المُشركينَ مُباحا[8]
مُسوَدَّ ساحاتِ المنازلِ وَحشةً، مملوءَ أفنيةِ الدِّيارِ نِياحا
تأتي صقورٌ منهمُ مُنقضَّةٌ، قَدَراً، على مُهَجِ العدوِّ، مُتاحا[9]
مَلأوا ضُلوعَ الليلَ زُرْقَ أَسنَّةٍ، سالَتْ على أعطافِه أوضاحا[10]
وتخايَلَتْ بِهِمُ الجِيادُ، كأنَّما شرِبَتْ مَعاطِفَ كلِّ طِرفٍ راحا[11]

---

(١) الجحفل: الجيش ـ القتام: السواد.
(٢) ماس: تمايل ـ شجر القنا: أي الرماح ـ ماء الحديد: أراد السيوف.
(٣) قضم المهند: بُتر، والمهنّد: السيف ـ النبوة: أي نبوة السيف وهي الضربة غير القاطعة ـ السمهري: الرمح.
(٤) مناكب الجحفل: نواحيه.
(٥) ارفضّ دمع المزن: تناثر، ودمع المزن: مطر السحاب ـ رحمى: رحمة ـ أسعده: أمدّه بالعون.
(٦) تربت: عفرت بالتراب.
(٧) تثلّم: تآكلت جوانبه.
(٨) المصارع: المهالك: جمع مصرع.
(٩) الصقور: الفرسان ـ المهج: جمع مهجة الروح.
(١٠) الأوضاح: جمع الوضح: الضوء.
(١١) تخايلت: تمايلت مزهوة ـ الراح: الخمر.

مـن كـلِّ منصـورِ اللِّـواءِ، إذا سَـرى، مَثُلَـت لـه عُقبـى السُّرى، فـارتـاحـا[1]
فـانصـاعَ، يضحَـكُ وجهُـه عـن غُـرَّةٍ، سـالـت، ويَلعـبُ فـي العِنـانِ مِـراحـا[2]
يَسـري بـأبلـجَ، مـا ادلهمَّـت رَوعـةٌ، إلَّا تـلألأ وجهُـه مِصبـاحـا
وأقـامَ فـوقهـمُ العَجـاجَـةَ كِلَّـةً؛ وأدارَ بينَهـمُ الـرَّدى أقـداحـا[3]
أَيْسـارُ حـربٍ، كلَّمـا اشتَجـر القَنـا، لـم يُعمِلـوا، إلَّا الـرِّمـاحَ، قِـداحـا[4]
طـالـوا العَـوالـيَ بَسطـةً، فكـأنَّمـا، ركَـزَت يـدُ الهَيجـا بهِـم أرمـاحـا[5]
مـن كـلِّ هَضبـةِ سُـؤدَدٍ، هَـزَّ النَّـدى أعطـافـه، طـربـاً، فسـالَ سَمـاحـا
أدمـى اللِّقـاءُ، مِـنَ القَنـا، ظفـراً لـه ذَربـاً، ومـدَّ مِـنَ اللِّـواءِ جَنـاحـا[6]
فانجابَ ليلُ الخَطب عن أُفق الهُدى، وتطلَّـعَ الفَتـحُ المُبيـنُ صَبـاحـا

(٦٢)
كما سَرى بَرْقٌ

تلقّى شعراً من صديق فأجاب قائلاً:

أَطِـرسُـك أم ثَغْـرٌ، تبسَّـمَ، واضِـحُ؛ ولفظُـك أم رَوضٌ، تنفَّسَ، نـافـحُ؟[7]
لـوَانـيَ لَـيَّ الخَيـزُرانـةِ هِـزَّةً؛ وتَهفـو بـأعطـافِ الكِـرامِ المـدائِـحُ
كـلامٌ، يـرِفُّ النُّـورُ فـي جَنَبـاتِـه، وتَنـدى بـه، تحـتَ الهَجيـر، الجَـوانـحُ
تُنَصَّـلُ، يـومَ الـرَّوع، سُمـرُ القنـا بـه، وتُطبَـعُ منـه، للجِـلادِ، الصَّفـائـحُ[8]

---

(١) **العقبى**: العاقبة، النهاية ـ **السّرى**: السير ليلاً.
(٢) **المراح**: الاختيال والفرح من مرح يمرح الرجل إذا نشط وجاوز القدر فرحاً واختيالاً.
(٣) **العجاجة**: الغبار ـ **الكلّة**: الستارة الخاصة برد البعوض ونحوه ـ **الأقداح**: الكؤوس، جمع قدح.
(٤) **الأيسار**: لاعبو الميسر، المقامرون ـ **القداح**: جمع قدح سهم الميسر.
(٥) **العوالي**: الرماح ـ **البسط**: الارتفاع والشموخ ـ **الهيجا**: الهيجاء، الحرب.
(٦) **القنا**: الرماح ـ **الظفر**: النصر ـ **الذرب**: الحادّ.
(٧) **الطرس**: الصحيفة والجمع طروس.
(٨) **تنصّل السهام أو الرماح**: يجعل لها نصل ـ **الرّوع**: الفزع، **ويوم الرّوع**: الحرب ـ **الجلاد**: =

يَشِفُّ سَوادُ النِّقسِ عنه، كما سَرى ... وراءَ الدُّجى بَرقٌ، تَطلَّعَ، لامحُ[1]
وإنِّي لظمآنٌ إليه، عَلاقةً، ... وها أنا، في بحرِ البَلاغةِ، سابحُ
بَعثتُ به يندى، كما جادَ عارضٌ، ... ويُطربُني، طَوراً، كما حَنَّ صادحُ[2]
تلوحُ به، في دَهْمةِ الحِبرِ، غُرَّةٌ، ... ويَركُضُ، في شوطِ الفصاحة، سائحُ
فإن أنا لم أشكرْكَ، والدارُ غُربةٌ، ... فلا جادَني غادٍ، من المُزنِ، رائحُ
ولا استشرَفَت يوماً إليَّ به الرُّبى ... جَلالاً، ولا هشَّت إليَّ الأباطحُ[3]

(٦٣)

نفضتْ ذوائبَها الرّياحُ

يصف شجرة مورقة الأفنان، هزّت الرياح ذوائبها

يا رُبَّ مائسةِ المَعاطفِ تزدَهي، ... مِن كلِّ غُصنٍ خافقٍ، بوِشاحِ[4]
مُهتزَّةٍ، يرتَجُّ، من أعطافِها، ... ما شِئتَ من كفَلٍ، يموجُ، رَداحِ[5]
نَفضَت، ذوائبَها، الرِّياحُ عَشيَّةً، ... فتملَّكتها هِزَّةُ المُرتاحِ[6]
حطَّ الربيعُ قِناعَها عن مَفرِقٍ ... شَمِطٍ، كما تَرتدُّ كاسُ الرّاحِ[7]
لفَّاءُ، حاكَ لها الغَمامُ مُلاءةً، ... لبِسَت بها، حُسناً، قميصَ صَباحِ[8]

= المبارزة والقتال ـ **الصفائح**: السيوف.

(١) **النّقس**: الحبر.

(٢) **العارض**: السحاب الممطر ـ **الصادح**: اسم فاعل من صدح: رفع صوته بالغناء.

(٣) **هشت إليّ**: تبسّمت، ارتاحت.

(٤) **مائسة**: اسم فاعل مؤنث، من ماس يميس: مال زهواً ـ المعاطف: **الأعطاف** ـ **تزدهي**: تحمل على الزهو والكبر ـ **الوشاح**: قلادة من نسيج أو جلد مرصّع بالحجارة الثمينة تزيّن بها المرأة صدرها، وتجعل بين الكتف والخصر ـ **يلاحظ كيف استعار الشاعر القلادة لتمثيل فتنة الزهر في الأغصان.**

(٥) **يرتجّ**: يهتز ـ **الكفل**: مؤخر الجسم ـ الرداح: الممتد والواسع والرداح أصلاً الشجرة الكبيرة.

(٦) **الذوائب**: جمع ذؤابة ضفائر الشعر، وهنا كناية عن الأغصان المتدلية.

(٧) **الشمط**: المنتشر الأوراق.

(٨) **اللفاء**: الكبيرة، الفخمة.

نَضَــح النَّــدى نُــوّارَهــا، فكــأنَّمــا مسحَــت، معــاطِفَهــا، يمينُ سَمــاحِ[١]
ولوى الخليجُ، هناك، صفحةَ مُعرِضٍ، لثَمــت، ســوالفَهــا ثغــورُ أَقــاحِ[٢]

(٦٤)

عِزٌّ تَهادَى

عاد منصب القضاء إلى صديقه الفقيه قاضي القضاة أبي أمية فهنأه قائلاً:

بُشْــرى، كمــا أسفَــرَ وجــهُ الصَّبــاحْ، واستشــرَفَ الــرائــدُ بــرقــاً أَلاحْ[٣]
وارتجــزَ الــرَّعــدُ يمُــجُّ النَّــدى رَيَّــا، ويَحــدو بمَطــايــا الــرِّيــاحْ[٤]
فــدنَّــرَ الــزَّهــرُ مُتــونَ الــرُّبــى؛ ودَرْهَــمَ القَطْــرُ بُطــونَ البِطــاحْ[٥]
هبَّــت رَواحــاً، وَهْــيَ نَفَّــاحــةٌ، فطــابَ، رِيحــاً، نَشــرُ ذاك الــرَّواحْ
أفصــحَ غِــرِّيــدٌ بهــا مُطــرِبٌ، نفَّــشَ، مِــن طِــرسٍ، قُــدامى جَنــاحْ[٦]
فهــل تَــرى أَسمــعَ غُصــنَ النَّقــا، فهــزَّ مــن عِطفَيْــه، هَــزَّ ارتيــاحْ؟[٧]
أم هَــل سَــرى يُنعِــشُ مَيــتَ الــرُّبــى، فمَــجَّ، رِيــقَ الطَّــلِّ، ثَغــرُ الأقــاحْ؟
عِــزٌّ تَهــادى بــالقَنــا هِــزَّةً، واختــالَ بــالجُــردِ المَــذاكِي مِــراحْ[٨]
فطــاولَ، النَّجــمَ، منــارُ الهُــدى، وأَحــرزَ الــديــنُ مُعلَّــى القِــداحْ

---

(١) نضح: بل، رش ـ النّدى: الطلّ ـ النوار: الزهر.

(٢) لثمت: قبلت، عانقت ـ السوالف: أراد سوالف الخليج أي شطآنه ـ الأقاح: جمع الأقحوان، وهو ضرب من الزهور البرية الصفراء.

(٣) استشرف: انتصب، واستشرف الشيء: رفع بصره لينظر إليه. . ـ الرائد: رسول القوم المتقدّم.

(٤) ارتجز الرعْد: أرسل صوته ـ يمج: ينثر ـ الريّا: الرائحة ـ يحدو: من الحداء وهو الغناء للمطايا لحثّها على السير.

(٥) دنّر: فعل اشتقه من الدنانير، والمقصود أن الأزهار رصعت أعالي الرّبى بما يشبه الدنانير من الريحان والزهور ـ درهم: من الدراهم، بمعنى دنّر ـ القطر: المطر.

(٦) الطرس: الصحيفة وقوله: نفّش جناح: أي نشر جناحا.

(٧) النّقا: الكثيب من الرمل.

(٨) اختال: تبختر ـ الجرد: الخيل القصيرة الشعر.

والتــأمَ الشَّعــبُ، ومــا إنْ عَــدا ... رأيُ أميــرِ المُــؤمنيــنَ الصَّــلاحْ
خيــرِ إمــامٍ، دامَ فــي عَسكَــرَيْ ... جَــدٌّ وجِــدٌّ، مِـلءُ صَـدرِ البَـراحْ[1]
يَعطِــسُ عــن أنــفٍ حمــيٍّ لــه، ... أَضــرعَ، خَــدَّيْ كـلِّ حــيٍّ، كفـاحْ
أَرعــدَ فــي تُــدميــرَ زَجــراً لهــا، ... فَمــا لِعَنــزَيــن، هنــاك، انتطــاحْ[2]
وغـضَّ، مـن أَصـواتِهـا، صـوتُـه؛ ... إنَّ زَئيــرَ اللَّيــثِ غيــرُ النُّبــاحْ
وشَــدَّ أزرَ ابــنِ عِصــامٍ بمــا ... حبَّــرَ مِــن أَلفــاظِ بِــرٍّ، فِصــاحْ[3]
فــي رُقعــةٍ، تحمِــلُ، مــن رِفعــةٍ، ... لألاءَ أَوضــاحِ الــوجــوهِ الصِّبــاحْ
مَيمــونــةٍ، لــو لَمَسَــتْ جَلْمَــداً ... صَلْـداً، لسـالَ المـاءُ عنـه، فَسـاحْ
فــالمجــدُ ممطــورُ جَنــابِ المُنــى؛ ... والمُلــكُ خَفَّــاقُ جَنــاحِ النَّجــاحْ
يُسفــرُ عــن بِيــضٍ وجــوهِ الظُّبــي ... بـأسـاً، ويَـرنـو عـن عيـونِ الـرِّمـاحْ
أبيــضُ، وضَّــاحُ جبيــنِ العُلــى، ... جــذلانُ، مَبســوطُ يميــنِ السَّمــاحْ
فقــل لمــن ســاجَلَــه، ضِلَّــةً، ... مـا سُـدفـةُ اللَّيـلِ وضـوءُ الصَّبـاحْ
كيــفَ يُكــافيــه، وهــل تستــوي ... خُشــونــةُ الجِــدِّ ولِيــنُ المُــزاحْ؟
تميَّــزَت، مــن شِيمــةٍ، شِيمــةٌ؛ ... إنَّ الأجـاجَ الصِّـرفَ غيـرُ القَـراحْ[4]
جـالـدتُـه مـن حـاسـرٍ دارِعـاً، ... كفـاه حمـلُ الـرأي حمـلَ السِّـلاحْ
وأَيــنَ مِــن بَحــرٍ طمــا، أَخضــرٍ، ... ما سالَ من أَوشالِ بِيضِ الصِّفاحْ؟[5]
حمَــت، ومــن يقعُــد بــهِ جَــدُّه، ... فكــلُّ زَنــدٍ، فــي يَــدَيــه، شَحــاحْ
فــلا تَنَــمْ عينُــك مــن حــاسِــدٍ، ... غـضَّ حِـرانـاً مـن عِنـانِ الجِمـاحْ
أَمضَّــه جُــرحٌ دخيــلٌ بــه؛ ... إنَّ الــرَّزايــا مــن أَمــضِّ الجِــراحْ

---

(١) الجَدّ (بفتح الجيم): الحظّ ـ الجِدّ: (بكسر الجيم): الدأب أو العمل الدؤوب.
(٢) تدمير: منطقة في الأندلس، وهي مقرّ قاضي القضاة.
(٣) ابن عصام: الممدوح الذي يهنئه بعودة القضاء إليه.
(٤) الشيمة: الخلق والطبيعة، العادة ـ الأجاج: الماء المالح ـ القراح: الماء العذب الخالص.
(٥) طما البحر: علا موجه ـ الأوشال: جمع وشل، الماء القليل.

فـــرقـــرَقَ العَبـــرةَ فـــي خجلَـــةٍ،   وربَّمـــا يُمـــزَجُ بـــالمـــاءِ راحْ
مـــا غـــصَّ بـــالـــدَّمعـــةِ إلاّ هَفـــا،   فـانظـر تَجِـدْ ثَـمَّ السِّـوارَ الـوِشـاحْ[1]

(١) هفا يهفو: أسرع، وهفا الطائر: خفق بجناحيه، والمراد هنا (فؤاده): أي خفق شوقاً ـ السوار الوشاح: من باب التمثيل، وقد عنى بهما الرفعة والمجد.

قافية الدال

(٦٥)
موتُك للأسى مِيلادُ

هذه القصيدة من مراثيه قالها في رثاء الوزير أبي محمد بن ربيعة:

رَفعَتْ عليك، عويلَها، الأمجادُ، وجَفَتْ، كريمَ جَنابِكَ، العُوَّادُ[١]
وتكنَّفَت شَكواكَ عن خَطبٍ دهى، هَدَّت له، أركانَها، الأطوادُ
سَلَّت عَتادَ الصَّبرِ فيه، صَبابةٌ، ما لي بها، غيرَ الدُّموعِ، عَتادُ
للهِ أيُّ خليلِ صِدقٍ مُخلِصٍ، أهوى به رُكنٌ، ومالَ عِمادُ!
خَطَمَ القَضاءُ به قَريعاً مُصعَباً، فانقادَ يَصحَبُ، والحِمامُ قيادُ[٢]
جارَيتُه طَلقَ الحياةِ إلى الرَّدى، فحَوى به، قصَبَ السِّباقِ، جوادُ[٣]
كنَّا اصطَحَبنا، والتشاكُلُ نِسبةٌ، حتّى كأنَّا عاتِقٌ ونِجادُ[٤]
ثُمَّ افترَقْنا، لا لعَودةِ صُحبةٍ، حتّى كأنَّا شُعلةٌ وزِنادُ
يا أيُّها النائي، ولستَ بمُسمِعٍ سَكْنَ القبورِ، وبينَنا أسدادُ[٥]

(١) جفت العوّاد جنابه: أعرضت عنه ـ العوّاد: جمع عائد، وهو الذي يزور المريض أثناء علّته.
(٢) خطم: أخرس قهراً ـ القريع: السيد العالي الشأن ـ المصعب: الصعب ـ الحمام: الموت.
(٣) طلق الحياة: شوطها، مسيرتها.
(٤) التشاكل: التماثل ـ العاتق: ما بين المنكب والعنق ـ النجاد: حمائل السيف لأنه يعلو العاتق.
(٥) النّائي: البعيد، إشارة إلى تركه دنيا الناس ـ الأسداد: السدود والحواجز.

مـا تفعَـلُ النَّفـسُ النفيسـةُ، عنـدمـا تتهـاجَـرُ الأرواحُ والأجسـادُ؟
كُشـفَ الغِطـاءُ إليـك عـن سـرِّ الـرَّدى، فـأجِـب بمـا تَنـدى بـه الأكبـادُ
فـوَراءَ سِتـرِ الليـلِ مُضطـرِمُ الحَشـا، لا يستقِـرُّ بـه، هنـاك، مِهـادُ
لم يدرِ، إلاَّ يومَ موتِك، ما الأسى، فكـأنَّ مَـوتَـك لـلأسـى مِيـلادُ
وكفـاه مجـداً أن يقـولَ، ولِلـدُّجـى فجـرٌ لـه، مـن دَمعِـه، أَمـدادُ
حتَّـامَ أنـدُبُ صـاحبـاً وشبيبـةً، فتَفِيـضَ عيـنٌ، أو يَحِـنَّ فـؤادُ؟
أقصِـر، فـلا ذاكَ الخليـلُ بـآيِـبٍ، يـومـاً، ولا ذاك الشَّبـابُ يُعـادُ
فقُصـارُ مُجتمِـعِ الأصـاحِـبِ فِـرقـةٌ؛ ومَحـارُ أنـوارِ الشَّبـابِ رَمـادُ[1]
فيـمَ السُّلـوُّ، وقـد تحمَّـلَ صـاحـبٌ، شطَّـت بـه، دارٌ، وطـالَ بُعـادُ؟
أتبَعتُـه قلبـاً لـه، مِـن لـوعـةٍ، زادٌ، ومـن عيـنٍ تَفيـضُ، مَـزادُ
فـذٌّ، تبسَّـمَ عنـه صَـدرُ المُنتـدى، طـربـاً بـه، واهتـزَّتِ الأنـدادُ[2]
وأَخٌ لـوُدٍّ، لا أخٌ لـولادةٍ، وأَمَـسُّ مـن نسَـبِ الـوِلاد وَدادُ
مَلَكَتـه غَشيَـةُ نـومـةٍ لا تَنجلـي، ولكـلِّ عيـنٍ نَـومـةٌ وسُهـادُ
ودَّعتُـه تـوديـعَ مكتئِـبٍ ولا، غيـرَ المَعـاد، للُقيـةٍ، مِيعـادُ
ونفَضـتُ منـه يـدي بِعِلـقِ مَضَنَّـةٍ، فُتَّـت بـه الأكبـادُ والأعضـادُ[3]
وتـركتُـه، والمجـدُ يُـرغِـمُ أنفَـه، متـوسِّـداً، حيـثُ التُّـرابُ وِسـادُ
فـي مـوطِـنٍ نـزَلَتـه جُـرهُـمُ قَبلَـه، وتحـوَّلَـت إرَمٌ إليـه، وعـادُ[4]
أُمَـمٌ، يَغـصُّ بهـا الفَضـاءُ، طَـوَتهـمُ كـفُّ الـرَّدى طَـيَّ الـرِّداءِ، فبـادُوا
سـادوا وقـادوا، ثُـمَّ أجلـى جَمعُهـم، عـن وَحـدةٍ، فكـأنَّهـم مـا قـادُوا

(١) المحار: المرجع.
(٢) الفذّ: الفرد، والفذّ أول سهام الميسر ـ الأنداد: جمع نِدّ: وهو المِثل.
(٣) العلق: الشيء النفيس ـ الأعضاد: جمع عضد، وهو من المرفق إلى الذراع والعضد هنا النّصير والعون.
(٤) جرهم وإرم وعاد من قبائل العرب البائدة، وهي من الجاهلية الأولى.

عفَتِ البُناةُ، على اللَّيالي، والبُنى، ... وتَلاحقَ الأمجادُ والأوغادُ(١)

ولربَّما ذَبُّوا، وذادوا عن حِمى ... مِلكِ هَوى، فكأنَّهم ما ذادُوا(٢)

فأصِخ طويلاً! هل تَعِي من منطِقٍ؛ ... وانظُر مَلِيّاً، هل ترى ما شادُوا؟

زُمَرٌ يُعَدُّ بها الحَصى من كَثرةٍ، ... ولربَّما فنِيَت بها الأعداد

ألوى بهِم، ولكُلِّ رَكبٍ سائقٌ، ... زمَنٌ حَدا بركابِهم، يَقتادُ

ورمى رَبيعَةَ بالخُمُول، وإنَّما ... كانُوا بعَبد الله فيهم سادُوا

بأغَرَّ وضّاحِ الجَبينِ، كأنَّه، ... تَحتَ الدُّجُنَّةِ، كَوكَبٌ وَقَّادُ

مُتَبسِّمٌ في هِزَّةٍ، فكأنَّه ... غُصنٌ تَفتَّقَ نَوْرُه، ميَّادُ(٣)

وطِيءَ السماكَ، به التواضعُ، رِفعَةً، ... فكأنَّما إتهامُه إنجادُ

ألْقى الحِمامُ بِرَحلِه، في منزِلٍ، ... نَزَلت به الآباءُ والأجدادُ

يَعلُو به نَفَسٌ، وتَدمَعُ مُقلَةٌ، ... فيُراحُ، طَوْراً، تُربُه، ويُجادُ(٤)

فَوقَفتُ أَندُبُ مِنهُ شِلواً داثِراً، ... ما إن يُحِسُّ، وهل يُحِسُّ جَمادُ؟

تَمحُو صحِيفَةَ صَفحَتَيه يدُ البِلى، ... عَبثاً، وتَطوِي، ذكرَه، الآبادُ

فَخلا، برُغمِ المَجدِ، منه منزِلٌ ... مَلأت، مَدامِعَها، به الأمجادُ

لوَتِ الضُّلوعَ، به، الأصادقَ، لوعةٌ، ... ولَرُبَّما رقَّت به الحُسَّادُ

مُتَقَلِّدٌ بالدَّمعِ حَلياً كُلَّما ... عَطِلَت به، من حَليِها، الأجيادُ

يَبْيَضُّ مُلتَحِماً، ويُظلِمُ وَحشةً، ... فكأنَّما ذاكَ البَياضُ حِدادُ

فبَكاك، من قَبرٍ كَريمٍ، عارِضٌ ... زَجِلٌ، له مِن رَنَّةٍ إرعادُ(٥)

---

(١) **عفت**: من عفا الأثر: زال وامحى ـ **البناة**: جمع الباني ـ **البنى**: جمع بنية، كل ما يبنيه المرء ـ **الأوغاد**: خلاف الأمجاد، الأراذل، والأشرار.

(٢) **ذبّوا وذادوا معناهما واحد**: دافعوا ـ **هوى الملك**: سقط.

(٣) **تفتّق النور**: تفتحت كمائمه ـ **النّور**: الزهر. **الغصن الميّاد**: المتمايل، الذي تهتز أعطافه.

(٤) **المقلة**: العين.

(٥) **العارض**: السحاب الممطر ـ **زجل**: له صوت.

نُحِـرَ العَـزاءُ عليـهِ، لـم تُنحَـر بـهِ إبـلٌ، ولـم تُعقَـر عَليـهِ جِيـادُ[1]
وسقـاكَ وابـلُ رَحمَـةٍ، يَغشـى بهـا جَنبـاتِـكَ الـوُرّادُ والـرُّوّادُ
تَهفُـو البُـرُوقُ بجـانِبَيـهِ، كـأنَّمـا عُقِـرَت بهـا خَيـلٌ، عليـكَ وِرادُ[2]
فبِطِيـبِ تُـربِـكَ، أيُّ بيتٍ قصِيـدةٌ، لـو أنَّ ذاكَ البَيـتَ كـانَ يُعـادُ
لا تلتقـي عيـنٌ عليـه ونَـومـةٌ ليـلاً، ولا جَنـبٌ بـه ومِهـادُ
والليـلُ فُسطـاطٌ، هنـاك، مُطنَّـبٌ، ضُـرِبَـت لـه، مـن أنجُـمٍ، أوتـادُ[3]
وكفـى مَعـاداً للتَّـلاقـي فـي الكَـرى، لـو كـان يَسمَـحُ بـالخَيـالِ رُقـادُ

(٦٦)

في النَّادي

وصـدرِ نـادٍ نَظَمنـا بـه القـوافـيَ عِقـدا
فـي منـزلٍ قـد سحبنـا، بظلِّـه، العِـزَّ بُـردا[4]
قـد طنَّـبَ المجـدُ بيتـاً، فيـه، وعـرَّسَ وَفـدا
تـذكـو بـه الشُّهـبُ جَمـراً، ويَعبَـقُ الليـلُ نَـدّا[5]
وقـد تـأرَّجَ نَـوْرٌ غَـضٌ، يخـالـطُ وَردا[6]
كمـا تبسَّـمَ ثَغـرٌ عَـذبٌ، يقبِّـلُ خـدّا

---

(١) تعقر: تذبح ـ يشير في هذا البيت إلى التقليد الجاهلي وهو ذبح الذبائح تعظيماً للميت وتفجعاً عليه.
(٢) الوراد: جمع ورد، الجواد الأشقر.
(٣) الفسطاط: الخيمة الكبيرة ـ مطنّب: مشدود بالطنب وهو حبل يشدّ به سرادق البيت أو المضرب.
(٤) البرد: الثوب.
(٥) النّد: عود البخور.
(٦) تأرج النّور: فاح أريجه، أي رائحته.

(٦٧)
أَجُوبُ جُيُوبَ البيدِ

يصف سراه في ليلة ظلماء، بات فيها على صهوة فرسه معانقاً سيفه..

أَبـى البَـرقُ إلاّ أن يَحِـنَّ فُـؤادُ، وَيكحَـلَ، أجفـانَ المحـبِّ، سُهـادُ(١)
فبِتُّ ولي، من قانىءِ الدَّمعِ، قهوةٌ تُـدارُ، ومـن إحـدى يَـديَّ وِسـادُ(٢)
تنـوحُ لـيَ الـوَرقـاءُ، وهـيَ خَلِيّـةٌ، ويَنهَـلُّ دَمـعُ المُـزنِ، وهـو جَمـادُ(٣)
وقـد كـانَ فـي خَـدّيَّ للشُّهـبِ مَلعَبٌ، فقـد صـارَ فيـهِ للـوِرادِ طِـرادُ(٤)
وليـلٍ، كمـا مَـدَّ الغُـرابُ جَنـاحَـه، وسـال علـى وَجـهِ السِّجـلِّ مِـدادُ(٥)
بـه من وميضِ البَرقِ، والليـلُ فَحمةٌ، شَـرارٌ تَـرامَـى، والغَمـامُ زِنـادُ
سَـريـتُ بـهِ أُحيِيـه، ولا حيَّـةُ السُّـرى تمـوتُ، ولا مَيـتُ الصَّبـاحِ يُعـادُ(٦)
يقلِّـبُ منّـي العَـزمُ إنسـانَ مُقْلـةٍ، لهـا الأفـقُ جَفـنٌ، والظَّـلامُ سـوادُ(٧)
بخَـرقٍ لقلـبِ البـرقِ خفقـةُ روعـةٍ بـه، ولجَفـنِ النَّجـمِ فيـه سُهـادُ(٨)
سحيـقٍ، ولا غيـرَ الـريـاحِ ركـائـبٌ، هنـاك، ولا غيـرَ الغَمـامِ مَـزادُ(٩)
كـأنـي، وأحشـاءُ البـلادِ تَجُنُّنـي، سَـريـرةُ حُـبٍّ، والظَّلامُ فـؤادُ(١٠)

---

(١) السهاد: الأرق.
(٢) الدمع القانىء: الأحمر.
(٣) الورقاء: الحمامة ـ المزن: السحاب الممطر.
(٤) الوراد: الزعفران ـ الطراد: السباق ـ السجل: الكتاب
(٥) المداد: الحبر.
(٦) السرى: السير في الليل ـ يعاد: يزار.
(٧) المقلة: العين وإنسانها: البؤبؤ.
(٨) الخرق: المكان القفر ـ الروعة: الخوف.
(٩) السحيق: النّائي ـ المزاد: جمع مزادة، وهي إناء من جلد لحفظ الماء.
(١٠) تجنّني: تسترني.

أجوبُ جُيوبَ البيد، والصبحُ صارمٌ، لـه اللَّيـلُ غِمـدٌ، والمَجَـرُّ نِجـادُ[1]
وفـي مُصطَلـى الآفـاقِ جَمرُ كـواكـبٍ، عَـلاهـا، مـنَ الفجـرِ المُطـلِّ، رَمـادُ
ولمَّا تفرَّى، من دُجى الليل، طِحلبٌ، وأعـرضَ، مـن مـاءِ الصَّبـاحِ، ثِمـادُ[2]
حنَنـتُ، وقـد نـاحَ الحَمـامُ صبـابـةً، وشُـقَّ، مـن الليـلِ البَهيـمِ، حِـدادُ
على حِينَ شَطَّت، بـالحبـائب، نيّةٌ، وحـالـت فَيـافٍ، بَينـنـا، وبـلادُ[3]
عشِيَّـةَ، ولا مِثـلَ الجَـوادِ ذخيـرةٌ؛ ولا مِثـلَ رَقـراقِ الحـدِيـدِ عَتـادُ[4]
إذا زارَ خَطْـبٌ خفَّـرتنـي ثَـلاثـةٌ: سنـانٌ، وعضـبٌ صـارمٌ، وجـوادُ[5]
فبِـتُّ ولا غَيـرَ الحُسـامِ مُضـاجِـعٌ؛ ولا غَيـرَ ظَهـرِ الأعـوَجـيّ مِهـادُ[6]
معـانـقَ خِـلٍّ لا يُخِـلُّ، وإنمـا مَكـانُ ذِراعَيـهِ علـيَّ نِجـادُ[7]

(٦٨)

يجدّ بي هواهُ

يصف خال المحبوب في صحن الخدّ. . .

رأيـتُ بخـالِـه، فـي صَحـن خـدِّه، فـؤادَ مُحبِّـهِ فـي نـارِ صَـدِّهْ[8]
فخِفـتُ، وقَصْـرُ نفسـي لثْـمُ فِيـه، فـأعطـانِيـه مِيثـاقـاً بـوُدِّهْ[9]
ومـرَّ يجُـدُّ بـي فيـه هَـواه، وقـد لَعِـبَ الصَّبا بقضِيـبِ قـدِّهْ[10]

---

(١) شبه الصباح: بالسيف القاطع للمعان ضوئه ـ النجاد: حمالة السيف.
(٢) تفرّى: انبثق ـ الثماد: الماء القليل.
(٣) شطت: نأت ـ فياف: جمع فيفاء، المفازة.
(٤) الذخيرة: العدّة المهيّأة أو المحفوظة لوقت الحاجة ـ رقراق الحديد: جوهر السيف.
(٥) خفر: حفظ وحرس ـ السنان: الرمح ـ العضب: السيف القاطع ـ الجواد: الحصان.
(٦) الأعوجيّ: الجواد الأصيل ـ المهاد: السرير.
(٧) الخلّ: الصاحب ـ لا يخلّ: أي لا يغدر لأنه وفي ـ النجاد: حمالة السيف.
(٨) الصدّ: الجفاء، القطيعة والهجر.
(٩) لثم: تقبيل ـ فيه: فمه، ثغره ـ يقول: أعطاه ثغره يقبله عربوناً للمحبة.
(١٠) القدّ: القامة، وقوله: قضيب قدّه من باب تمثيل القامة المديدة بالغصن.

(٦٩)

نار النّدى

ومَـوقِـدِ نـارٍ طـابَ، حتـى كـأنَّمـا يشبُّ النّدى فيه، لساري الدُّجى، نَدًّا[١]

فـأطلـعَ، مـن داجِـي دُخـانٍ، بنَفْسجـاً جَنِيّـاً، ومِـن قـانـي شُـواظٍ لـه وَردا[٢]

وضـاحـكَ غُـرّاً مـن وجـوهٍ وضِيئـةٍ، فلـم أدرِ أيّ كـان أذكـاهُمـا وَقْـدا

إذا بسَطَت كـفُّ الهِيـاجِ، إلـى العِـدى، أناملَ سُمْرِ الخَطِّ، كانوا لها زَنْدا[٣]

فظلَّـت، وكـلّ فـي مَضـاءِ حُسـامِـه، فـؤاداً، وفـي إشـرافِ خَطِّيـه، قَـدّاً

أرى خيـرَ نـارٍ، حَـولَهـا خيـرُ فِتيـةٍ، أنافَت لهم جِيداً، وحَفُّوا بها عِقدا[٤]

إذا الـرِّيـحُ هَبَّتِ، مِـن سَـوادِ دُخـانِهـا، عِذاراً، ومن مُحمَرٍّ جاحِمِها، خدًّا[٥]

أثـارَت قَتـامـاً يَمـلأُ العيـنَ أكهَبـاً، وجالت جواداً، في عِنانِ الصَّبا، وَردا[٦]

رأيـتُ جُفـونَ الـريـحِ، والليـلُ إثمِـدٌ، تُقلِّب، من حُمر الجُذى، أعيناً رُمدا[٧]

وبـالجمـرِ، مـن أكنـافِهـا، مَسَّ رِعـدةٍ، تَئِنُّ، وحامي الجَمرِ عن حَرِّه، بَردا[٨]

(٧٠)

كأنَّه كوكبُ

وأسمـــــرٍ، يَلحَــــظُ عَــــن أزرقٍ، كـــأنّـــه كـــوكـــبُ رَجـــمٍ وقـــدْ[٩]

---

(١) النّدى: الكرم ـ النّدّ: عرق البخور.

(٢) الشواظ القاني: اللهب الأحمر، الجمر.

(٣) سمر الخطّ: الرماح ـ الزّند: ما تورى به النار.

(٤) أنافت الجيد: رفعته، والجيد: العنق.

(٥) العذار: جانب الوجه.

(٦) القتام: السواد الحالك ـ الأكهب: ذو اللون الأغبر.

(٧) الاثمد: الكحل، وقوله: الليل إثمد تشبيه مثّل به ظلمة الليل بسواد الكحل ـ الجذى: جمع جذوة، النار المشتعلة.

(٨) الأكناف: الجوانب، جمع كنف ـ يصف ما تحدث النار من رعدة في الجمر المتوقد الذي يرسل صوتاً كالأنين وكأن جمره الحار يرسل برداً.

(٩) الأسمر: الرمح ـ الأزرق: رأس الرمح، سنانه ـ شبّه رأس الرمح لامعاً برجوم الكواكب=

يعتمـــدُ العيـــنَ اعتمـــادَ الكـــرى؛ ويَنتحـــي القلـــبَ انتحـــاء الكَمَـــدْ[١]
حيـثُ الـوَغـى بحـرٌ، وبيـضُ الظُّبـى مَوج، وخُرصـانُ العـوالـي زبَـدْ[٢]
يضحَـكُ مـن بِيـضِ حَبـابٍ طَفـا فيـه، ومِـن دِرعِ غَـديـرٍ جَمَـدْ[٣]

(٧١)
مِدادُ العِذار

وافَـى لنـا، ولَـه صَحيفـةُ صفحـةٍ، جَعَـلَ العِـذارُ بهـا يسِيـلُ مـدادا[٤]
متَجَهِّمـاً ثَكِـلَ الشَّبـابَ، كـأنَّمـا نَشَـرَ العِـذارُ علـى الشَّبـابِ حِـدادا[٥]

(٧٢)
وجهٌ أنار قمراً

وأغـرَّ ضـاحَـكَ وجهُـهُ مِصبـاحَـه، فـأنـارَ ذا قمـراً، وذلـك فَـرقَـدا[٦]
مـا إن خَبـا تِلقـاءَ نُـورِ جَبينِـه، حتـى ذَكـا بـذكـائِـه، فتَـوقَّـدا[٧]

(٧٣)
أوفَتْ على نَهْرٍ

يصف سرحةً مشرفة على نهر.

وسَـرحـةٍ خـاضَ مِنهـا ظلُّهـا نهـراً، اوفَـت عليـه، فلـم تَنقُـص ولـم تَـزِدِ[٨]

= المتوقدة الساقطة من السماء.

(١) **الكرى**: النوم ـ **يتنحي**: يتجه إلى ناحية ـ **الكمد**: الحزن الشديد.

(٢) **الظبّى**: السيوف ـ **الخرصان**: الرماح.

(٣) **الحباب**: ما يطفو على وجه الماء من فقاقيع الزبد ـ **طفا فيه**: عام.

(٤) **الصفحة**: كناية عن الخد ـ **العذار**: جانب الوجه. **المداد**: الحبر.

(٥) **متجهّماً**: عابساً ـ **الحداد**: ثياب المآتم السود.

(٦) **الأغرّ**: الأبيض أو ذو الغرّة البيضاء ـ **الفرقد**: الكوكب ـ افتن في وصف وجه المحبوب فتمثله قمراً وشبّه المصباح بالكوكب.

(٧) **خبا النور**: انطفأ ـ **ذكا يذكو**: اشتدّ توقّده.

(٨) **السرحة**: الشجرة العظيمة ـ **أوفت على النهر**: أشرفت عليه.

كما تـدانَيـتَ، مـن ثَغـرٍ، لمُـرتشَـفٍ   ثـم انثنَيـتَ، فلـم تصـدُر ولـم تَـرِدِ[1]
كـأنَّ افنـانهـا، طيبـاً، حِمـى مَلِـكٍ   أغضى وأَعطى، فلم يوعِد ولم يَعِدِ[2]

(٧٤)

كذْتُ أشربُ خَدّه

يصف مفاتنَ السّاقي الذي تمايس منه القدّة واحمّر بلهب السكر خدّه

وأَهيـــفٍ قـــامَ يَسقـــي،   والسُّكـــرُ يَعطِـــفُ قَـــدَّه[3]
وقـــد تَـــرنَّـــحَ غُصنـــاً،   واحمـــرَّتِ الكـــأْسُ وَردَه[4]
وأَلهَـــبَ السُّكـــرُ خـــدّاً،   أورى بـــه الـــوَجـــدُ زَنـــدَه[5]
فكـــادَ يشـــربُ نَفســـي،   وكـــدْتُ أشـــرَبُ خَـــدَّه

(٧٥)

صِلْني بِرُمّانة

صِلنـي، لـكَ الخَيـرُ، بـرُمّـانـةٍ،   لـم تَنتَقِـل عـن كَـرَمِ العهـدِ
لا عِنَبـــاً، أَمتـــصُّ عُنقُـــودَه،   ثَـدْيـاً، كـأنـي، بعـدُ، فـي المهـدِ
وهَـل يـرى، بينَهمـا، نِسبـةً،   مَـن عَـدَلَ الخِصيـةَ بـالنهـدِ؟

(٧٦)

أُغازِلُ مِنْه الغُصْن

يصف مجلساً من مجالس السمر توزع فيه بين الحديث والغزل

وليـلِ تَعـاطَينـا المُـدامَ، وبينَنـا   حـديـثٌ، كما هَبَّ النسيمُ على الـوردِ

---

(١) **تداني**: اقترب ـ **انثنى**: تراجع.
(٢) **الأفنان**: الأغصان ـ **يوعد**: يتوعدّ، يتهدّد.
(٣) **الأهيف**: الضامر الخصر.
(٤) **ترنّح**: تمايل من نشوة السكر ـ **الورد**: أراد به خده الأحمر.
(٥) **أورى**: أضرم، أشعل ناراً ـ **الوجد**: الحبّ.

نُعـاوِدُه، والكـاسُ يَعبَـقُ نَفحـةً، وأَطيَـبُ منـه مـا نُعيـدُ ومـا نُبـدي
ونَقلي أَقاحُ الثغرِ، أو سُوسَن الطُّلى، ونَـرجِسـةُ الأجفـانِ، أو وَردةُ الخـدِّ[1]
إلى أن سرَت في جسمه الكاس والكرى وما لا بعِطفَيه، فمالَ على عَضُدي[2]
فـأقبَلـتُ استَهـدي، لمـا بيـن أضلُعـي مـن الحرِّ، مـا بيـنَ الضُّلـوعِ مـن البَـردِ
وعـاينتُـه قـد سُـلَّ مـن وشـي بُـردِهِ، فعـايَنـتُ منـه السَّيـفَ سُـلَّ مـن الغِمـدِ
ليَـانُ مَجَـسٍّ، واستقـامـةُ قـامـة، وهَـزَّةُ أعطـافٍ، ورونـقُ إفـرِنـدِ
أُغـازِلُ منـه الغُصـنَ فـي مَغـرس النَّقـا، وألثُـمُ وجـه الشمـس فـي مَطلـعِ السَّعـدِ
فـإن لـم يَكُنهـا أو تَكُنْـهُ، فـإنَّـه أخُوها، كما قُدَّ الشِّراكُ من الجِلدِ[3]
تُسـافِـرُ كِلتـا راحَتَـيَّ بجِسمِـهِ، فطـوراً إلـى خَصـرٍ، وطَـوراً إلـى نَهـدِ
فتَهبِـطُ، مـن كَشْحَيـه، كفِّـي تَهـامـةً، وتَصعَدُ، من نَهدَيه أُخرى، إلى نَجدِ[4]

(٧٧)

بكى جَفْني

اقـضِ علـى خِلِّـك، أو سـاعـدِ، عِشتَ بجَـدٍّ، فـي العُلـى، صـاعـدِ[5]
فقَـد بكـى جَفنـي دمـاً سـائـلاً، حتـى لقَـد سـاعَـده سـاعِـدي[6]

(٧٨)

مِنْ كَفِّهِ

حيَّـا بهـا، ونسيمُهـا كنسيمِـه، فشـربتُهـا، مـن كفِّـهِ، فـي وُدِّه

(١) النَّقل: كل ما يتنقل به على الشراب من فاكهة أو فستق ونحوه والجمع نقول ونقولات.
(٢) سرت في جسمه: دبّت ـ الكرى: النوم أو النّعاس مال على عضدي: أي نام على ساعدي.
(٣) قدّ: قطع ـ الشراك: سير النّعل.
(٤) الكشحان: مثنى الكشح، الخصر ـ تهامة: واد منخفض، وكل مكان منخفض ـ نجد: هضبة عالية مرتفعة وهي كناية عن كل مكان مرتفع.
(٥) الجَدّ: (بفتح الجيم): الحظ، والجدّ الصاعد: الآخذ بالأزدياد.
(٦) ساعده ساعدي: جاش بين الساعد وهو الذراع وفعل ساعد والمعنى أنه راح يمسح دموعه فكأنه زاد في انصباب دمعه.

مُنسـاغَـةً، فكـأنَّهـا مـن رِيقـهِ؛ محمـرَّةً، فكـأنَّهـا مِـن خَـدِّهِ[1]

(٧٩)

أَهْوَتْ تَخُرُّ

ألا طَـمَّ بَحـرُ أَتِـيٍّ طَمـا، وأجـرى كفَّـيْ سَمـاءٍ تَجـودْ[2]
فـأهـوَت تخُـرُّ، هنـاك، البُنـى، كمـا تَتَلقَّـى المُلـوكُ الـوفـودْ[3]
وبـاتَـتْ كـأنَّ، عليهـا، صَـلاةً، فَبَعْـضٌ ركـوعٌ، وبعـضٌ سُجـودْ

(٨٠)

عَلى نَهْجٍ

ومخطـوطِ السَّـوادِ، كـأنَّ دمعـاً جَـرى، ودمـاً، هنـاك، علـى حِـدادِ[4]
إذا التَبَسَتْ وجـوهُ الحكـمِ، يـومـاً، قضـى، فمضـى علـى نَهـجِ السَّـدادِ[5]
فـأيُّ بيـاضِ نُعمـى، ليـس يُعـزى لمشتمـلٍ بِسـربـالِ السَّـوادِ[6]
تَلـوَّى، فـالتمحـتُ بـه ضميـراً دخِيـلَ السِّـرِّ، ممـذوقَ الـوِدادِ[7]
يُجيـبُ، ومـا سـألـتُ لـه مجيبـاً، فيـا عجَبـاً لإفصـاحِ الجَمـادِ!..[8]

---

(١) المنساغة: صفة الخمرة التي استسيغت فسهل رشفها ـ شبه طيب الخمرة بريق المحبوب، وحمرتها من لون خدّه، وعلّل سهولة تناولها بهذا الضرب من التمثيل.
(٢) الأتيّ: السيل.
(٣) تخرّ: تنحنى ـ شبه سقوط البنى بفعل السيل بانحناء الوفود أمام الملوك ـ المحك: حجر يحك به للاختبار والانتقاد.
(٤) ورى بهذا البيت عن تداخل سواد لونه بحمرته.
(٥) نهج السدّاد: طريق الصواب.
(٦) يعزى: ينسب ـ السربال: اللباس.
(٧) ممذوق الوداد: غير خالص الود.
(٨) الإفصاح: البيان.

(٨١)

قُلْ لذاتِ الخَالِ

قال مخاطباً ذات الخال

ألا قُـل، لـذاتِ الخـالِ. عنّـيَ، إنّـي   لأرغـبُ عـن خـالٍ تطلّـعَ فـي خـدِّ[١]
وزهّـدنـي، فـي ذلـك الخـالِ، نسبـةٌ،   أَراهـا بخـالِ الخَـدِّ مـن جُعَـلِ الـوَردِ[٢]

(٨٢)

مكانَتي أبعدُ

قال ابن خفاجة معتدّاً بمناقبه وقيمه ومضاء عزيمته

أنّـي تُطـاوِلُنـي، ودونـي بَسطَتـا   جـدٌّ يسـاعـدنـي، وجَـدٌّ يُسعِـد؟[٣]
هـا قـد حلَلـتُ، وللتقَلقُـلِ غـايـةٌ،   فـي حيثُ يُشرقُ، ثـمَّ يُشرفُ مَقْعَـدُ[٤]
طُلـتُ السَّمـاءَ، فهـل سَمِعـتَ بحِيلـةٍ   تَـرقَـى بهـا نحـوَ السمـاءِ، وتَصعَـدُ؟
إلـزَمْ ثَـراكَ، وغُـضَّ طَـرفَـك ذلَّـةً،   فمَكـانَتـي أنـأى عليـك، وأبعَـدُ
ولئـن طَـربـتُ، وقـد عَـرَتنيَ وَعكـةٌ،   فـاللّيـثُ يَبـرُدُ، والمهنَّـدُ يُـرعَـدُ

(٨٣)

أين الوجع؟

أخبره شاعر صديق أنه استماح بخيلاً بعض عطائه فأناله القليل واعتذر إليه من رمحة فرس أصابته، فقال:

مـإن درى ذاك الـذّمِيـمُ، وقـد شكـا   مـن نَيـلِ مُمْتَـدِحٍ، ورَمـحِ جَـوادِ[٥]
هـل يشتكِـي وجعَـاً بـه فـي سُـرَّةٍ،   بـالسيـن، أم فـي صُـرَّةٍ، بـالصَّـادِ[٦]

---

(١) رغب عن الشيء: زهد فيه، لم يرده، كرهه.

(٢) الجعل: دويبة من ضروب الخنافس، كريهة الرائحة.

(٣) تطاولني: تحاول السموّ إلى منزلتي، تتحدّاني ـ الجَدّ: الحظ.

(٤) حللت حيث: نزلت وأقمت.

(٥) الذّميم: المذموم، غير المحمود ـ الرّمح: من رمحته الدّابة أي ركلته ورفسته.

(٦) السرّة: وسط البطن ـ الصرّة: أي صرّة المال ـ يسخر الشاعر من حجّة البخيل واعتذاره لأنه أعطى القليل.

(٨٤)
كِلاهما سَديدُ

وصف أخوين مختلفي الخَلْق أصيلي المنبت فقال:

طـرُقُ الـرِّجـالِ، إلـى المعـالـي، جَمَّـةٌ، شَتَّــى، فَــدانٍ قــاصــدٌ، وبَعِيــدُ[١]
وابنــاكَ إن لــم يَمْثُــلا فــي خِلْقــةٍ، فكــلاهمــا فــي مــا يــرومُ سَــديــدُ
كـرَمـاً، فهـذا، فـي مَفـارقِ عصـرهِ، تــاجٌ، وذاك، بصَفْحَتيــهِ، فــريــدُ
كـالـرُّمـحِ، والقَلَـمِ القصيـرِ لنسبـةٍ، وكــلاهمــا فــي مــا ينــوبُ حَميــدُ[٢]

(٨٥)
هَضْبَة عِصْمَة

هذه القصيدة من مداتحه قالها مطرياً صديقه الفقيه أبا أمية.

لا مـــاءَ، إلاَّ فـــوقَ نَصـــلٍ يُجـــرَّدُ، ولا ظِــلَّ، إلاَّ تحــتَ رُمــحٍ يُســدَّدُ[٣]
ولا غيــمَ، إلاَّ قَسطــلٌ، ثــار، أَقتَــمٌ، ولا بــرقَ، إلاَّ أشقــرٌ، جــالَ، أَجــرَدُ[٤]
ولا سَيــرَ، إلاَّ فــوقَ ظَهــرِ تَنُــوفَــةٍ، يُــراعُ سَــرابُ القــاعِ فيهــا، فيُــرعَــدُ[٥]
وخَـرقٍ سحيـقٍ، يمـلأُ الصَّـدرَ وَحشـةً، يـرَجـعِ صهِيـلَ الطِّـرفِ فيـه، ويُـوقِـدُ
طِـلابـاً لأمـرٍ يَـركَـعُ الـرمـحُ عِنَـده، طَـويـلاً، ويَهـوي المَشـرَفـيُّ، فيَسجُـدُ
وحَـومـاً علـى مـاءٍ تَـدانـى بـه المُنـى، وينــأى بــه المَســرى، فيَــدنــو ويَبعُــدُ
طـويـتُ بـه، تحـت الضُّلـوع، سـريـرةً، سيُفصِــحُ عنهــا السيــفُ، وهــو مُجــرَّدُ

---

(١) **جمّة**: كثيرة ـ **الداني**: القريب.
(٢) **ما ينوب**: ما يعود إليه من الأصالة والمنبت الكريم.
(٣) **في قوله**: ألا ماء، أراد بالماء جوهر السيف.
(٤) **القسطل**: الغبار الساطع في الحرب.
(٥) **التنوفة**: البريّة الخالية من الإنسان والماء.

وقد فلَّه طولُ الجِلادِ، كأنَّما يُضاحِكُ منه، مَفرِقَ الفَرقِ، أدرَدُ[1]
وطولُ اعتناقِ المجدِ كلّ ثنيّةٍ، تُمَدُّ إلى لَمسِ السماءِ بها يَدُ
عليها وِشاحٌ للعقيقةِ مُذهَبٌ، يَجولُ، وبُردٌ للغَمامةِ أربَدُ[2]
وأخضرَ عَجّاجٍ تُدرِّجُه الصَّبا، فتُتهِمُ فيه العينُ، طَوراً، وتُنجِدُ[3]
كأنَّ فؤاداً، بينَ جَنبيه، راجفاً، يقومُ به نأيُ الحبيبِ، ويقعدُ
سأركبُ منه ظهرَ أدهمَ رَيِّضٍ، مَروعٍ، بسَوطِ الرِّيحِ، يَرتدُّ يُزبِدُ[4]
وأمضي، فإمّا بيتُ نفسٍ كريمةٍ يُهَدُّ، وإمّا بيتُ عِزٍّ يُشَيَّدُ
وإن غضَّ يوماً دونه، طَرفُ حاسدٍ، فإنَّهما شمسٌ تُنيرُ، وأرمَدُ
فلا يَغترِرْ بالحِلمِ قَومٌ، فربَّما تصدَّعَ، عن سقطِ من النار، جَلمَدُ[5]
ولا يَكفُروا نُعمى الغَمامِ، فربَّما تَدلَّت عليهم صَعقةٌ تَتَوقَّدُ
فقَصرُ أناةِ الحِلمِ عَضّةُ سَطوةٍ، تُقيمُ صَغا تلك القَنا، وتُسوِّدُ[6]
وإن عصَفَت يوماً بهم ريحُ زَجرةٍ، ولفَّهُم خَطبٌ، تَقَعقَعَ، مُرعِدُ
فإنَّ، لإبراهيمَ، فَيأةَ رَأفةٍ، تَعودُ بعَطفِ الحِلمِ، والعَودُ أحمدُ[7]
وما ابنُ عِصامٍ غيرَ هَضبةِ عِصمةٍ تُجيرُ، وسُقيا رَحمةٍ تَتجدَّدُ
يسيرُ به، في الحقِّ، رأيٌ مُسدَّدٌ على منهَجِ التَّقوى، وعَزمٌ مُؤيَّدُ[8]

---

(١) **الجلاد**: القتال ـ **الأدرد**: الذي لا أسنان له، والمقصود السيف الذي تثلّم من مقارعة الأعداء في الحرب.

(٢) **العقيقة**: النهر، ومسيل الماء ـ **البرد**: الثوب ـ **الأربد**: ذو الرّبدة، والرّبدة: الغبرة.

(٣) **الأخضر العجاج**: البحر والمقصود هنا نهر العقيقة الذي ذكره ـ **الصّبا**: الريح وقوله تدرجه الصّبا: تشكل فيه ريح الصبا درجاً ـ **تتهم العين**: تنظر إلى أسفله، وتنجد: تنظر إلى أعاليه.

(٤) **سأركب**.. الخ يقول إنه وهو يعلو هذا النهر كأنه يمتطي ظهر فرس أسود اللون في اخضرار ووصف هذا الفرس بالرّيض وأنه سهل الانقياد.

(٥) **سقط النّار**: ما يتساقط من شررها ـ **الجلمد**: الصخر.

(٦) **الصغا**: الميل ـ القنا: الرمح.

(٧) **الفيأة**: الأوبة، الرجعة.

(٨) الرأي المسدّد: القويم، السديد ـ **المنهج**: الطريق.

فما تُرعَدُ الأسيافُ، إلا مَهابةً / لمُؤتمرٍ في اللهِ، يَنهى ويَنْهَدُ[1]
ولا تُكسَفُ الأفكارُ، إلا حَسادةً / لمُضطَلِعٍ بالمجدِ، يَسعى، فيَسعَدُ
ويُذكي، وراءَ اللَّيلِ، عيناً حديدةً، / يَنامُ بها الدِّينُ احتراساً، ويسهَدُ
ويَحلُمُ، ولا عن ذِلَّةٍ، ولَربَّما / سطا أُسدٌ منه، وأَطرقَ أَسودُ[2]
أَمَا وسِراطٍ بين عينيه للهُدى / لقد شادَ أركانَ الهُدى منه سيِّدُ
وألَّفَ، أَشتاتَ الفَضائلِ، أَروعٌ، / وقامَ، بأعباءِ المَكارم، أَيِّدُ
ودارَ به، في مُقلةِ المَجدِ، ناظرٌ، / وأَشرَقَ، في حَلْيِ المَساعي، مُقَلَّدُ
وسارَ مسيرَ النَّجمِ هَدياً ورِفعةً، / فغارَ به رَأيٌ، وأَنجد سُوددُ[3]
فطابقَ منه، منظراً راقَ، مَخبرٌ، / وظاهرَ فيه، مَولِداً طابَ، مَحتدُ
وحسبكَ مِن لفظٍ وخطٍّ، قِلادةٌ، / تُفَضَّلُ لِلْعَليا، وَوشيٌ مُعمَّدُ[4]
فللّهِ طِرسٌ، كلَّما أسَوَدَّ أسطراً / تألَّقَ لفظاً، فهوَ أَبيضُ أَسودُ
ونَدبٌ لبيبٌ يمشُقُ الطعنَ كاتباً، / ويَكفِيه أُنبوبٌ، من الرمحِ، أملَدُ
يُسوِّدُ أَطرافَ اليَراعِ، وإنَّما / يُحمِّرُ سُمرَ الخَطِّ، حينَ يُسوِّدُ
تبرَّعَ، لم يلجأ إلى الوعدِ صَمتُهُ، / وعاقَبَ، لم يُقعِده ضعفٌ، فيُوعِدُ[5]
له شِيمةٌ تَندى فتَشفِي من الصَّدى، / وتَنقَعُ أَحشاءَ الهجيرِ، فيَبرُدُ
تمُدُّ عليك، الظِّلَّ، سَرحةُ أبطحٍ / بها، ويغنِّيكَ الحَمامُ المُغرِّدُ
فمِن نورِ رأيٍ، لو تَراءَى لناظرٍ / لَلاحَ بهِ، تحتَ الدُّجُنَّةِ، فَرقَدُ
ومن حُرِّ نُبلٍ، قد أَفاضَتهُ همَّةٌ، / فساحَ به، في سَفحِ ثَهلانَ، موردُ[6]

---

(١) ينهد: يقوم وينهض.
(٢) الأسود: الذكر من الأفاعي.
(٣) سودد: مخفّف سؤدد بالترخيم، والسؤدد: المجد.
(٤) المعمدّ: المشيد على العمد.
(٥) يوعد: يتهدّد.
(٦) ثهلان: جبل معروف في أرض العرب.

وقولٍ له، في مقعَدِ الحِلمِ، حِكمةٌ ... يَحُلُّ بها، في اللهِ طوراً، ويَعقُدُ
وحكمٍ له، دون الدِّيانةِ، سَورةٌ، ... تُقيمُ على جَمرِ العِقابِ، وتَقعُدُ
وما السَّيفُ، لولا الخوفُ، إلا حديدةٌ، ... ولا الرمحُ إلا خُوطَةٌ تتأوَّدُ
فيا عارِضاً يَطوي السُّرى طَيَّ رَهبَةٍ، ... فَيسلُّ سيفَ البرقِ، طوراً، ويُغمِدُ
ويَسحبُ أذيالَ الرَّبابِ على الرُّبى، ... فيلقَطُ من دُرِّ النَّدى ما يُبَدَّدُ[1]
تحمّلْ إلى قاضي القُضاةِ تَحِيَّةً، ... تَبيتُ بمَلقى رَحلِه تَترددُ
تَضُوعُ، كما فاحَت معَ الفَجرِ روضةٌ، ... وطابَ، بريحِ المَندَلِ الرَّطبِ مَوقِدُ[2]
وتُهوي إلى لَثمِ البِساطِ، وإنما ... تُصلّي إلى رُكنِ المَعالي، فتسجُدُ

---

(١) الربّاب: السحاب الأبيض ـ يبدّد: المجهول من بدّد (الشيء): فرّقه، جعله يتلاشى.
(٢) تضوع: تعبق رائحتها ـ المندل: العود الطيّب الرائحة.

قافية الرّاء

(٨٦)
دعَوْتُ كبارا

قالها ممتدحاً صاحب قرطبة أبا الحسن بن الربيع مشيداً بمآثره.

ماذا عليكَ، وقد نأيتَ دِيارا، | لو طافَ بي ذاك الخَيالُ فزارا؟
ونظمتُ من قُبَلٍ، بصَفحةِ جيدِه، | عِقداً، وقد لَبِسَ العِناقَ شِعارا
فِيمَ التعلُّلُ في هواكَ، وقد طوى، | منّي الضّنى وبك النّوى، أسرارا؟
ولربَّما منَّ النسيمُ بنَفحةٍ، | تَندَى، على كبِدٍ، تذوبُ أُوارا[1]
وسألتُ فيك الليلَ عن سنَةِ الكَرى، | حتى أجابَني الصّباحُ سِرارا
وسحَبتُ أردانَ الظّلامِ على السُّرى | طُولاً، ومزّقتُ الذُّيولَ عِثارا
ووطِئتُ، دونَ الظّبيِ، غابةَ ضيغَمٍ، | غيرانَ، أنجدَ، في الوعيدِ، وغارا[2]
أذكى الدُّجى، عن نظرةٍ، ناراً، كما | هزَّ القَلا، عن زأرةٍ، أقطارا
فصَممتُ عنه، وقد سمِعتُ حمامةَ، | فاغرَورقَت عيني لها استِعبارا
هزَّت كهزّي نَصلَ سيفي لَوعةً، | فرَفَقْتُ حاشيةً، ورقَّ غِرارا[3]

---

(١) الأوار: الحرّ، العطش.

(٢) الضيغم: الأسد.

(٣) الغرار: حدّ السيف.

ومــلأتُ جَفنِــي عبــرةً، ولــربَّمــا أبكيتُـــه، فجــرى دمــاً مَــوَّارا
وصَبَــا إليهــا أسمــرٌ أعــديتُــه، فلَــوى معــاطفَــه لهــا تَخطــارا[1]
وإذا رقَــى ورقــاءَ، تحسِــبُ مُقلــةً زرقــاءَ، لــم تُطبِــق لهــا أشفــارا
ومشــى يتيــهُ بهــا، اختيــالاً، أجــردٌ، فــي شُقــرةٍ، لــو ســالَ ســالَ نُضــارا[2]
تستــرقــصُ الأعطــافَ، مــن طــربٍ بــه، شِيَــةٌ تــدورُ، علــى العيــونِ، عُقــارا
لــو كنــتَ شــاهدَهُ، وقــد مــلأ الفَضــا ركضــاً، وســدَّ علــى الكَمــيِّ قِفــارا[3]
لرأيتَ، في ما قد رأيتَ، وقد بدا، نــاراً تكــونُ، إذا جــرى، إعصــارا
أستعطِــفُ الأسمــاعَ إطــراءً لــه، فــي صــورةٍ تستعطِــفُ الأبصــارا
وغَمــامــةٍ نَشــرتْ جَنــاحَ حَمــامــةٍ؛ والبــرقُ قــد نسَــجَ الظَّــلامَ نهــارا
متألِّقٌ، صدع الدُّجى، وسقَى الثَّرى، فــابيــضَّ ذا نُــوراً وذا أنــوارا
فــي أجــرعٍ خلَــفَ الــربيــعُ بــه ابنَــه، كــرَمــاً، فــأخصــبَ رَبــوةً، وقَــرارا[4]
هفــتِ الصَّبــا منــه بمســرى دِيمــةٍ، هَطــلاءَ، قــرَّ بهــا العَجــاجُ وَقــارا
وكفَــتْ، فســالَــت فِضَّــةً، ولــربَّمــا طَبَعَــتْ بكــلِّ قَــرارةٍ دِينــارا
نثَلَــت بــه زُرْقُ النِّطــافِ سَــوابغــاً زُرقــاً، وجــرَّدتِ الشِّعــابُ شِفــارا
فكــأنَّمــا فُلَّــتْ، هنــاك، كتيبــةٌ، فــرمَــت بــه عنهــا السِّــلاحَ فِــرارا
أرضٌ هبَطــتُ بهــا سمــاءً طَلقــةً، وخبَطــتُ، مــن سَــدَفٍ بهــا، أنــوارا[5]
عــاطيتُ ذِكَر أبي الحُسين بها السُّرى ريحــانــةً، يشتمُّهــا مِعطــارا
وسُــلافــةً خفَّــت بنــا طــربــاً لهــا، واستــرقصَــتْ مــن فِتيــةٍ ومَهــارى
عبِثــت بهــا سِنَــةُ الكَــرى، فتمــايَــدَت، فــي مُلتقــى أسحــارِهــا، أشجــارا

(١) التخطار: التبختر، بباعث الاعجاب والزهو.
(٢) يتيه: يزهو ـ النضار: الذهب.
(٣) الكميّ: الشجاع، لابس السلاح.
(٤) ابن الربيع: كناية عن المطر ـ الربوة: الأكمة الخضراء.
(٥) السدف: الظلمة.

ولــربَّمــا ســالــت أبــاطِحُهــا بِهــا، فـــي مُنتحـــى أنهـــارِهـــا، أنهـــارا
أأَبــا الحسيــنِ، ومــا دعــوتُ مُصغَّــراً بــأبــي الحسيــن، وقــد دعَــوتُ كُبــارا
أعــزِز علــيّ، وقــد حَللــتَ عَــلاقــةً، بيــن الجَــوانــح، أن شَحْطــتَ جِــوارا[1]
وشــرقــتُ فيــك بعَبــرةٍ مشبــوبــةٍ، كــالبــرقِ يقــدَحُ، فــي الغَمــامــة، نــارا
وعُــلاكَ، لــو سمــحَ الــزمــانُ بليلــةٍ منـــه، لظَــلَّ بصَفْحَتَيْـــه عِـــذارا
تَثنـــي معــاطفَهــا اهتــزازَ بشــاشــةٍ تَتــرى، وخــفَّ بهــا الســرورُ وَقــارا[2]
فــاستهجَنَــت حمــلَ الثُّــريَّــا تُــومــةً، واستصغَــرت لُبــسَ الهِــلال سِــوارا[3]
وعسى الــزمــانُ، وإن عَســا فــي حــالــةٍ، يحنــو، فيــدنُــو بــالــوزيــرِ مَــزارا
فمــن المُنــى، وهــو الغــزالــةُ سنّــةً، لـــو أنَنـــي كنـــتُ الهِـــلالَ سِـــرارا[4]
طُلــتَ المــدائــحَ طَــولَ أروعَ مــاجِــدٍ، فلبستَهـــا حُلـــلاً، عليـــك، قِصـــارا
وكفــاك أنّــك مــن بُــدورِ معــاشــرٍ، طلَعـــــوا، لأوّلِ ليلَـــــةٍ أقمـــــارا
ولئــن عــدَتنــي عنــك كــلُّ تَنُــوفــةٍ، يهفُــو لهــا قلــبُ السَّــرابِ حِــذارا[5]
فلــربَّمــا طــرَقَــتْ، جَنــابــي، فِتيــةٌ، كَــرُمُــوا جِــواراً، فــي العُــلا، ونِجــارا[6]
نُجبــاءُ، تخفِــقُ فــي ظُهــورِ نجــائــبٍ، مـــا إن نضَـــلُّ، وقـــد مَثلـــنَ منـــارا
صدَعتْ بهم، سُجفَ الظّلامِ، أجادلٌ، لَـــزِمَـــتْ بهـــم أكـــوارَهـــا أوكـــارا[7]
فسَــرَت إلــيَّ مــعَ الــرّكــابِ، تحيَّــةٌ، عقــدَت علــيَّ، لهــا، العُلــى، أزرارا

---

(١) **شحطت جواداً**: نأيت وابتعدت.
(٢) **تثني معاطفها**: تميس وتزهو متمايلة.
(٣) **استهجن (ه)**: استقبحه ـ **التومة**: جمع تُوَم وتُوْم القرط أو حبّة من فضّة شبه الدرّة، والتومة أيضاً الخزام الذي يوضع في الأنف.
(٤) **الغزالة**: الشمس ـ **سنّة**: طلعة ـ **السرار**: الليلة الأخيرة من الشهر القمري، وفي هذه الليلة لا يظهر القمر.
(٥) **التنوفة**: المفازة.
(٦) **النجار**: الأصل والحسب.
(٧) **السجف**: الحجب، الستائر ـ **الأجادل**: الصقور، جمع الأجدل.

هَـــزَّازةٌ نـــاءت بعِطفَـــيْ عِـــزَّةٍ، حتـى جَـرَرتُ، علـى المَجـرِّ، إزارا[1]
هـدرَت جنـايـةُ صـرفِ دهـرٍ جـائـرٍ، نَفـضَ المشيـبَ، بعـارضـيَّ، غُبـارا
فـإذا حَنـوتُ، فـلا سلـوتُ، فـإنَّمـا أنـتَ القـريـبُ وإن شَحطـتَ دِيـارا

(٨٧)
مَنْصورُ اللّواء

من قصائده في مدح نجل أمير المؤمنين القائد أبي الطاهر تميم:

أما والتفـاتِ الـرَّوضِ عـن أزرق النَّهـرِ، وإشـراقِ جيـدِ الغُصـن فـي حِليَـةِ الزَّهـرِ
وقـد نَسَمَـت رِيـحُ النُّعـامـى، فنبَّهَـتْ عيونَ النَّدامى، تحتَ رَيحانةِ الفَجرِ[2]
وخِـدرِ فتـاةٍ قـد طَـرَقـتُ، وإنَّمـا أُبحـتُ بـه وَكـرَ الحَمـامـةِ للصَّقـرِ
وقـدٌّ خلعـتُ البُـردَ عنـه، وإنَّمـا نشَـرتُ بـه طـيَّ الصحيفـةِ عـن سَطـرِ
لقـد جُبـتُ، دونَ الحـيِّ، كـلَّ تَنـوفـةٍ، يحـومُ بهـا نَسـرُ السمـاءِ علـى وَكـرِ[3]
وخُضـتُ ظـلامَ الليـلِ، يسـودُّ فحمُـه، ودُستُ عرينَ اللَّيثِ، ينظُرُ عن جَمرِ
وجئـتُ ديـارَ الحـيِّ، والليـلُ مُطـرَفٌ، مُنمنَـمُ ثـوب الأفـقِ بـالأنجُـم الزُّهـرِ[4]
أَشِيـمُ بهـا بـرقَ الحـديـدِ، وربَّمـا عَثـرتُ بـأطـرافِ الـرُّدَينِيَّـةِ السُّمـرِ
فلـم ألـقَ، إلاَّ صَعـدةً فـوقَ لامـةٍ، فَقُلْـتُ: قضيـبٌ قـد أَطـلَّ علـى نَهـرِ[5]
ولا شِمـتُ، إلاَّ غُـرَّةً فـوقَ شُقـرةٍ، فقلـتُ: حَبـابٌ يستـديـرُ علـى خَمـرِ
ودونَ طـروقِ الحـيّ خَـوضـةُ فَتكـةٍ، مـوَرَّسَـةِ السِّـربـالِ، داميـةِ الظُّفـرِ[6]

---

(١) الإزار: الرداء.
(٢) نسمت الريح: هبّت وتحرّكت.
(٣) جبتُ المطاف: طفت به ـ الوكر: عشّ الطائر.
(٤) المطرف: الذي طرفت عينه فدمعت والطرف أيضاً: الإزار ـ الثوب المنمنم: المزخرف والموشّى.
(٥) الصعدة: الرمح ـ اللامة: مخفّف اللأمة، وهي الدرع.
(٦) السربال: القميص، وكلّ ما يلبس ـ مورّسة: حمراء.

تطلّعُ في فرعٍ، من النقعِ، أسودٍ، وتسفُرُ عن خدٍّ، من السيفِ، مُحمرِّ

فسرتُ، وقلبُ البَرقِ يخفُقُ غَيرةً، هناك، وعينُ النجمِ تنظُرُ عن شَزرِ(١)

وطارَ إليها بي جَناحُ صبَابةٍ، فطارَ بها عنّي جَناحٌ منَ الذُّعرِ

فقلتُ: رُويداً، لا تُراعي، إنّنا لنَطوي ضُلوعَ الليلِ منّا على سِرِّ

وسكّنتُ من نفسٍ، تجيش، مَرُوعةٍ، ومسّحتُ عن عطفٍ، تمايلَ، مُزوَرِّ

ومزّقتُ جيبَ الليلِ عنها، وإنّما رَفعتُ جَناحَ النسر عن بَيضةِ الخِدْرِ(٢)

وقبّلتُ ما بينَ المُحيّا إلى الطُّلى؛ وعانَقتُ ما بين التَّراقي إلى الخَصرِ

وأَطربَ سَجعُ الحَلْيِ من خيزُرانةٍ تميلُ بها ريحُ الشبيبةِ والسُّكرِ(٣)

غَزاليّةُ الألحاظِ، رِيميّةُ الطُّلى، مُداميّةُ الألمى، حَبابيّةُ الثَّغرِ(٤)

تَرجّحُ في مَوشيّةٍ ذَهبيّةٍ، كما اشتَبكت زُهرُ النجومِ على البَدرِ

تلاقى نسيبي في هَواها وأدمُعي، فمن لُؤلؤٍ نَظمٍ، ومن لُؤلؤٍ نَثرِ

وقد خلَعَت، ليلاً، علينا يدُ الهَوى رداءَ عِناقٍ مزَّقَته يدُ الفَجرِ

ولمّا تجلّى ضَوءُ صُبحٍ، كأنّه مَشيبٌ بِفَودِ الليلِ طالعَ من قطرِ

وحطَّ رِداءَ الغيمِ عن منكِبِ الصَّبا؛ ونَمَّ، على ذيلِ الدُّجى، نَفَسُ الزَّهرِ

صَدرتُ، ودونَ النَّجم سترُ غَمامةٍ، يَشفُّ، كما شفَّ الرَّمادُ عن الجَمرِ

ولا ليلَ، إلاّ بالثّويّةِ، أقمرٌ، تنفَّسَ فيه السكرُ عن نَفحةِ الشُّكرِ(٥)

ولا كفَّ، إلا للأميرِ، كريمةٌ، تبسَّمَ فيها النَّصلُ عن مَبسِمِ النَّصرِ

وهَبَّ، بها، يَمضي فيَفْري، كأنّما شِهابٌ، بها، يَنقضُّ، أو قَدَرٌ يجري

---

(١) الشزر: الحمرة في العين.

(٢) الجيب: القميص، والجيب أيضاً القلب أو الصدر.

(٣) والخيزرانة هنا كناية عن القامة الطويلة اللينة.

(٤) غزالية الأنماط: أي عيناها كعيني الظبي - ريمية نسبة إلى الريم، وهو الظبي - الطّلى - جمع الطلية - العنق، يشبه عنقها أو جيدها بجيد الريم.

(٥) الثوية: علم على موضع.

فللّـهِ محمـولٌ، هنـاك، وحـامـلٌ … بعيدُ مَجالِ الصَّوتِ والصِّيت والـذّكـرِ
تَلـوذُ المُنـى، منـه، بـأصيـدَ أمجـدِ، … صقيـلِ فـرنـدِ الحمـدِ والمجـدِ والبِشـرِ
وأبلـجَ منصـورِ اللـواءِ، إذا سَـرى، … أظلّـت عُقـابُ النصـرِ أجنحـةَ النَّسـرِ[1]
عليـه يميـنٌ أن تَفيـضَ يَمينُـه، … وأن لا يَغُضَّ السيفُ جَفناً على وِتْرِ[2]
يَعُبُّ عُبابَ البَحرِ، في السِّلمِ والوَغى، … ببَـذلِ اليـدِ الغَـرّاءِ، والفَتكـةِ البِكـرِ
لـه رايـةٌ، لـو زاحـمَ الـدهـرُ، تحتَهـا … لعُـدَّت بـه دُهـمُ الليـالـي مـن الشُّقـرِ
وعـزمٌ يُـذِلُّ الطَّـودَ هـدّاً، ونَجـدةٌ … تَهُـزُّ قُـدودَ السُّمـرِ فـي الحُلَـلِ الحُمـرِ
ووجـهٌ وضـيءٌ، شـفَّ عنـه لِثـامُـهُ، … كمـا شـفَّ رقـراقُ الغَمـام عـن البَـدرِ
إذا كَتَمتَـه، بـالمَفـاضـةِ، دِرْعُـه، … تَـراءى هِـلالٌ، منه، يطلُعُ مِن بَحرِ[3]
سَـرى بيـنَ نُـوّارٍ لـزُرقِ أسِنَّـةٍ، … حِـدادٍ، وأوراقٍ لـرايـاتِـه الخُضـرِ
فهـزَّت إليـه، عطِفَهـا، كـلُّ رايـةٍ، … تَهُـزُّ عليـه الغُصـنَ فـي الـورَقِ النَّضـرِ
وحـنَّ إليـه كـلُّ وِردٍ مُحجَّـلٍ، … كـأنَّ لُجَيْنـاً سـالَ منـه علـى تِبـرِ[4]
يجوُلُ، فتَجري، في عنانٍ، به الصَّبا، … ويـزخَـرُ، فـي لِبـدٍ، بـه البحرُ فـي البرّ
وأشهـبُ وضّـاحٌ تحمَّـلَ رُقعـةً … من الحُسنِ، لم تَعبُر به العينُ في بَسرِ[5]
تخُطُّ سطُورَ الضرب، في صدره، الظُّبى، … ويَعجمُهـا وَخـزُ المثقَّفـة السُّمـرِ
ويَـدرُجُ منـه السِّلـمُ مـا تنشُـرُ الـوَغـى، … فطـوراً إلـى طـيٍّ، وطـوراً إلـى نَشـرِ
وأدهـمُ، لـولا أنـه راقَ صـورةً، … لمـا عـرَفَتـه العيـنُ مـن لَيلـة الهَجـرِ[6]

---

(١) الأبلج: الواضح المحيا، الناصع الجبين.
(٢) يقول: إن ممدوحه أقسم على أن تفيض يده عطاء وألا يغمد سيفه إلا إذا نال ثأره من خصم أو عدو.
(٣) المفاضة: الدرع الواسعة.
(٤) اللجين: الفضة ـ التبر: الذهب.
(٥) البسر: العجلة، يقول إن حسنه لافت يستوقف الناظرين.
(٦) الأدهم: الأسود ـ ليلة الهجر: يريد الليلة التي يهجر فيها المحبّ حبيبه وهي ليلة حالكة السواد.

طويلُ سبيبِ العُرفِ والعُنقِ والشوى، قصيرُ عسيبِ الذَّيلِ والأذنِ والنَّسرِ[1]
لـه غُـرَّةٌ، تستصحِـبُ النَّصـرَ، طَلْقـةٌ، كفاكَ بهـا فـي سُورةِ الحَشرِ مـن عَشرِ
أَمـا وانتشـارِ النَّقـعِ عَنـه صحيفـةً، لقـد راعَ فـي تلـك الصحيفـةِ مـن حِبرِ
ونـال فطيماً سؤددَ الكَهلِ في الصِّبا، فتَـمَّ تمـامَ البـدر فـي غُـرَّةِ الشَّهـرِ
وحلَّـت بـه الآمـالُ، وهـي شـريفـةٌ مَحـلَّ ليالـي الصَّـومِ مـن لَيلـةِ القَـدرِ
لَبيـبٌ، فمـا نَـدري: أَرأيـاً لحـادثٍ يُبيِّـتُ، أَم سهمـاً لشـاكلـةٍ يَبـري[2]
تقسَّمَـه جـودٌ يفيـض، وهِمَّـةٌ، فمـن مَنهَـلٍ غَمـرٍ، ومـن جَبـلٍ وعـرِ[3]
لـه كـلُّ نُعمـى، بيَّضَت كـلَّ صَفحةٍ، بكـلِّ مَكـانٍ، فـالبَهيـمُ مـن الغُـرّ
فلـو مَسَحَـت يُمنـاه، عـن وجـهِ ليلـةٍ، لحطَّـت قِناعَ الليـلِ عـن قمَـرٍ يَسـري[4]
رميـتُ بـآمـالـي إليـه، وإنَّمـا حَملتُ بها المَرعى الجديبَ إلى القَطرِ
ولا أَمـلٌ إلاَّ كتـابُ شَفـاعـةٍ، إذا الخطـبُ أَعيـا وزرُه شَـدَّ مـن أزري
شفيـعٌ، لـو استعطفتُ عصرَ الصِّبا بـهِ لعـاجَ، سقَتـه دمعـةُ المُـزنِ مـن عَصـرِ
وبيَ مَسُّ شكوى، لا أُطيق لها السُّرى، فـإن لـم أَطـأ بـابَ الأميـرِ، فعَـن عُـذْرِ
ولـو مُلِئَـت عيـنُ الـدُّجـى لمَـلأتُهـا بغُرَّةِ شمسِ العَصرِ، في مطلعِ القَصرِ
ومـا المـرءُ إلاَّ قلبُـه، وإذا سَـرى معَ الركبِ من شوقٍ، فإني معَ السَّفرِ
أبـا الطَّـاهـرِ أقبَلْهـا إليـك تحِيَّـةً، أَرَقتُ عليها، سَحرةً، رونَقَ السِّحرِ[5]
خلَعـتُ قـوافِيهـا عليـك، وإنَّمـا نظَمـتُ بهـا عِقـداً نفيسـاً علـى نَحـرِ
فسُد، وطإِ التِّيجانَ عزّاً، وذُدْ، وجُدْ، فسيـحَ فِناءِ المُلـكِ عـالـي يـدِ الأمـرِ
طليقَ لسانِ السيفِ والضيفِ والنَّدى، رفيـعَ مَنـارِ القَـدرِ، والـذِّكـرِ والفَخـرِ

---

(١) **السبيب**: الخصلة من الشعر ـ **الشوى**: الأطراف ـ **الذيل العسيب**: العظيم.
(٢) **لبيب**: فطن، شديد الذكاء ـ **يبيّت الأمر أو الرأي**: يعدّه مسبقاً ـ **الشاكلة**: النيّة.
(٣) يمتدح كرمه وهمته ويقول بأنه موزّع بين هذا وذاك.
(٤) يتابع إطراءه ويقول بأنّ شمائله الحميدة كفيلة أن تبدّد ظلمة الليل لتنكشف عن نور قمر يسري.
(٥) **أرقت**: من أراق أي صبّ.

(٨٨)
ارتَقى شَرَفاً

أنشد هذه القصيدة مادحاً الأمير أبا يحيى بن إبراهيم

سمَحَ الخيالُ، على النَّوى، بمَزارِ، والصبحُ يمسحُ عن جبينِ نَهارِ
فرفعتُ، من ناري، لضيفٍ طارقٍ، يعشُو إليها من خيالٍ طاري
ركِبَ الدُّجى، أَحسنْ بها من مَركبٍ؛ وطَوى السُّرى، أَحبِبْ به من ساري
وأَناخَ حيثُ دموعُ عيني منهَلٌ يَروي، وحيثُ حَشايَ مَوقِدُ نارِ
وسَقى فأروي غُلَّةً من ناهلٍ أورى، بجانحَتَيهِ، زَندَ أُوارِ[١]
خلعَ الهوى ثوباً عليه من الضَّنى، قد شفَّ عنه، فهو كاسٍ عاري
يَلوي الضلوعَ، من الولوعِ، لخطرةٍ من شَيمِ برقٍ، أو شميمِ عَرارِ
والليلُ قد نضحَ الندى سِربالَه، فانهلَّ دمعُ الطَّلِّ فوقَ صِدارِ[٢]
لبسَ المجرَّ على السَّوادِ فخلتُه متنزّهاً، قد شَدَّ من زُنّارِ
ووراءَ أَستارِ الدُّجى متململٌ، يَلقى بيُمنى، تارةً، ويَسارِ
ما طالعَتهُ بَرقَةٌ نجديَّةٌ، إلّا اجتلَتها نظرةُ استعبارِ[٣]
مترقِّبٌ رُسُلَ الرياحِ، عشيَّةً، بمساقطِ الأنواءِ والأنوارِ
ومَجَرِّ ذيلِ غمامةٍ، لبِسَت به، وَشيَ الحَبابِ، معاطِفُ الأنهارِ
خفقَت ظِلالُ الأيكِ فيه ذوائباً، وارتجَّ، رِدفاً، مائجُ التَّيّارِ[٤]
ولَوى القضيبُ، هناك، جيداً أَتلعاً، قد قبَّلَتهُ مَباسمُ النُّوّارِ
باكرتُه، والغيمُ قِطعةُ عنبرٍ، مشبوبةٌ، والبرقُ لَفحةُ نارِ
والريحُ تَلطِمُ فيه أَردافَ الرُّبى، لَعِباً، وتَلثِمُ أَوجُهَ الأزهارِ

---

(١) الغلّة: العطش الشديد ـ أورى: أوقد الأوار: الظمأ والحرّ الشديد.
(٢) السربال: القميص ـ الطلّ: النّدى ـ الصدار: قميص يستر الصدر دون اليدين.
(٣) اجتلى (ه): نظر إليه ـ الاستعبار: مصدر استعبرت (العين): أي أرسلت عبرتها، أي دمعتها.
(٤) الأيك: الشجر الكثير الملتف ـ الذوائب: الأغصان، والذوائب جمع ذؤابة الضفيرة.

ومنـابـرُ الأشجـار قـد قـامَـت بهـا، خُطَبــاء مفصحــةٌ مــن الأطيــارِ
فـي فِتيـةٍ جنَبـوا العَجـاجـةَ، ليلـةً، ولــربَّمــا سفــروا عــن الأقمــارِ[1]
ثــارَ القَتــامُ بهـم دُخـانـاً، وارتمـى زَنْــدُ الحفيظــة، منهــمُ، بشــرارِ[2]
شـاهـدتُ، مـن هيـآتِهـم وهِبـاتهـم، أشــرافَ أطــوادٍ، وفيــضَ بِحــارِ
مــن كــلِّ منتقِــبٍ بـوَردةِ خجْلــةٍ، كــرَمــاً، ومُشتمــلٍ بثـوبِ وقــارِ
فــي عِمَّــةٍ خَلَعَــت عليــه كلمــةً؛ وذؤابــةٍ قُــرِنَــت بهــا كعِــذارِ
ضـافـي رداءِ المجـدِ، طَمّـاحِ العُـلا، طـامـي عُبـابِ الجُـودِ، رَحـبِ الـدارِ
جَــرّارِ أذيــالِ المعــالــي والقنَــا، حــامــي الحقِيقـةِ والحِمـى والجـارِ
طـرَدَ القَنيـصَ بكــلِّ قَيـدِ طـريـدةٍ، زجِــلِ الجَنــاحِ، مُــورَّدِ الأظفــارِ[3]
ملتفَّــةٍ أعطــافُــهُ بحبيــرةٍ، مكحــولــةٍ أجفــانُــه بنُضــارِ[4]
يـرمـي بـه الأمـلَ القصـيَّ، فينثنـي مخضــوبَ راءِ الظُّفــرِ والمِنقــارِ[5]
وبكـلِّ نـائـي الشـوطِ أشـدقَ أصـدرٍ، طاوي الحشى حالي المقلَّدِ ضاري[6]
يَقتــرُّ عــن مثـلِ النِّصــالِ، وإنَّمــا يمشــي علــى مثـلِ القَنـا الخطّــارِ
مستقـريـاً أثَـرَ القَنيـص علـى الصَّفـا، والليــلُ مشتمــلٌ بشملــةِ قــارِ[7]
مــن كــلِّ مســوَدٍّ، تلهَّــبَ طَـرفُـه، تَهــديــد فحَمتُـهُ بشُعْلـة نــارِ
ومــورَّسِ السِّــربــالِ، يخلــعُ قــدَّه عـن نجـمِ رجـمٍ فـي سمـاءِ غُبـارِ[8]

(١) **العجاجة**: الغبار الثائر ـ **سفر عن**: كشف.
(٢) **القتام**: الغبار ـ **الحفيظة**: الحمية التي تدفع إلى الذّود عن المكارم والأعراض.
(٣) **أراد بالطريدة هنا**: الفرس النشيط ـ **زجل**: ذو صوت ـ **مورّد**: مدمّى، مصبوغ بلون الورد.
(٤) **الحبيرة**: البرد المزركش ـ **النّضار**: الذهب.
(٥) **القصيّ**: البعيد ـ **راء الظفر والمنقاد**: أي الطرف من هذين الاسمين ويلاحظ أنه حرف الرّاء.
(٦) **النائي**: البعيد ـ **الأشدق**: الواسع الشدق أي الفم ـ **طاوي الحشى**: نحيل الخصر ـ **حالي المقلّد**: أي جيده مزيّن بالحليّ.
(٧) **مستقرياً**: مخفّف مستقرئاً، متتبعاً ـ **بشملة قار**: أي بثوب أسود.
(٨) **السربال**: القميص.

عطـفَ الضُّمُـورُ سَـراتَـه، فكـأنَّـه، والنَّقـعُ يَحجُبُـه، هِـلالُ سِـرارِ[1]
ولـربَّ روّاعٍ، هنـالـك، أنبـطٍ، خَلَـقِ المسامـعِ، أطلَسِ الأطمـارِ[2]
يجـري علـى حـذَرٍ، فيجمـعُ بَسطَـه، يَهـوي، فينعطِـفُ انعطـافَ سُـوارِ
ممتـدٌّ حَبـلَ الشـأوِ، يعسِـلُ راتعـاً، فيكـادُ يُفلِـتُ أيـديَ الأقـدارِ[3]
متـردداً يَـرمـي بـه خـوفُ الـرَّدى كُـرَةً، تهـادَتهـا أكُـفُّ قِفـارِ
ولـرُبَّ طَيّـارٍ خفيـفٍ، قـد جـرى فشَـلا بجـارٍ، خلفـه، طَيّـارِ
مـن كـلِّ قـاصـرةِ الخُطـى، مُختـالـةٍ، مَشـيَ الفَتـاةِ تجـرُّ فَضـلَ إزارِ
مخضـوبـةِ المنقـارِ، تحسَـبُ أنَّهـا كَـرَعـت، علـى ظَمـإٍ، بكـاسَ عُقـارِ
لا تستقـرُّ بهـا الأيـادي، خشيـةً مـن ليـلِ ويـلٍ، أو نهـارِ بَـوارِ[4]
ولـو استجـارَت منهمـا بحِمـى أبـي يحيـى، لأمَّنَهـا أعـزُّ جِـوارِ
حَـرَمٌ، إذا اشتمـلَ الطـريـدُ بظلِّـه، لـم يَخـشَ مـن جَـورٍ، هنـالـكَ جاري
تقِـفُ الـرِّيـاحُ، بجـانبَيـه، هَيبـةً، ويغُـبُّ بحـرُ العسكـرِ الجَـرّارِ
ويَقِيـلُ، مـن أمـنٍ بـه، ظبـيُ النَّقـا فـي جحـرِ خيـسِ الضَّيغـمِ الـزّآرِ[5]
خـدمَ القضـاءُ مُـرادهُ فكـأنَّمـا ملكَـت يـداهُ أعنَّـةَ الأقـدارِ
وعَنـا الـزمـانُ لأمـرِه، فكـأنَّمـا أصغـى الـزمـانُ بـه إلـى أمّـارِ
وجَـلا الإمـارةَ فـي رقيـقِ نَضـارةٍ، جَلَـتِ الـدُّجـى فـي حُلَّـةِ الأنـوارِ
فـي حيـثُ وشَّـحَ لَبَّـةً بِقـلادةٍ منهـا، وحَلَّـى معصمـاً بسِـوارِ[6]

---

(١) السراة: الظهر.
(٢) الأنبط: الأبيض فما تحت الإبط ـ الخلِق: من خَلَق خلقا الشيء: سوّاه ملّسه، وخلَق: لان واملس.
(٣) الشأو: الشوط ـ يعسل: يضطرب في مشيته.
(٤) الويل: الهلاك، حلول الشرّ ـ البوار: الكساد.
(٥) يقيل: ينام القيلولة، أي نوم الظهيرة ـ خيس: أجمة ـ الضيغم: الأسد ـ الزآر: الذي يزأر بشدّة.
(٦) اللبّة: موضع القلادة من الصدر، واللفظة من لُبّ الشيء، أي خالصه.

جذلانَ يملأُ منحةٍ وبشاشةَ … أيدي العُفاةِ، وأعينَ الزُّوّارِ
متقسِّمٌ ما بينَ بدرِ دُجُنَّةٍ … أسرى، وبين غمامةٍ مِدرارِ
أَرِجَ النَّدِيُّ بذكرِه، فكأنَّه … متنفِّسٌ عن روضةٍ مِعطارِ[1]
في حُسنِ منطِقهِ، وهَشّةِ وجهِه، … مُستمتَعُ الأسماعِ والأبصارِ
جارى الرِّياحَ إلى السَّماحِ، فما جرَت … معه الرياحُ النُّكبُ في مِضمارِ[2]
وزكا، فشدَّ على العَفافَ إزارهَ؛ … إنَّ العَفافَ لَشيمةُ الأحرارِ
يَقِظٌ ذَكا فَهماً، وأشرفَ هِمَّةً؛ … وكفاكَ من نارٍ به ومَنارِ
لبِسَ التواضعَ عن جَلالٍ، وارتقى … شرَفاً بحيثُ سما سماءَ فَخارِ
ألقت إليه، بالأمورِ، إمارةٌ، … ملأت، رُواءً، أعينَ النُّظّارِ
فعِنانُ تلك الدولةِ، الغَرّاءِ، في … تَدبيرِ ذاكَ الفارسِ المِغوارِ
بطلٌ جرى الفَلَكُ المُحيطُ بسَرجِه، … واستَلَّ صارمَه، يدُ المِقدارِ
يمتدُّ حبلُ الأسمرِ الخَطِّيِّ في … يده، ويباعُ الأبيضُ البتّارِ[3]
بيمِينِه، يومَ الوَغى، وشِمالِه، … ما شاءَ من نارٍ ومن إعصارِ
فالشَّمسُ خَمرٌ، والجِيادُ عَرائسٌ، … والجوُّ كاسٌ، والسيوفُ مَداري[4]
والخيلُ تعثُرُ في شَبا شوكِ القَنا، … وتظَلُّ تسبحُ في الدمِ المَوّارِ[5]
والبِيضُ تُحنى في الطُّلى، فكأنَّما … لُوِيَتْ عُرَى، منها، على أزرارِ
والنَّقعُ يكسِرُ من سنا شمسِ الضُّحى، … فكأنَّه صدأٌ على دِينارِ
صحِبَ، الحسامَ، النَّصرُ صُحبةَ غِبطةٍ، … في كفِّ صَوّالٍ به سَوّارِ[6]

---

(١) أرج: فاح ـ المعطار: الكثير التعطّر.
(٢) النكب: جمع النكباء: الريح الواقعة بين الصّبا والشمال.
(٣) الأسمر الخطيّ: الرمح ـ الأبيض: السيف ـ البتّار: السيف القاطع.
(٤) المداري: جمع مدرى، وهو المشط.
(٥) تعثر: تكبو وتزلّ ـ الشبا: حدّ كل شيء جمع الشباة.
(٦) الحسام: السيف ـ الصوّال: الشديد السطو والقهر ـ سوّار: وثّاب.

لــو أنــه أوحــى إليــه بنَظــرةٍ، يــومــاً، لثــارَ فلــم ينَــم عــن ثــارِ
ومضــى، وقــد ملكَتــه هِــزَّةُ عِــزَّةٍ، تحــت العَجــاجِ، وضِحكــةُ استبشــارِ
ولــربّ صِفــرِ الكــفّ، هــاذٍ بــالمنى، كِلِــفٍ بــأطــوارٍ مــن الأوطــارِ
قــد أسبــل الظّلمــاءَ سِتــراً، دونَــه، وخــلا بــأبكــارٍ مــن الأفكــارِ
صاحــت بــه الأيامُ، تــرفعُ صوتَهــا، فكــأنّمــا نــادَتــه خلــف جــدار:
دع عنــك ثيِّــبَ كــلِّ نُعمــى، والتمِــس مِنَحــاً لإبــراهيــمَ، فهــيَ عَــذاري[1]
واربــع بحيثُ تصوبُ، أرضَك، ديمةٌ ليميــن يُمــنٍ، أو يَســارِ يَســارِ
هَطــلاءُ، تضحــكُ كــلُّ زهــرةِ صفحــةٍ عنهــا، وتُعشِــبُ كــلُّ ســاحــةِ دارِ
مــن معشــرٍ تَــدمى بهــم، يــومَ الــوغى، بَيــضُ السيــوفِ وأوجــهُ الكُفّــارِ
وتحــورُ نفــسُ المستطيــلِ مهــابــةً، ويــذِلُّ، رُغمــاً، معطِــسُ الجَبّــارِ
جمــعَ النَّــدى بهــم، وصــدرُ المُنتــدى، كَــرَمَ النفــوسِ ورِقّــةَ الأبشــارِ[2]
ســادَ السّــراةُ بمــا استفــادوا عنهُــمُ؛ إنَّ الشمــوسَ لعِلّــةُ الأقمــارِ
وسخــا الكــرامُ بمــا استمــدوا منهــمُ؛ إنَّ البحَــارَ لَمنشــأُ الأمطــارِ
تُنميهــمُ الــدُّنيــا إلــى صِنهــاجــة؛ والــديــنُ يُنميهــم إلــى الأنصــارِ[3]
شــادَت يــدُ العَليــاءِ فــي عَــرَصــاتهــم، أعلــى منــارٍ فــي أعــزِّ ديــارِ
مــن كــلِّ غَيــثٍ، للسَّمــاحــة، واكــفٍ، يَهمــي، وقِــرنٍ، فــي الــوَغــى، هَــدّارِ
يتتــابعــون إلــى الصَّــريــخِ، كــأنهــم أمــواجُ بَحــرٍ، قــد طمــى، زخّــارِ[4]
كــم مطلَــقٍ، لنَــداهــمُ وظُبــاهــمُ، مــن قَيــدِ إعســارٍ وقِــدِّ إســارِ
ورداءِ مجــدٍ، طُــرِّزت أعطــافُــه بــالحمــد، لا يبْلَــى علــى الأعصــارِ

---

(١) **الثيّب**: أصلاً المرأة غير العذراء ـ **المنح**: جمع منحة الهبات والعطايا ـ **العذاري**: الأبكار.

(٢) **الأبشار**: جمع بشرة، جلد الجسم الظاهر.

(٣) **صنهاجة**: من القبائل الإفريقية التي تسنّم زعماؤها حكم البلاد خلال حقبة من الزمن ـ **الأنصار**: أراد أهل المدينة الذين نصروا الإسلام عند نشأته.

(٤) **الصّريخ**: المستجير ـ **طمى البحر**: علا موجه ـ **البحر الزخّار**: الزاخر، الموّار.

فلوَ إنّهم خلَدوا خلودَ ثنائهم، لم تَنفصم عنهم عُرى الأعمارِ
وإليكَ، من حَوكِ البديعِ، قوافياً، هزَّ النشيدُ بها متونَ شفارِ
زَفَّت، أَبا بكرٍ، إليك محاسناً، جاءتك تحملُ عُذرة الأبكارِ
فأصِخ إلى هَزجِ المَديحِ، فإنَّما صدَحَت، بأغصانِ السطورِ قُماري[1]
هزَّت معاطِفَ سامعيها حكمةً، كادت تهُزُّ معاطفَ الأسطارِ
مسحتَ جفونَ الركب من سِنة الكرى، ولَوَمهُمُ طرَباً على الأكوارِ[2]
ورأتك كُفؤاً، فانتَحَتك على النَّوى والبعدِ، بعدَ السّتّةِ الأقطارِ
فاطْلَعْ، لرَوضَتِها، صباحاً نَيِّراً، يستضحِك النُّوّارَ للأنوارِ
واسلم، أَبا يحيى، لها من دولةٍ كَسَت اللّياليَ رونقَ الأسحارِ
وانَهد لها، فالسيفُ في يد فارسٍ، يسطو به، والسَّهمُ في يدِ باري
واشفَع على شحطِ الديارِ لآملٍ، أهدى الثَّناءَ على تنائي الدارِ

(٨٩)
كما تَهْوى العُلا

نظم هذه القصيدة مادحاً أبا الحسن بن نعيم:

تشفَّعْ بعِلقٍ، للشَّبابِ، خطيرِ؛ وبِتْ تحتَ ليلٍ، للوِصالِ، قصيرِ[3]
ونَل نَظرةً من نُضرةِ الحُسن، وانتعش بغُرَّةِ رَقراقِ الشبابِ غريرِ
فما الأنسُ، إلاّ في مُجاجِ زجاجةٍ؛ ولا العيشُ، إلاَّ في صريرِ سريرِ[4]
وإنّي، وإن جئتُ المشيبَ، لَمُولعٌ بطُرَّةِ ظِلٍّ، فوقَ وجهِ غديرِ
فيا حبَّذا ماءٌ بمُنعرَجِ اللّوى، وما اهتزَّ مِنْ أَيكٍ عليه مَطيرِ

---

(١) **أصخ**: استمع ـ صدحت: غرّدت ـ القماري: من ضروب الحمام الحسن الصوت.
(٢) **الكرى**: النوم.
(٣) **العلق**: النفيس ـ **الوصال**: خلاف الهجر والصّرم.
(٤) **المجاج**: الريق، ومجاج النحل: العسل **وقوله**: مجاج زجاجة عنى الخمر.

ونفحـــةُ ريـــحٍ، للـــربيـــعِ، ذكيَّـــةٌ، ولمحـــةُ وجـــهٍ، للشبـــابِ، نضِيـــرِ
ونعسـةُ طَـرفِ العَين مـن سِنَـةِ الكرى، لـرجـعِ خـريـرٍ ، أو لشَجـوِ هَـديـرِ
وقد لاحَ وجهُ الصبحِ، يندى، كأنه، وراءَ قِنـــاعِ الليـــلِ، وجـــهُ بشِيـــرِ
وأَشـــرقَ نجـــمٌ للثُّـــريَّـــا، كـــأنـــه، أَيـــادي نعِيـــمٍ، أو هضـــاب ثَبيـــرِ[1]
فتًى شابَ، في عصرِ الشبيبةِ، حِنكةً، وقـــامَ صغيـــراً فـــي جَـــلالٍ كبيـــرِ
وأَصغَى، إلى داعي النَّدى، سَمع أروعٍ مُجيـبٍ، علـى بُعـدِ الصَّـريـخِ، مُجيرِ
فبـــاتَ، ولـــلأنبـــاءِ فيـــه تـــأرُّجٌ، تَطيـــبُ بـــه أَنفـــاسُ كـــلِّ سَميـــرِ
وللـــروضِ سِـــرّ شـــافَهَتنـــا بـــه الصَّبـــا، سُحَيـراً، فـألهـى مـن حـديـثِ خبيـرِ
وللمـــدحِ أَلحـــانٌ، تهُـــزُّ، شجيَّـــةٌ، تُنَسِّـــي بهـــا المُكَّـــاءَ كـــلَّ صفيـــرِ[2]
وقـد أَغضـتِ الشِّعـرى العبـورُ لهمَّـةٍ، تُقلِّـبُ، دونَ المجـدِ، لَحـظَ غَيـورِ[3]
تُـــواقِـــعُ أَبكـــارَ العُـــلا، غيـــرَ أَنَّهـــا تَـــرى انَّ بَحـــرَ الجُـــودِ خَيـــرُ طَهـــورِ
وتصفَـحُ، لا عَـن ذِلَّـةٍ، صَفـحَ رَحمـةٍ، فتـرسـلُ، دونَ الـذَّنـب، سِتـرَ غَفـورِ
وتجلـو سـوادَ المُشكِـلاتِ بخـاطِـرٍ، تـــركَّـــبَ مـــن نـــارٍ، تُشَـــبُّ، ونُـــورِ
إذا قِســتَ مــا بيــنَ الحُســامِ وبينَــه، تبسَّـــمَ، واهتـــزَّ اهتـــزازَ سُـــرورِ
مـن آلِ رَحيـمٍ، حيـثُ لا هضْبَـةُ العُـلا لهـــدٌّ، ولا بَحـــرُ النَّـــدى لعُبـــورِ[4]
مـنَ القـومِ، أدَّتهـم إلـى خيـرِ أَبطُـنٍ تَخيَّـــرنَ، لـــلأبنـــاءِ، خيـــرَ ظُهـــورِ
تَـرى المُـزنَ ثَجّـاجـاً بهـم، متهلِّـلاً سمـــاحـــةُ أَيـــدٍ، وابتســـامُ ثُغـــورِ[5]
غَيـارى علـى الأيـدي العَذارى، كـأنَّمـا تُـــزَفُّ، مـــن الكِتمـــانِ، خَلـــفَ سُتـــورِ

---

(١) ثبير: اسم جبل.
(٢) المُكّاء: من الطيور.
(٣) الشِّعرى: كوكب يطلع في الجوزاء من شدّة الحرّ ـ اللحظ: النظر بمؤخر العين.
(٤) الهدّ: الهدم ـ النّدى: الجود.
(٥) المزن: السحاب الممطر ـ ثجّاجا: شديد الانهمار ـ متهلّلاً: متلألئاً.

فها هم كما تَهوى العُلا، لا ثناؤُهم لطيٌّ، ولا أَسرارُهم لنُشورِ[1]
يذوبون ظَرفاً، غيرَ أَنَّ قلوبَهم، إذا ما دَهى خَطبٌ، قلوبُ صخورِ
تَرى بهِمُ من نَضرةٍ في سماحةٍ، طُلوعَ بدُورٍ، في ارتجاجِ بحُورِ
وتعْشُو إلى نارٍ بهم في مَفازَةٍ، ذَكاءُ قلوبٍ، في اتِّساعِ صُدورِ
فما البَطَلُ الحامي، وقد صافحَ الطُّلى بأبيضَ بسَّامِ الفِرندِ، طَريرِ[2]
بأطولَ باعاً من رحيمٍ، وقد سَطا بأرقشَ مُضْفَرٍ القميصِ، قصيرِ
فيا حُسنَ مرأى المَلكِ بين مهنَّدٍ خضيبٍ، ورَندٍ، لليَراعِ، نضيرِ
وقد طارح السيفُ اليَراعَ، فأطربا برجعِ صليلٍ رائعٍ، وصريرِ[3]

(٩٠)
فاهنأْ بِها

قال مادحاً الوزير أبي الحسن بن رحيم:

جفنٌ، تجافى للخَليِّ عن الكَرى؛ وهوًى تهاوى بالمَطيِّ على السُّرى[4]
ومثقَّفٌ لدْنُ المهزِّ، يشوقُه ما شاقَني، فإذا هَززتُ تأطَّرا[5]
وقد اشتبَهنا سُمرةً ونَحافَةً، فلو التفتُّ لما عرفتُ الأسمرا
وأَقبُّ يحتمِلُ الصباحَ، إذا مشى، شِيَةً، وينتعِلُ الرِّياحَ، إذا جرى
قد باتَ يَحمِلُ لِبدُه ظَبيَ النَّقا، ركضاً، ويحمِل لِبدُه لَيثَ الشَّرى[6]

---

(١) **الطيّ**: الكتمان ـ **النشور**: خلاف الطيّ.
(٢) **الحامي**: الذي يحامي ويذود عن الحمى ـ **الطّلى**: جمع **الطُّلاة**: العنق ـ **الأبيض**: السيف ـ **الفرند**: جوهر السيف.
(٣) **اليراع**: القلم ـ **صليل**: صوت السيوف ـ **الصرير**: الصوت، أراد صوت اليراع.
(٤) **تجافى عن الكرى**: لم يجد سبيلاً إليه، لم ينم ـ **تهاوى**: سقط في المهواة، **وتهاوى الرجل**: سار شديداً **المطيّ**: الراحلة، **السّرى**: السير ليلاً.
(٥) **المثقّف**: الرمح ـ ولدن المهز: لين الحركة ـ **تأطّر**: تثنّى.
(٦) **اللّبد**: الصوف أو الشعر المتلّبد. ـ **الليث**: الأسد ـ **الشرى**: واد تكثر فيه الأسود.

وحَثـا التُّـرابَ علـى الصَّبـا، فكـأنَّمـا أَزجى، هناك، غَمامةً، بَرقٌ سَرى[1]
واستـرجـفَ الأرضَ الفَضـاءَ بـوَثبـةٍ، فكـانَّ رُكنـاً خَـرَّ، فيهـا، مـن حِـرا[2]
مـزَّقـتُ مـن خِلَـعِ العَجـاجـةِ، فـوقَـه، ثَـوبـاً بـأطـرافِ الـرِّمـاحِ مُـدنَّـرا
وصَـرخـتُ: يـا لَبَنِي رحيـمٍ، صـرخَـةً، فـالتفَّـتِ الأنجـادُ، حـولـي، عَسكـرا
مـن كـلِّ طَلـقِ الـوجـهِ، تـاهَ جَـوادُه زَهـواً بِعـزَّةِ ربِّـه، فتبَختَـرا
صَلْـتِ الجبيـنِ، لـو أنَّنـي مستقبِـلٌ، بـرُوائـه، ليـلَ السِّـرارِ لأقمـرا[3]
مـا إن سقَتـكَ بـه السَّمـاحـةُ مُـزنـةً، إلاَّ أَرَتْـكَ بـه الصبـاحـةُ نَيِّـرا[4]
وأَغـرَّ، أزهـرَ، بـاتَ يَعبَـقُ نَفحـةً، فكـأنَّ، فـي بُـردَيـه، روضـاً أزهـرا
طلـقِ الْمُحَيّـا واليـديـن، كـأنـه قمـرٌ، تطلَّـعَ فـي غَمـامٍ أَمطَـرا
لَبِـسَ الـرِّداءَ، مـن الثَّنـاءِ، مطـرَّزاً، فـوقَ القميـصِ، مـنَ الحيـاءِ، مُعَصفـرا
استمجـدَ الأشـرافُ مـن شَـرفٍ بـه، فمشـى اليَـراعُ بكفِّـه مُتبَختـرا
فلـرُبَّ سمـراءِ الأديـم، طـويلـةٍ، حسَـدت بـراحتِـه القصيـرَ الأصفـرا
وإليكَهـا، فـاهنـأ بهـا، مـن مِـدحـةٍ، أَهـديتُهـا روضـاً، إليـكَ، مُنـوَّراً
فتـلألأت حُسنـاً، بمجـدِك، حُلَّـةً، وتنفَّسـت طيبـاً، بحمـدِكَ، مُجمِـرا
وسـوايَ يكـذِبُ، فـي سـواهـا، مِـدحـةً فـارغَـب بسمعِـك عـن حـديـثٍ يُفتـرى

(٩١)

رُبَّ يومٍ

ألا رُبَّ يـومٍ حثَّـتِ الكـأسُ خطـوَه، فطـارَ، وأيـامُ السُّـرورِ قِصـارُ
عثـرتُ بـذَيـلِ السُّكـرِ فيـه، عشيّـةً، وللـريـحِ فـي مَـوجِ الخليـجِ عِثـارُ

---

(١) أزجى: ساق.

(٢) الركن: الأساس ـ حرا: مخفف حراء، من جبال مكة.

(٣) صلت الجبين: ناصع الجبين ـ الرواء: البهاء والحسن ـ السّرار: آخر ليلة من الشهر.

(٤) السّماحة: الجود ـ الصباحة: اشراقة الوجه.

وقــد فضَّــض النُّــوّارُ كــلَّ رِبــاوةٍ، وســالَ عليهــا لــلأصِيــلِ نُضــارُ[1]

(٩٢)
الماءُ صَفْحةُ ضاحِك

يصف الشاعر مفاتن الطبيعة وهو يجوب في أرجائها

وكِمــامــةٍ حــدَرَ الصبــاحُ قِنــاعَهــا، عــن صَفحــةٍ، تَنــدَى مــنَ الأزهــارِ[2]
فــي أَبطَــحٍ، رضِعَــت ثغــورُ أقــاحِــه أخــلافَ كــلِّ غمــامــةٍ مِــدرارِ[3]
نثَرَت، بحجرِ الأرضِ فيـه، يـدُ الصَّبا دُرَرَ النَّــدى ودراهــمَ النُّــوّارِ
وقـد ارتـدَى غصـنَ النَّقـا، وتقلَّـدَت، حَلْـيَ الحَبـابِ، سـوالِـفُ الأنهـارِ[4]
فحَللتُ حيثُ الماءُ صَفحةُ ضاحِكٍ، جَــذِلٍ، وحيــثُ الشــطُّ بــدءُ عِــذارِ
والـريحُ تنفُـضُ، بُكـرةً، لِمـمَ الـرُّبـى؛ والطَّــلُّ يَنضَــحُ أَوجُــهَ الأشجــارِ[5]
متقسَّــمُ الألحــاظِ بيــنَ محــاســنٍ، مِــن رِدفِ رابيــةٍ، وخَصــرِ قَــرارِ
وأَراكــةٍ سَجَــعَ الهــدِيــلُ بفَــرعِهــا، والصُّبــحُ يُسفِــرُ عــن جَبيــن نَهــارِ[6]
هــزَّت لــه أعطــافَهــا، ولــربَّمــا خلَعَــت عليــهِ مُــلاءَةَ الأنــوارِ

(٩٣)
حُلْو السجيّة

امتدح بهذه القصيدة الوزير أبا محمد طاهر بن عامر:

حـدَرَ القِنـاعَ عـن الصَّبـاحِ المُسفـرِ؛ ولـوى القضيـبَ علـى الكثيـبِ الأعفـرِ

---

(١) **النضار**: الذّهب.
(٢) **الكمامة**: أكمام الزهر ـ **حدر الصباح قناعها**: أنزله.
(٣) **الغمامة المدرار**: الغزيرة.
(٤) **الحباب (هنا)**: الندى الذي يزين في نظر الشاعر أوراق الأغصان.
(٥) **بكرة**: باكراً ـ **اللمم**: جمع لمّة: شعر مقدّم الرأس، ولمم الرّبى من باب الاستعارة ـ **الطلّ**: الندى ـ **ينضح**: يرشّ ويبلّ.
(٦) **الأراكة**: واحدة الأراك، شجر يستاك بأغصانه ـ **الهديل**: الحمام.

وتملَّكَتـــهُ هِـــزَّةٌ فـــي عِـــزَّةٍ فــارتــجَّ فــي وَرَقِ الشبــابِ الأخضــرِ
متنفِّســاً عــن مثــلِ نفحــةِ مِسكــةٍ، متبسِّمــاً عــن مثـلِ سِمطَـيْ جَـوهـرِ[1]
سلَّــت علــيَّ، سيــوفَهـا، أجفـانُـه، فلقيتُهــنَّ، مــن المَشِيــبِ، بمغفَــرِ[2]
متجلــداً أَربَـــا بنفســـي أن يُــرى هــذا الهــزبــرُ قتيــلَ ذاك الجُــؤذُرِ[3]
فحشَـــا بطَعنَتِـــهِ حَشَـــى متنفّـــسٍ، تحــتَ الـدُّجى، عـن مـارجٍ متسعِّـرِ[4]
يغشَـــى رمـــاحَ الخَـــطِّ، أوَّلَ مُقبــلٍ، ويكُــرُّ، يــومَ الــروعِ، آخــرَ مُــدبــرِ
فتــراه بيـــنَ جِــراحتيـــن: للحظــةٍ مكســـورةٍ، ولعـــامــلٍ متكسِّــرِ
نَــزْرَ الكَــرى، يــرمـي الظـلامَ بمُقلـةٍ سهِــرَت لأخــرى، تحتــه، لــم تَسهــرِ
مـــن ليلــةٍ أرخــى علــيَّ جَنــاحَــه، فيهــا، غُــرابُ دُجُنَّــةٍ لــم يُــزجَــرِ
لا يستقـــلُّ بهـــا السُّـــرى، فكـــأنَّمـــا بــاتَــت تُســرّي عــن صبــاحِ المَحشَــرِ
ولقــد أقــولُ لبــرقِ ليــلٍ هــاجنــي، فمسحـــتُ عـــن طَــرفٍ بــه مستعبِــرِ
اقــرأ علــى الجِـزعِ السـلام، وقُـل لـه: سُقِّيــت مــن سَبَــلِ الغمــام الممطـرِ[5]
بينـــي وبينـــك ذمَّـــةٌ مَـــرعِيَّـــةٌ، فــإذا تُنــوسيــتِ المــودةُ، فــاذكُــرِ
وإذا غشِيــتَ ديــارَ ليلــى بــاللِّــوى، فــاســأل ريــاحَ الطِّيــبِ عنهــا تُخبَــرِ
والمــح صحيفــةَ صَفحتــي، فــاقــرأ بهــا سطــريــن مـــن دَمــعٍ بهـــا متحــدِّرِ
كتَبَتْهمــا، تحــتَ الظـلام، يـدُ الضَّنـى، خــوفَ الــوُشــاةِ، بــأحمــرٍ فــي أصفــرِ
ولقد جريتُ، مع الصِّبا، جَريَ الصَّبا، وشــربتُهــا مــن كـفِّ أحـوَى أحـوَرِ[6]

---

(١) سمطا وسمطيّ: مثنى سمط، وهو القلادة، العقد.
(٢) سلّت سيوفها: أخرجتها من أغمادها، وأراد بالسيوف: نظرات العين الفاتنة.
(٣) الهزبر: الأسد ـ الجؤذر: الظبي.
(٤) المارج: النار ـ المتسعّر: المتوقد.
(٥) سبل الغمام: المطر.
(٦) الأحوى: الذي به حوّة والحوة السواد إلى الخضرة أو الحمرة إلى السواد ـ الأحور: الذي في عينيه حور، والعين الحوراء التي اشتدّ بياضها وسوادها.

نـاجيـتُ منـه عُطـارداً، ولـربَّمـا قبّلتُـه، فلثمـتُ وجـهَ المُشتـري[1]
تَنـدى بفيـهِ أُقـاحـةٌ نفَّـاحـةٌ شربت، على ظمإٍ، بماءِ الكَوثرِ[2]
شهِـدتْ لـه فتكـاتُـه فـي مُهجتـي، يـومَ الغميـمِ، بنسبـةٍ فـي قيصـرِ
ولقـد خلـوتُ بـه أُقسّـم نظـرَتـي، مـا بيـن جُـؤذرِ كِلّـةٍ، وغَضنفَـرِ[3]
يثنـي معـاطفَـه، وأذرُفُ عَبـرتـي، فـإخـالُـه غصنـاً بشـاطـىء جَعفـرِ[4]
وأهَـابَ بـي شـرخُ الشبـابِ، لـريبـةٍ، فـرميـتُ جـانبَـه بعِطـفٍ أزورِ
وأخٍ زأَرتُ لـه، ولـولا أننـي آنسـتُ مـا أنكـرتُـه لـم ازأَرِ
آنسـتُ مـا آنستُـهُ مـن عَتْبِـهِ، فـأقـامَ تحـتَ غَمـامـةٍ لـم تُمطـرِ
ولـو التقينـا، حيـث يصغـي سـاعـةً، لسَقَتـه بيـن مـلامـةٍ وتشكُّـرِ
تهمـي بمـاءِ الـوردِ، فـي أردانِـه، وبـلاً، وتَحصُـبُ سمعَـه بـالجَـوهـرِ[5]
وعُـلاه، لـولا بـرقُ وعـدِ شِمتُـه فـي عـارضٍ، مـن بِـرّه، مستمطـرِ[6]
لنسَخـتُ أَسطـارَ الكتـابِ كتـائبـاً، مصطفَّـةً، وطـرقتُـه فـي عَسكـرِ
ومقـامِ بـأسٍ، فـي الكـريهـة، قُمتُـهُ، فسبحـتُ فـي بحـرِ الحـديـدِ الأخضَـرِ
أَضحكـتُ ثغـرَ النَّصـر فيـه مـن العِـدى، ولـربّمـا أَبكَيـتُ عيـنَ السَّمهـري
ورميـتُ هَبـوتَـه بلَبّـةِ أَشهـبٍ، فسفـرتُ، ليـلاً، عـن صبـاحٍ مُسفـرِ[7]
يجـري فتحسبُـه، انصبـابـاً، كـوكبـاً ينقـضُّ فـي غَبـشِ العَجـاجِ الأكـدَرِ
أوردتُـه نُطَـفَ الأسنَّـةِ أَشهبـاً، ونـزَلـت منـه، ظـافـراً، عـن أشْقَـرِ[8]

---

(١) العطارد والمشتري: من الكواكب، من باب المجاز.
(٢) الكوثر: نهر في الجنة.
(٣) الغضنفر: الأسد.
(٤) جعفر: اسم نهر.
(٥) تهمي: تسيل ـ الأردان: جمع ردن أطراف الأكمام الواسعة.
(٦) العارض: السحاب الممطر.
(٧) الهبوة: الغبرة، والجمع هبوات.
(٨) نطف: جمع نطفة، الصافي من الماء ـ الأسنة: رؤوس الرماح.

ولقد خبطتُ الغابَ، أَسْألُ، ليلةً، عن سِرِّ صُبحٍ في حَشاه مُضمَرِ
وحططتُ عن بنتِ الزّنادِ قِناعَها، ليلاً، لسارٍ، تحتَه، متنوِّرِ[1]
ومسحتُ منها عن معاطِف مُهرةٍ شقراءَ، تُذعَرُ من شَمالِ صرصرِ[2]
وجرى الحديثُ ببعض ذِكرى طاهرٍ، فجعلتُ جَزلَ وقودِها من عَنبرِ
وطفِقْتُ أُذكِيها وأذكُرُ ذِهنَهُ، فإخالُ ذاك وهذه من عُنصُرِ
فكأنَّها، والريحُ عابثةٌ بها، تُزهى، فترقصُ في قميصٍ أحمرِ
ولَدَتْ به أُمُّ السيادةِ أوحداً، متضمّناً مَعنى العديدِ الأكثرِ
تُعدي عُلاهُ ديارَه، فلَها به، في مُرتقى زُحَلٍ، جَمالُ المشتري[3]
وإذا وطئتُ جَنابَه قدّستُه، فكأنني أمشي به في مَشعرِ[4]
أَتتِ العُلى منه بأوحدَ أصْيَدٍ، حُلوِ السجيَّةِ، طَلقِ وجهِ المَخبرِ
وأغرَّ، أروعَ، ملءِ سمعِ المُنتقى، حُرِّ الكلام، وملءِ عينِ المُبصرِ
حلَّت أواصرُه به عن عامرٍ، في حيثُ حلَّتْ مُقلةٌ من مِحجَرِ[5]
طلقِ الجبينِ، كأنني مستقبِلٌ، بلقائِه، وجهَ الشبابِ المدبرِ
رطبِ الكلامِ، على سَماعِ جليسِه، فكأنَّ، في فيه، لسانَ مبشِّرِ
لا تعتريه شبهةٌ، فكأنَّما يمشي على وضَحِ النَّهارِ النَّيِّرِ
متحمِّلِ العبءِ الثقيلِ بمَنكِبٍ أيْدٍ، ولم يَشدُد له من مِئزَرِ[6]
فكأنه متصوِّبٌ، في المرتقى، دَمِثَ المسالكِ، في الطريقِ الأوعرِ

---

(١) بنت الزناد: شرارة النار، شبه بها المهرة ـ الساري: السائر ليلاً.
(٢) تذعر: تخاف ـ الشمال: ريح الشمال ـ الصرصر: الريح الشديدة الهبوب.
(٣) زحل: من الكواكب السيّارة.
(٤) المشعر: من مناسك الحج.
(٥) الأواصر: جمع آصرة، والآصرة صلة النسب والقرابة.
(٦) الأيد: القوّة.

(٩٤)
لاحَ صُبْحُ الشَّيْبِ

ألا قانِعٌ من مُلكِ كِسرى بِكِسرَةٍ، فما الوجدُ إلاّ الخُلد، لا ما جنى كسرى[١]
فما بالُنا، والمالُ عُرضَةُ حادثٍ، تَركنا مطايا الريح في إثرِه حَسرى
وما الغَيُّ إلاّ أن يُعبِّدَنا الهَوى، ولم نَدرِ، جهلاً، أنّنا معشرٌ أسرى[٢]
وقد لاحَ صُبحُ الشيبِ، وانسلخَ الصِّبا، فيا صبحُ ما أجلى، ويا ليلُ ما أسرى!
فيا ليتَ أنّي ما خُلِقتُ لِمَطعَمٍ، ولم أدرِ ما اليسرى هناك، وما العُسرى[٣]
ولستُ أراني، والمَغَبَّةُ خِسَّةٌ، يفي غَسليَ اليُمنى لغَسليَ باليُسرى[٤]

(٩٥)
صُروفُ اللّيالي

لا العَطايا، ولا الرّزايا بَواقٍ؛ كلُّ شيءٍ إلى بِلًى ودُثورِ[٥]
فالهُ عن حالتَيْ سرورٍ وحُزنٍ، فإلى غايةٍ مجاري الأمورِ
وإذا ما انقضَت صروفُ الليالي، فسَواءٌ ليلا الأسى والسُّرورِ

(٩٦)
قَدْ يَبْكي الخَليلُ

لقد أصَختُ إلى نَجواكَ من قمرٍ، وبِتُّ أُدلِجُ بينَ الوعيِ والنَّظَرِ
لا أجتلي مُلَحاً، حتى أعي مُلَحاً، عدلاً من الحكم بين السَّمعِ والبَصَرِ[٦]

---

(١) الوجد: الثراء والغنى ـ كسرى: من ملوك الفرس.
(٢) الغيّ: الضلال ـ يعبّدنا: يجعلنا عبيداً.
(٣) العسرى: خلاف اليسرى.
(٤) مغبّة الأمر: عاقبته.
(٥) الرزايا: المصائب ـ الدثور: الفناء والبلى.
(٦) الملح: البياض يداخله السواد، والمقصود هنا الشيب الملح (الثانية): جمع ملحة وهي الطريف من النوادر والمستملح من الكلام.

وقـد مـلأتُ سَـوادَ العيـنِ مـن وضَـحٍ، فقرِّطِ السَّمعَ قُرطَ الأنسِ من سَمَرِ[1]
فلـو جمعـتَ إلـى حُسـنٍ مُحـاورةً، حُزتَ الجَمالَيـن مـن خُبرٍ ومـن خَبَرِ
وإن صَممـتَ، ففـي مـرآك لـي عِظـةٌ، قـد أفصَحـتْ لـيَ عنهـا أَلسُـنُ العِبَـرِ
تمـرُّ مـن نـاقـصٍ حَـوراً، ومكتمـلٍ كَوراً، ومن مُرتقٍ طَوراً، ومُنحدِرِ
والنـاسُ مـن مُعـرِضٍ يَلهـو، وملتفـتٍ يَرعـى، ومـن ذاهـلٍ يَنسـى، ومُـدَّكِـرِ
يلهـو بسـاحـاتِ أقـوامٍ تحـدِّثُنـا، وقـد قضَـوا، فمضَـوا؛ إنَّـا علـى الأثَـرِ
فـإن بَكيتُ، وقـد يَبكي الخليلُ، فعَن شَجـوٍ، يُفَجِّـرُ عيـنَ المـاءِ فـي الحجَـرِ

(٩٧)
أقَلِّبُ جَفْناً

أَمـا وشبـابٌ قـد تـرامَـت بـه النَّـوى، فـأرسلـتُ فـي أعقـابِـه نظـرةً عَبْـرى
لقـد رَكِبـتْ ظهـرَ السُّـرى بـيَ نَـومـةٌ، فأصبحتُ في أَرضٍ، وقد بِتُّ في أُخرى
أُقلِّـبُ جَفنـاً، لا يجِـفُّ، فكلَّمـا تأوَّهت من شكوى، تألمت عن شَكرى[2]
فهـا أنـا لا نَفْـسٌ يَخِـفُّ بهـا المُنـى، فتلهُـو، ولا سمـعٌ تطِيـرُ بـه بُشـرى
وإنـي، إذا مـا شـاقَنـي لحمـامـةٍ رنِيـنٌ، وهـزَّتنـي لبـارقـةٍ ذِكـرى
لأجمـعُ بيـنَ المـاءِ والنَّـارِ، لـوعـةً، فمـن مُقلـة ريّـا، ومـن كبِـدٍ حـرّى
وقد خف خَطبُ الشيبِ في جانب الردى، فصارت به صُغرى، التي كانت الكُبرى[3]
وللشّعـرِ عنـدي، كلَّمـا نـدَب الصِّبـا فأبكى، محَلّ أَلحقَ الشّعرَ بالشِّعرى[4]
فليـتَ حـديثـاً للحـداثـةِ لـو جَـرى فـأسلـى، وطيفـاً للشبيبـةِ لـو أَسـرى

(١) الوضح: بياض الصبح، وبياض القمر، والمراد طلعة المحبوب ـ قرّط السمع: من قرّط الجارية ألبسها قرطاً أي شنف السمع بالغناء المطرب ـ السمر: حديث الليل.
(٢) الشكرى: العين المغرورقة بالدمع.
(٣) الخطب: الأمر الجلل ـ الردى: الموت.
(٤) الشِّعرى: نجمان بهذا الاسم: الشعرى الغميصاء والشعرى اليمانية.

(٩٨)
بين الرّعد والقَطْر

أَمـا ومَسِيـلِ مـائِـلِ الغَيـثِ كـالسَّطـرِ، كما أَتْرَعَ الساقي الزُّجاجةَ بالخمرِ
لقـد بِـتُّ بيـنَ الـرَّعـدِ والقطـرِ أشتكـي بسَمعيَ من وَقرٍ، وظهريَ من وَقْرِ[١]
وهـا أنـا مَبْلُـولُ الجَنـاحِ مِـن الحَيـا يصُوب، ومذعور الفِراخ من الوَكْرِ[٢]
وأَسقَيتُهـا مِـن دِيمَـةٍ إِثْـرَ دِيمـةٍ، فمالَت بها الجُدرانُ سَطراً على سطرِ
فمِن عارِضٍ يَسقي، ومن سقفِ مجلِس يُغَنِّي، ومن بيتٍ يَميلُ مِنَ السُّكْرِ[٣]
إذا مـا هَـوى رُكـنٌ فـأَهْـوى، فـإِنـني لأشجَى مِن الخَنساءِ تَبكي على صَخْرِ

(٩٩)
جَنَّةُ الخُلْدِ

يـا أَهـلَ أَنـدَلُـسٍ! للهِ دَرُّكُـمُ؛ مـاءٌ وظِـلّ وأَنهـارٌ وأَشجـارُ
مـا جنَّـةُ الخُلـدِ إلاَّ فـي ديـارِكُـمُ، ولـو تخيَّـرتُ هـذا كنـتُ أَختـارُ
لا تختَشُوا، بعدَ ذا، أن تدخلوا سَقراً، فليسَ تُـدخَـلُ، بعـدَ الجنَّـةِ، النـارُ[٤]

(١٠٠)
صَحَّ الهوى

صَـحَّ الهـوى منـك، ولكنَّنـي أعجَـبُ مِـن بيـنٍ لنـا يُقـدَرُ
كـأنَّنـا فـي فَلَـكٍ دائـرٍ، فـأنـتَ تَخفـى، وأَنـا أَظهَـرُ

---

(١) **الوقر**: الثقل، العبء الشديد.
(٢) **الحيا**: المطر ـ **مذعور**: من الذعر وهو الخوف الشديد.
(٣) **العارض**: السحاب الممطر ـ **السّكر**: يقصد النشوة.
(٤) **سقر**: من أسماء جهنم.

(١٠١)
أَيْكَةٌ خَفَّاقَةٌ

أَذِنَ الغَمَـــامُ بـــديمـــةٍ وعُقـــارِ، فـامـزُج لُجَينـاً، منهمـا، بنُضـارِ[١]
واربَـعْ علـى حُكـمِ الـربيـعِ بـأجـرعٍ هَـزِجِ النَّـدى، مـن مُفصِـحِ الأطيـارِ
نثَرت بحِجرِ الرَّوضِ فيه، يدُ الصَّبا، دُرَرَ النَّـــدى ودراهـــمَ الأنـــوارِ[٢]
وهفَـت بتغـريـدٍ هنـالـكَ، أيكـةٌ، خَفَّـاقـةٌ بمهـبِّ ريـحِ عَـرارِ[٣]

(١٠٢)
تَعَلَّقْتُهُ

تعلَّقْتُـهُ نَشـوانَ مـن خَمـرِ رِيقـه، لـه رَشفُهـا دونـي، ولـي دونَـه السُّكـرُ
تُـرقـرِقُ مـاءَ مُقلتـايَ ووجهُـهُ، ويُذكى ، على قلبي ووجنتهِ ، الجَمرُ
أرَقَّ نسيبـــي فيـــه رقَّـــةُ حُسنِـــهِ، فلـم أدرِ أيّ منهمـا، قبلَهـا، السِّحـرُ
وطِبنـا معـاً شعـراً وثَغـراً، كـأنَّمـا له مَنطِقي ثَغرٌ، ولي ثَغرُهُ شِعرُ

(١٠٣)
جنيتُ رَوْضاً

يصف الشاعر طوافه في جنّة المحبوب مفتوناً بمحاسن الشباب

لـم أَنـسَ ليلـةَ رُعـتُ سِـربَـك زائـراً، فكـأنّمـا روَّعـتُ فيهـا جُـؤذُرا[٤]
فـأقمـتَ عِطفـاً أزوراً، وجلـوتَ وجهـاً أزهـراً، وأدرتَ طـرفـاً أحـوَرا[٥]

---

(١) الديمة: السحابة الممطرة ـ العقار: الخمر ـ اللجين: الفضة ـ النضار: الذهب.
(٢) الحجر: الحضن ـ الصّبا: الريح الناعمة.
(٣) هفت بتغريد: خفقت ـ الأيكة: الشجر الكثير الملتف ـ العرار: بهار ناعم أصفر طيب الرائحة.
(٤) الجؤذر: الظبي.
(٥) الأحور: الذي فيه حور، وهو اشتداد بياض وسواد العين.

وضفـا رداءٌ، مـن شبـابِـك، ابيـضٌ، ولـربّمـا اعتـرضَ الحيـاءُ، فعصفـرا[1]
وبـدا هـلالٌ، فـي نِقـابـك، طـالـعٌ، ولـربَّمـا انحـدَر النِّقـابُ، فـأقمـرا[2]
وجَنيتُ روضاً، في قِناعِك، أزهرا، وقضِيـبَ بـانٍ، فـي وِشـاحِـكَ، أثمَـرا
ثـم انثنيـتُ، وقـد لبِسـتُ مُصَنـدلاً، وطـويـتُ مـن خِلَـعِ الظـلامِ، مُعَنبـرا[3]
والصُّبـحُ محطـوطُ النِّقـاب، قـد احتَبى فـــي شَملــةٍ وَرْسيَّــةٍ، فتـــأزَّرا[4]

(١٠٤)
أفلاكٌ تُدارُ

وأراكـةٍ ضـرَبـتْ سمـاءٍ، فَـوقَنـا، تَنـدَى، وأفـلاكُ الكـؤوس تُـدارُ
حفَّـت بـدَوَحَتهـا مجـرَّةُ جـدْوَلٍ، نَثَـرتْ عليـه، نُجـومَهـا، الأزهـارُ
وكـأنهـا، وكـأنَّ جَـدولَ مـائِهـا، حسنـاءُ شُـدَّ، بِخَصـرهـا، زِنّـارُ
زفَّ الـزُّجـاجُ بهـا عـروسَ مُـدامـةٍ تُجلـى، ونُـوّارُ الغُصـونِ نِثـارُ
فـي روضَـةٍ جِنْـحُ الـدُّجـى ظـلٌ بهـا، وتجَسَّمـتْ، نَـوراً، بهـا الأنـوارُ
غنَّـاءَ يَنْشـرُ، وشْيَـهُ، البَـزّازُ لـي فيهـا، ويَفْتُـقُ، مِسكَـه، العطّـارُ[5]
قـامَ الغنـاءُ بهـا، وقـد نضـحَ النَّـدى وجْـهَ الثَّـرى، واستَيقَـظَ النُّـوّارُ
والمـاءُ، مـن حَلـيِ الحَيـاءِ، مقلَّـدٌ، زَرَّت عليـه جُيـوبَهـا، الأشجـارُ

(١) **ضاف الرداء**: طال ـ **عصفر**: صار بلون العصفر، وهو شبه أصفر اللون.
(٢) **النّقاب**: القناع، تجعله المرأة على مارن أنفها وتستر به وجهها ـ **أقمر**: تكشف عن قمر.
(٣) **المصندل**: ما طيب بالصّندل ـ والصّندل جنس شجر هندي أبيض الزهر، خشبه طيب الرائحة ـ الخلع: الأثواب ـ **معنبراً**: المطيب بالعنبر وهو من الطيوب التي يميل لونها الأصفر إلى السّواد ـ والبيت ينطوي على افتنان في التشبيه فقد مثل ضوء الصباح بالصندل لبياضه وسواد الليل بالعنبر لميله إلى السّواد.
(٤) **الشملة**: ما يلتف به من الثياب ـ **الورسية**: الحمراء اللون ـ **تأزر**: لبس الإزار، وهو الرداء.
(٥) **البزاز**: بائع البز، والبز الثياب من قطن أو كتّان.

(١٠٥)

ما شاءَ الهوى

كتبتُ، وقلبي، في يَديك، أسيرُ يُقيمُ، كما شاءَ الهَوى، ويسيرُ
وفي كلِّ حينٍ، من هَواك وأدمعي، بكلِّ مكانٍ، روضةٌ وغديرُ

(١٠٦)

يُقَبِّلُ ثَغْرَه

يصف ساقياً أسود اللون فشبَّهه بابن الليل أو بكيس من الفحم.

رُبَّ ابنِ ليلٍ سَقانا، والشمس تُطلِعُ غُرَّهْ[1]
فظلَّ يسوَدُّ لوناً، والكأسُ تسطَعُ حُمرَهْ
كأنَّهُ كيسُ فحمٍ، قد أُوقِدَت فيه جَمرَهْ[2]
وللمُدامِ مُديرٌ، يشُبُّ جَمرةَ خَمرَهْ
تضاحكت عَن حَبابٍ، يقبِّلُ الماءُ ثَغرَهْ[3]
فظِلتُ آخُذُ ياقوتةً، وأصرِفُ دُرَّهْ[4]
حتى تثنَّيتُ غُصناً، واصفرَّتِ الشمسُ نُقرَهْ[5]
وارتدَّ للشمسِ طرفٌ، به منَ السُّقمِ فترَهْ
يجولُ للغَيمِ كُحلٌ فيه، وللقَطرِ عَبرَهْ

---

(١) أراد بابن الليل: الساقي الأسود اللون.
(٢) كأنه: أي الساقي وقوله: كأنه كيس فحم: من باب التشبيه لانحناء ظهره واسوداد لونه.
(٣) الحباب: ما يعلو المدام والماء ونحوها من فقاقيع بيضاء.
(٤) أراد بالياقوتة: الخمر لاحمرارها وأراد بالدرّة الحباب لبياضه.
(٥) النقرة(هنا): سبيكة الذهب.

(١٠٧)
حمامَةُ أَيْكَةٍ

ونشـــوانَ غنَّتـــه حَمـــامـــةُ أيكـــةٍ، على حين طَرفُ النجم قد همَّ أن يكرَى[١]
فهـبَّ، وريـحُ الفجـرِ عـاطـرةُ الجَنـى، لطِيفَـةُ مَـسِّ البَـردِ، طيِّبـةُ المَسـرَى
وطـافَ بهـا، والليْـلُ قـد رَثَّ بُـردُه، وللصبح في أُخرى الدجى منكِب يعرَى[٢]
وأصغـى إلـى لحـنٍ فصيـحٍ يهُـزُّه، كمـا هَـزَّ نَشـرُ الريـحِ رَيحـانـةً سَـكرَى
تَهَـشُّ إليـه النفـسُ، حتـى كـأنَّـه، علـى كبِـدٍ نُعمـى، وفـي أُذُنٍ بُشـرَى

(١٠٨)
رَشْفَةٌ

وليـلٍ طـرقـتُ المـالكيّـةَ، تحتَـه، أجَـدَّ، علـى حُكـمِ الشَّبـابِ، مَـزارا
فخـالطـتُ أطـرافَ الأسنَّـةِ أنجمـاً، ودُسـتُ لِهـالاتِ البـدورِ دِيـارا
فلـم يـكُ إلاَّ رَشفـةٌ واعتنـاقـةٌ؛ ويُعجِبُنـي أنـي أعُـفُّ إزارا

(١٠٩)
يَسْري في فَرْوَةٍ

يصف ذئباً طاف به وهو سار وسط الظلماء

ومَفـازةٍ، لا نَجـم فـي ظَلمـائِهـا يَسـري، ولا فلَـكٌ بهـا دَوَّارُ[٣]
تتلهَّـبُ الشِّعـرى بهـا، وكـأنهـا، فـي كـفِّ زَنجـيِّ الـدُّجـى، دينـارُ
تَـرمـي بـه الغِيطـانُ فيهـا والـرُّبـى، دُوَلاً، كمـا يَتَمَـوَّجُ التَّيـارُ[٤]

---

(١) يكرى: ينام، من الكرى وهو النوم.
(٢) البرد: الثوب، ورث برده: بلي: المنكب: الكتف: للصبح منكب يعرى: كناية عن انبلاج الصبح وطلوع الفجر.
(٣) المفازة: الفلاة الخالية من الماء والإنس.
(٤) الغيطان: جمع غوطة، الأرض الكثيرة الشجر والماء ـ دولاً: أي بصورة متداولة.

قـد لفَّنـي فيهـا الظَّـلامُ، وطـافَ بـي ... ذِئـبٌ، يُلِـمُّ مَـعَ الـدُّجـى، زَوَّارُ
طَـرَّاقُ سـاداتِ الـديـارِ، مُسـاوِرٌ، ... خَتَّـالُ أبنـاءِ السُّـرى، غَـدَّارُ[1]
يَسري، وقد نَضَحَ النَّدى وجهَ الصَّبا، ... فـي فَـروةٍ قـد مَسَّهـا اقشِعـرارُ[2]
فعشَوتُ فـي ظَلمـاءَ، لـم تُقـدَح بهـا، ... إلَّا لمُقلتِـهِ وبـأسـي، نـارُ[3]
ورَفلتُ فـي خُلَعٍ عليَّ مـن الـدُّجـى، ... عُقِـدَت لهـا، مـن أنجـمٍ، أزرارُ[4]
والليـلُ يَقصُـرُ خَطـوَه، ولـربَّمـا ... طـالـت ليـالـي الـرَّكـبِ، وهـي قِصـارُ
قـد شـابَ مـن طـرفِ المجـرَّةِ مَفـرِقٌ ... فيهـا، ومـن خَـطِّ الهـلالِ عِـذارُ

(١١٠)
فُتاتَهُ مِسْكٍ

يصف الخال في صحن خدّ المحبوب

أَلَـمَّ يُسقِّينـي سُـلافَـةَ ريقـه، ... وطـوراً يحيِّينـي بـآس عِـذارِ[5]
فنِلـتُ مُـرادَ النَّفـس مـن أُقحـوانـةٍ، ... شَمَمْـتُ عليهـا نَفحـةً لِعَـرارِ[6]
ووَجهٍ تَخالُ الخالَ، في صحنِ خدّه، ... فُتـاتَـة مِسـكٍ، فـوقَ جُـذوةِ نـارِ

(١١١)
ضَيْفٌ طَارِقٌ

يـا حَبَّـذا، والطَّيـفُ ضَيـفٌ طـارقٌ، ... طيـفٌ علـى شَحـطٍ أَجـدَّ مَـزارا[7]

---

(١) **الذئب المساور**: الجسور على النّاس، أيضاً: السوّار: شارب الخمر الذي يواثب نديمه إذا سكر.

(٢) **يسري**: يسير ليلاً ـ يصف ما أصابه من اقشعرار في تلك الليلة الباردة.

(٣) **عشا إلى النار**: قصدها.

(٤) **رفل**: ماس زهواً ـ **الخلع**: الأثواب ـ **شبّه النجوم بأزرار الثوب** للمعانها وسط ظلام الليل.

(٥) **السلافة**: الخمر، والمراد خمرة ريق المحبوب.

(٦) **العرار**: زهر البهار الطيب الرائحة.

(٧) **الشحط**: النّوى، البعد.

تَلــوي الشَّمــالُ بــه قضيبــاً، ربَّمــا ... عــاطَــى بسُــوســانٍ، هنــاكَ، عَــرارا
فلَثمــتُ، فيمــا قــد لثمــتُ، عَــلاقــةً، ... خــدّاً يسِيــلُ مــعَ العُقــارِ عُقــارا
مــا إنْ دَرَيــتُ، وقــد نعِمــتُ بلَثمــهِ، ... مــاذا رأيــتُ أجنَّــةً أم نــارا

(١١٢)
يجْرَحُني طرفُه

يصف فاتنة قلبه، تميس بأعطافها كشجرة بان فينانة ظليلة.

يــا بــانــةً، تَهتــزُّ، فينــانــةً، ... وروضــةً، تنفَــحُ، معطــارا[١]
للهِ أعطــافُــكِ مــن خُــوطــةٍ؛ ... وحَبَّــذَا نَــورُك نُــوّارا[٢]
عَلِقــتُ طَــرْفــاً فــاتنــاً، فــاتــراً، ... منــك، وغِــرّاً منــك غَــرَّارا
ونــابــلاً، مستــوطنــاً بــابــلاً، ... نفَّــاثَ لَحــظِ العيــنِ، سَحّــارا[٣]
إذا رنــا يَجــرحُنــي طَــرفُــه، ... لحَظتُــه أجــرحُــه ثــارا
فيصبُــغُ الــدرُّ عَقيقــاً بــه، ... وأصبــغُ النُّــوّارَ أزهــارا
وجــهٌ بــه مــن بِــدَعِ الحُســنِ مــا ... يُقيــم، للعُشّــاقِ، أعــذارا
قــد طَبَــعَ الحســنُ بــه دِرهمــاً، ... تسبُــكُ منــه العيــنُ دينــاراً
مــن يَلــقَ مــن لاعــجِ وجــدٍ بــه ... رِيحــاً، فقــد لاقيــتُ إعصــارا
تخفِــقُ أحشــائــي بــه دوحَــةً، ... وتنشُــرُ الأعيــنُ نُــوّارا
تــدورُ بــالأعيــنِ، مــن وجهِــه، ... كَعبــةُ حُســنٍ، حيثُمــا دارا
فلــي بــه عيــنٌ مَجُــوسيّــةٌ، ... تعبُــدُ، مــن وَجنتِــه، نــارا

---

(١) البانة: جمع البان: شجر لين تشبه به قدود النساء ـ الفينانة: الشجرة الظليلة وأراد هنا المرأة الطويلة الشعر من باب الاستعارة المكنية.
(٢) الخوطة: استعارة للمرأة الناعمة.
(٣) النّابل: الطرف (أي العين) الذي يرمي بلحظه نبالاً.

(١١٣)
العَيْشُ مُدامٌ

إنَّمــا العيــشُ مُــدامٌ أحمــرُ، قــامَ يَسقيــهِ غــلامٌ أحْــوَرُ
وعلــى الأقــداحِ والأدواحِ، مِــن حَبَــبٍ، نــورٌ، وتِبــرٌ أصفَــرُ
فكــأنَّ الــدَّوحَ كــاسٌ أزْبَــدت؛ وكــأنَّ الكــاسَ دَوحٌ مُــزهِــرُ

(١١٤)
زَفَفْتُها بكراً

نــدَّى النسيــمُ، فمــا أرَقَّ وأعطَــرا؛ وهَفَــا القضيــبُ، فمــا أغَــضَّ وأنضَــرا
فــزفَفتُهــا بِكــراً، إذا قبَّلتُهــا أَلْقَــت، علــى وجهــي، قِنــاعــاً أحمَــرا
ورَفلــتُ بيــن قميــصِ غَيــمٍ هلْهــلٍ، ورداءِ شمــسٍ، قــد تمــزَّق، أصفَــرا
والــريــحُ تنخُــلُ، مِــن رَذاذٍ، لــؤلــؤاً رَطبــاً، وتفتِــق، مــن غَمــامٍ، عَنبَــرا

(١١٥)
لثَمْتُها كَلفَا بها

يصف زهرة كلف بها.

أرأيــتَ أيَّ بُنَيَّــةٍ، تُعــزى إلــى الــروضِ النضِيــرِ[١]
أهــدى الــربيــعُ صغيــرةً منهــا، تَهَــشُّ إلــى الكبيــرِ
فلثمتُهــا كلَفــاً بهــا؛ والشَّيــخُ يكلــفُ بــالصغيــرِ

(١١٦)
لاذَ به النّسر

يصِف ركوبَه متن الليل، وفي الآفق جبل شامخ الذرى...

وصَهــوةِ عــزمٍ قــد تمطَّيــتُ، والــدُّجــى مُكِبٌ، كأنَّ الصبح، في صدره، سِرُّ[٢]

---

(١) البنيّة: كناية عن الزهرة بوصفها ابنة الطبيعة.

(٢) الصهوة: ظهر المطيّة، كنّى بها عن سعيه إلى المطامح ـ تمطى: امتطى، ركب.

وقد ألحفَتني، شَملةَ الظِلِّ، شمألٌ، يقلقلُ أحشاءَ الأراكِ بها ذُعرُ،[1]
وأشرفَ طَمَّاحُ الذؤابةِ، شامخٌ، تنطَّقَ، بالجَوزاءِ، ليلاً، له خَصرُ،[2]
وقورٌ على مَرّ الليالي، كأنّما يُصِيخُ إلى نجوى، وفي أُذنِهِ وَقرُ
تمهَّدَ منه كلُّ رُكنٍ رَكانةً، فقطَّبَ إطراقاً، وقد ضَحِك البدرُ
ولاذَ به نَسرُ السماءِ، كأنّما يَحِنُّ إلى وَكرٍ به ذلك النّسرُ
فلم أدرِ من صَمتٍ له، وسكينةٍ، أَكَبرةُ سِنٍّ وقَّرَت منه أم كِبرُ؟

(١١٧)
فَضَح الغزالَة

ومُهفهفٍ طاوي الحَشا، خَنِثِ المَعاطفِ والنَّظَرْ،[3]
ملأ العيونَ بصورةٍ، تُليَت محاسنُها سُوَرْ
فإذا رَنا، وإذا مشى، وإذا شدا، وإذا سَفَرْ،[4]
فضحَ الغزالةَ، والغَمامةَ، والحَمامةَ، والقَمَرْ،[5]

(١١٨)
بَحْرُ لَيْلٍ طما

يا ليلَ وَجدٍ بنَجدٍ، أَما لطَيفِك مسرَى؟
وما لدمعي طليقاً، وأنجمُ الليل أسرَى؟

---

(١) **ألحفتني**: ألبستني ـ **الشملة**: الرداء وما يلتف به الجسم ـ الشمأل: ريح الشمال ـ **الأراك**: شجر يستاك به، جمع أراكة.

(٢) **أراد بالأشرف**: الجبل العالي المشرف ـ **وقوله**: طمّاح الذّوائب استعارة لقممه العالية ـ **الجوزاء**: نجم.

(٣) **المهفهف**: الدقيق الخصر ـ طاوي الحشا: ضامر ـ **خنث المعاطف**: ليّن الأعطاف.

(٤) **رنا**: نظر ـ **سفر**: كشف عن محاسن وجهه.

(٥) **وصف في هذا البيت** مفاتنه وشبهه بالغزالة جيداً وبالغمامة بياضاً، وبالحمامة رقة وصوتاً، وبالقمر حسناً وطلعة.

وقـــد طمـــى بحـــرُ ليـــلٍ، لـــم يُعقِـــبِ المَـــدَّ جَـــزرَا
لا يَعبُـــرُ الطـــرفُ، فيـــه، غيـــرَ المجـــرَّةِ جِســـرَا

(١١٩)
بِتُّ أُناجِيه

وأغيـــدِ حُلـــوِ اللَّمـــى، أملَـــدٍ، يُـــذكَـــى علـــى وَجنتِـــه الجَمـــرُ(١)
بِـــتُّ أُنـــاجِيـــه، ولا رِيبـــةٌ تَعلَـــقُ بـــي فيـــه، ولا وِزرُ(٢)
والليـــلُ سِتـــرٌ، دونَنـــا، مُـــرسَـــلٌ، قـــد طَـــرَّزَتـــهُ أنجـــمٌ حُمـــرُ
أبكـــي، ويَشجِينـــي، ففـــي وَجنتـــي مـــاءٌ، وفـــي وَجنتِـــه خَمـــرُ
وأقـــرأُ الحُســـنَ بـــه سُـــورةً، كـــانَ لهـــا، مـــن وجهِـــه، عَشـــرُ(٣)
وبـــاتَ يَسقِينـــيَ، تحـــتَ الـــدُّجـــى، مشمـــولـــةً، يمـــزُجُهـــا القَطـــرُ
وابتَسمَـــتْ، عـــن وجهِـــه، ليلـــةٌ، كـــأنَّـــه، فـــي وجهِهـــا، ثَغـــرُ

(١٢٠)
زوّار مع الليْل

يصف الذئب في ليلة داجية.

سَرى يرتمي، ركضاً به، كلَّ مَوجةٍ، تَـرامـى بهـا بحـرٌ مـن الليـلِ أخضـرُ(٤)
ولا صـــاحـــبٌ إلّا طـــريـــرُ مُهَنَّـــدٍ، ومُعتـــدِلٌ لَـــدْنُ المَهـــزَّةِ أَسمَـــرُ(٥)
وأطلـــسُ زَوَّارٌ، مـــعَ الليـــلِ، أَغبَـــشٌ، سَـرَى خَلـفَ أستـارِ الـدُّجـى، يتنكَّـرُ(٦)

---

(١) اللعى: سمرة الشفاه ـ أملد: ناعم ـ يذكى: يوقد ـ يذكي الجمر: شبه حمرة وجنتيه بالجمر المتوقد.
(٢) الريبة: الشك ـ الوزر: الذنب العظيم.
(٣) في هذا البيت تلميح إلى آيات القرآن العواشر في نهاية العشر.
(٤) بحر الليل الأخضر: أي الليل الأسود.
(٥) المهند الطرير: السيف المشحوذ ـ اللدن الأسمر: الرمح اللين.
(٦) الأطلس: الذئب الأغبر اللون المائل إلى السّواد ـ الأغبش: أي لونه أبيض يخالطه سواد.

تناءَبَ من مَسِّ الطَّوى، فهو يشتكي، | فيَعوي، وقد لفَّته نكباءُ صَرْصَرُ[1]
ودونَ أمانيه شَرارةُ لَهْذَمٍ، | يُقلِّبُ فيها مثلَها، حينَ ينظُرُ[2]
فمِن جَوعةٍ تُغرِيهِ بي، فهوَ مُدَّنٍ؛ | ومِن رَوعةٍ تُثنيهِ عنّي، فيُقصِرُ[3]

(١٢١)
أيُّها الصَّبُّ

يا أيها الصَّبُّ المُعنَّى به، | ها هُوَ لا خَلٌّ، ولا خمرُ
سوَّدَ ما ورَّدَ من خَدِّه، | فعاد، فَحماً، ذلك الجَمرُ

(١٢٢)
السُّهى والقَمَرْ

بهرتِ جمالاً، فرُعتِ البَصَرْ، | وذُبتُ سَقاماً ففُتُّ النَّظَرْ[4]
فصرتُ، إذا أمكَنتْ لُقيةٌ، | أُرِيكِ السُّهى، وتريني القَمرْ[5]

(١٢٣)
كأنّه مركب

تَقَبَّلِ المُهرَ من أخِي ثِقةٍ، | ارسلَ ريحاً به إلى مَطرِ
مشتمِلاً بالظَّلامِ من شِيَةٍ، | لم يشتمِل ليلُها على سَحَرِ[6]
منتسِباً لونُه وغُرّتُه، | إلى سَوادِ الفُؤادِ، والبَصرِ

---

(١) **الطوى**: الجوع ـ **النكباء**: الريح ـ **الصرصر**: الباردة.
(٢) **اللهذم**: سنان الرمح.
(٣) **مدّن**: دان، قريب ـ **الروعة**: الفزع ـ **تثنيه**: تمنعه من الإقدام.
(٤) **راعت البصر**: من الروعة وهي شدّة الافتتان ـ **فتُّ النظر**: كناية عن نحوله وسقمه الشديد الذي جعله خافياً عن الأنظار.
(٥) **اللقية**: اللقاء ـ **السهى**: كوكب خفي من بنات نعش الصغرى.
(٦) **الشية**: العلامة المميّزة.

تحسِبُـه، مـن عُـلاكَ، مسترقـاً، بَهجـةَ مـرأى ، وحُسـنَ مختَبـرِ
حـنَّ إلـى راحـةٍ تفيـضُ نَـدىً، فمـالَ ظِـلّ بـه علـى نَهَـرِ
تـرى بـه، والنشـاطُ يُلْهِبُـه، مـا شئـتَ مـن فَحمـةٍ، ومـن شَـررِ[1]
لـو حَمَـلَ الليـلُ حُسـنَ دُهمَتـهِ، أمتَـعَ طَـرْفَ المُحـبِّ بـالسَّهـرِ[2]
أحمَـى مـن النجـم، يـومَ معـركـةٍ، ظَهـراً، وأجـرى بـه مـنَ القَـدَرِ[3]
اسـودَّ وابيـضَّ فعلُـه كـرمـاً، فـالتفـتَ الحُسـنُ فيـهِ عـن حَـوَرِ
كـأنَّـه، والنفـوسُ تَعشَقُـه، مُـركَّـبٌ مـن محـاسـنِ الصُّـوَرِ
فـازدَدْ سَنـا بهجـةٍ بـدُهمتِـه، فـالليـلُ أذكـى لغُـرَّةِ القَمَـرِ
ومثـلُ شُكـري، علـى تقبُّلِـه، يجمَـعُ بيـنَ النسيـمِ والـزَّهَـرِ

(١٢٤)

في هَوَى مِثْلها

وبَيضـاءَ، فـي صفـراءَ، تحمِـلُ نَفْحَـةً تنَفَّس عنها المَندَلُ الرطبُ والجمرُ[4]
خَلَعـتُ رِداءَ الصَّبـرِ فيهـا عـلاقـةً، ويَحسُنُ، إلاَّ في هَوى مِثلِهـا، الصَّبرُ
وَلا غـروَ أنْ تَـروى بهـا عيـنُ نـاظـرٍ، وبـاطِنُهـا مـاءٌ وظـاهِـرهـا خَمـرُ[5]

(١٢٥)

الفرس النّاري

وحُسـامٍ بكـفِّ أشـوسَ، أجـرى فـي الطُّلـى مـاءَه، وأضـرمَ نـارَهْ[6]

---

(١) من فحمة: إشارة إلى سواد لونه ـ الشّرر: كناية عن شدّة جريه وحركته.
(٢) الدهمة: السواد.
(٣) أحمى: أكثر حماية ـ أجرى: أكثر سرعة.
(٤) المندل: عود البخور.
(٥) تروى: ترتوي.
(٦) الأشوس: الناظر بمؤخر عينه ـ الطُّلى: جمع الطلاة: الجيد.

عطَفَ الضربُ منه عارضَ شيبٍ، فانجَلى يَخضِبُ النجيعُ عِذارَهْ[1]
فوق وِردٍ، محجَّلٍ، مَزجَ الحُسنُ، بمرآه، ماءَه وعُقارَهْ[2]
خلَّصَتهُ نارُ الطَّبيعةِ سَبْكاً؛ وأسالَتْ لُجَينَه، ونُضَارَهْ[3]
قدحَ الركضُ زَندَهُ فاستطارتْ، في دُخانِ العَجاجِ، منه، شرارَهْ
يَضحَكُ الحَليُ، فوقَه، عَن أقاحٍ، نَثَرَته الصَّبا على جُلَّنارَهْ[4]

(١٢٦)

مَلأَ المَسامِعَ مَحاسِناً

ومغرِّدٍ، هزِجِ الغناء، مطرِّبٍ، يُلقى به ليلُ التمامِ، فيَقصُرُ[5]
سفَرَ الشبابُ لنا به عن غُرَّةٍ، يُرمى بها ليلُ السِّرارِ، فيُقمِرُ[6]
غازَلتُه حيثُ المُدامةُ والحَبابةُ وَجْنةٌ تَدمَى وَعَينٌ تَنظُرُ[7]
والمُزنُ طِرفٌ، جال يَصهل، أشهَبٌ؛ والبَرقُ جُلّ قد تَمَزَّقَ أحْمَرُ[8]
فكأنَّهُ، والسكرُ يَلوي عِطفَه، غُصنٌ تُعانِقه الرِّياحُ، مُنَوِّرُ
ملأَ المسامِعَ والعُيونَ مَحاسِناً، فَلَمْ أَدْرِ! هَلْ أُصْغِي إِليهِ أَمَ انظُرُ

---

(١) **العارض هنا**: الخد والعارض أصلاً السحاب ـ **يخضب**: يصبغ ـ **النجيع**: الدم ـ، **العذار أصلاً**: جانب الوجه والمراد هنا عذار السيف.

(٢) **الورد**: الفرس المائل إلى الاحمرار ـ **العقار**: الخمر.

(٣) **اللجين**: الفضّة ـ **النضار**: الذهب.

(٤) **الحليّ**: السرج أو ما يماثله ـ **الجلّنار**: زهر الرمان شبه به لون الفرس النّاري.

(٥) **يصف مغنياً** حسن الصوت من سمعه ليلاً لم يحسّ بطول الليل.

(٦) **ليل السّرار**: الليلة الأخيرة من الشهر القمري، وهي غير مقمرة.

(٧) **المدامة**: الخمر ـ **الوجنة**: صفحة الوجه وقوله تدلى: اشارة إلى إحمرار خدّيه.

(٨) **الجُلّ**: السرج أو ما يشبهه.

(١٢٧)
هِيَ الظَّبْيُ

وقَوراءَ بيضاءِ المَحاسِنَ، طَلْقَةٍ، لَبِسْتُ بِها اللَّيلَ البَهِيمَ نَهارا[١]
يَزُرُّ عليها الصُّبحُ، نُوراً، قميصَه، وقد لبِسَ الجَوُّ الظَّلامَ صِدارا[٢]
هَزَزتُ، لأغصانِ القُدودِ، معاطفاً بها، ولِرُمَّانِ النهودِ ثِمارا
فسَقيْاً لأيامٍ، هُناك، تَقلَّصَتْ ذُيولاً على حُكمِ الشَّبابِ قِصارا
إذا شِئتُ غنَّاني وِشاحٌ وحِليَةٌ لحِسناءَ، غَصَّتْ دُمْلُجاً وسِوارا
هي الظَّبيُ طَرْفاً أحوَراً، ومَلاحِظاً مِراضاً، وجِيداً أتلَعاً، ونِفارا[٣]
أفاضَت، على عِطفِ القضيبِ، مُلاءَةً؛ ولفَّتْ، على ظهرِ الكثِيبِ، إزارا[٤]
وحيَّتْ بِـآسٍ إثْرَ كاسٍ تُديرُها، فقبَّلْتُ جِيداً مِنهُما وعِذارا

(١٢٨)
خَمْرُ الصّبا

وضيفِ طَيفٍ أمَّ مِن هاجِرٍ، بَاتَ بهِ المَشكُوُّ مشكُورَا
وقد جَلا الحُسْنُ لَهُ سُنَّةً، يُلقى بها المعْذولُ مَعذُورَا[٥]
وصَحْفَةٌ تُنشَرُ مِن صفحةٍ، رَأيتُ فيها الحُسنَ مسطُورَا
زار، وريحُ الفَجرِ قد قلَّصَتْ ذَيلَ غَمامٍ، باتَ مَجرُورَا
وقلَّدتْ أجيادَ تِلكَ الرُّبى دُرّاً، مِنَ النُّوّارِ، مَنثُورَا
والصبحُ قَد مزَّق، عن صَدرِه، جَيبَ ظَلامٍ، باتَ مزْرُورَا

---

(١) قوراء: مستديرة، والمراد الدارة القوراء وهي التي يصفها في هذه الأبيات.
(٢) الصدار: القميص الساتر للصدر وليس له كمّان.
(٣) الجيد الأتلع: العنق العالي المشرئب.
(٤) يقول: إن قامتها المديدة كالقضيب وردفاها كالكثيب من الرمل لامتلائهما.
(٥) السنّة: المحيّا، الوجه.

فـانجـابـت الـدُّهمـةُ عـن شُهبَـةٍ، وآلَـتِ المِسكَـةُ كـافـورَا[1]
بحيـثُ خَيـلُ الليـلِ مطـرُودَةً، تحـتَ لِـواء الحُسـن مَنشُـورَا
ثـمَّ مَضـى يُعشـى بـه خـاطِـري نـاراً، ويُغشـى نـاظِـري نُـورَا
كمـا انثَنـى غصـنُ النَّقـا أملـداً، والتَفَـتَ الجُـؤذُرُ مَـذعـورَا[2]
قـد أسكَـرتْ خمـرُ الصِّبـا عِطفَـه، فَمـادَ، فـي بُـردَيـهِ، مَخمـورَا
مُعَـربِـداً يَجـرَحُنـي طـرفُـه، وكـان ذنْـبُ السُّكـرِ مَغفـورَا
وأَرْسَـلَ اللَّحظَـةَ مكسـورةً مِـن تَـرَفٍ، والخُطـوَ مَقصـورَا
وسـالَ قَطْـرُ الـدَّمـعِ فـي خـدِّه، فـرَفَّ روضُ الحُسـنِ مَمْطـورَا

(١٢٩)
شُعْلَةُ نارٍ

يصف سَيفاً باتراً فيبدو له لساناً من النار

ومُـرهَـفٍ كلِسـانِ النـارِ، مُنْصَلِـتٍ، يَشفـي مـن الثَّـارِ، أو يَنفِـي مـنَ العـارِ[3]
تَخـالُ شُعْلـةَ نـارٍ منـه طـائِـرةً في عارِضٍ، مِن عَجاجِ الخيلِ، مَوَّارِ[4]
يَمضِي، فيَهْوي، وراءَ النَّقع، مُلتَهباً، كما تصَوَّبَ، يجري كوكبٌ ساري[5]
يَغشَـى، فتحـرُقُ نـارٌ فيـه مُـوقَـدةٌ تَخمي، ويَغرقُ مـاءٌ، فَـوقَـهُ، جـاري

(١٣٠)
نَثَرْتَ ثِمارا

يـا بـارِقـاً قـدَحَ الـزِّنـادَ، وعـارِضـاً مُتهَلِّـلاً رِكِـبَ الـرِّيَـاحَ فَسـارا[6]

---

(١) الدهمة: العتمة والظلام ـ آلت: صارت وتحوّلت ـ المسكة: سواد الليل بجامع السّواد ـ الكافور: بياض النهار بجامع الأشراق.
(٢) الغصن الأملد: الناعم ـ الجؤذر: ولد البقرة الوحشيّة.
(٣) المرهف: السيف الحادّ المضرب ـ منصلت: مسلول.
(٤) تخال: تحسب ـ العجاج: الغبار ـ الموّار: المتحرّك بقوة.
(٥) النقع: الغبار ـ تصوّب: انحدر.
(٦) العارض: السحاب الممطر.

قُـولاً لإِحْـوى، بـاللِّـوى، مُتَنَصِّـرٍ، عقَـدَ النُّحُـولُ، بخَصْـرِهِ، زِنَّـارا[1]
يـا غُصـنَ حُسـنٍ قـامَ يَنشـرُ فَـرعَـهُ وَرَقـاً، ويَفْتِـقُ نـورَه نُـوَّارا[2]
مـا كـان ضَـرَّك لـو هَصَـرتُـكَ ليلـةً، فَنَثَـرْتَ، مـن قُبَـلٍ، علـيَّ ثمـارا[3]

(١٣١)
أَتَتْني بِهِ النَّارُ

ومِثْلُـكَ مَـدَّ يميـنَ النَّـدى، بِعِلـقٍ يُطِيـلُ عِنـانَ النَّظَـرْ[4]
بـأزرَقَ سـالـتْ بـه صُفَـرةٌ، كمـا طـرَّز البـرقُ ثـوبَ السَّحَـرْ
أَتَتنـي بـه النـارُ فـي صُـورَةٍ، أرى للجِنـانِ عليهـا صُـوَرْ
فطَـرفُـكَ مـا راقَ مِـن مَشْحَـةٍ عليـه، وللشَّمـسِ نُـورُ القَمَـرْ
فـإِنْ تَـكُ دهْمـاً ليـالـي النَّـوى، فـإنَّ تحـايـاكَ فيهـا غُـرَرْ[5]

(١٣٢)
رَقَصَ القَضُيب بها

مجلس شراب في جنبات حديقة فيحاء

وصقيلـةِ الأنـوارِ تَلـوي عَطفَهـا ريـحٌ، تلُـفُّ فـروعَهـا، مِعطـارُ[6]
عـاطـي بهـا الصَّهبـاءَ أحـوَى أحـورٌ، سحَّـابُ أذيـالِ السُّـرى، سحَّـارُ[7]
والنَّـورُ عِقـدٌ، والغصـونُ سـوالـفٌ، والجِـذعُ زَنـدٌ، والخُليـجُ سِـوارُ[8]

---

(١) الأحوى: ذو الحوّة وهي سمرة مستحبة في الشفة ـ النحول: ضمور الخصر.
(٢) الفرع: الشعر ـ النور: الزهر.
(٣) هصرتك: من هصر الغصن: أي لواه باتجاهه، وهو يلمح هكذا إلى اشتهاء قرب الحبيب وعناقه.
(٤) العلق: النفيس من كل شيء.
(٥) الليالي الدهم: السوداء ـ التحايا: جمع تحية السلام ـ الغرر: البيض.
(٦) صقيلة الأنوار: أي بيضاء الأزهار.
(٧) الصهباء: الخمر ـ سحار: فاتن.
(٨) النّور: الزهر ـ السوالف: شعر جانبي الوجه ـ الجذع: أصل الشجرة.

بحـــديقـــةٍ ظَـــلَّ اللَّمـــى ظِـــلاًّ بهـــا، وتطلَّعَـــت شَنَبـــاً بهـــا الأنـــوارُ[1]
رقَصَ القضيبُ بها، وقد شرِب الثرى، وشـــدا الحمـــامُ، وصفَّـــقَ التَّيَّـــارُ
غَنَّـاءَ ألحـفَ عِطفَهـا الـورقُ النَّـدي، والتـفَّ فـي جَنبَـاتِهـا النُّـوّارُ[2]
فتطلَّعـت، فـي كـل مـوقـعِ لحظـةٍ، مـن كـلِّ غُصـن، صفحـةٌ وعِـذارُ

(١٣٣)

ومائِسَةٍ

ومـائسـةٍ تُـزهـى، وقـد خلـعَ الحيـا، عليها، حُلىً حُمراً، وأردِيةً خُضرا[3]
يـذوبُ لهـا ريـقُ الغَمـامـةِ فِضّـةٍ، ويجمُـدُ، فـي أعطـافهـا، ذهَبـاً نَضـرا

(١٣٤)

أروعَ، أمجدَ

وأروعَ، أمجـــدَ، قـــرَّظتُـــهُ؛ وبيــضُ الــلآلـي لبيـضِ النّحـورِ[4]
وشَعشعـتِ الخمـرُ أخـلاقَـه، فـأطلَعَهـا غُـرراً للبـدورِ
وهـاتيـك آدابُـه لُجّـةٌ، فمـن لـي، وقـد زخَـرتْ، بـالعُبـورِ؟
ومـا أرغـتِ الكـأس فـي كفِّـه، ولكنهـا ضحِكـتْ عـن سـرورِ
إذا مـا جـرى، فـوقَ قُـرطـاسِـه، يَـراعٌ، جـرى حِبـرُه بـالحُبـورِ
فنلثُـم أوضـاعَ تلـك الـرِّقـاعِ، ولُعـسَ مَـراشـفِ تلـك السُّطـورِ[5]
فهـل نِقسُـه مـن سـوادِ اللَّمـى، ومُهـرَقُـه مـن بيـاضِ الثُّغـورِ؟[6]

---

(١) الشنب: بياض الأسنان.
(٢) الحديقة الغناء: الكثيرة الأشجار.
(٣) المائسة: المتمايلة زهواً ـ تزهى: تتيه إعجاباً ـ الأردية: الحلل، جمع رداء.
(٤) الأروع: الذي يثير إعجابك بروعته ـ قرّظ فلاناً: مدحه وأطرى محاسنه.
(٥) نلثم: نقبل ـ المراشف اللعس: الشفاه التي فيها سواد مستحسن.
(٦) النقس: الحبر ـ اللّمى: السمرة المستحسنة في باطن الشفة.

(١٣٥)
أَحجَمْتُ عَنْ لمامٍ

بلغه أنّ أحد أصدقائه غمز من قناته فأنشد:

لك الخيرُ، أيُّ الخيرِ، في ردِّ صاحبٍ ... مُغيرٍ على عرِضِ الصديقِ، مُغامرِ
يَهشُّ مع اللُّقيا إليَّ، كأنَّما ... أحُلُّ بربعٍ، للبَشاشةِ، عامرِ
ومَهما نأى، غامَت عليَّ سماؤُه، ... وجادت بصَوبٍ، للغَضاضةِ، هامرِ[1]
فجرَّ بلحمي، ظالماً، كلُّ ذاكرٍ؛ ... ولاكَ بعِرضي، مُضغةً، كلُّ سامرِ
وإني لألقى الرَّكبَ يهبِطُ أرضَه، ... بأذكى ثناءٍ من أريجِ المُجاهرِ
ويَطرُقُني، ضيفاً، معَ الليل، طَيفُه، ... فيكرَعُ في ماءٍ، من البِشرِ، غامرِ
فأغضيتُ إغضاءَ الكريمَ لِفتيةٍ ... كرامِ الحُلى، والمُنتمَى، والأواصِرِ
وأحجمتُ، جُبناً، عن لَمامٍ بعَتبةٍ، ... وإني لَمَطْويٌّ على بأسِ عامرِ
وقلتُ، وحسنُ الصبرِ خيرُ مَغبَّةٍ: ... هنيئاً مريئاً، غيرَ داءٍ مُخامرِ
ولو شِئتُ رُعتُ القِرن، والبِيدُ بينَنا، ... بصَهلةِ خَوّارِ الأعنّةِ، ضامرِ

(١٣٦)
سَدِّد بِلَفْظَةٍ

دعا بهذه الأبيات إلى توسيع مدارك أفهام الأطفال:

سَدِّدْ مرامي الطِّفْل، في شأنِه، ... بلفظةٍ تَشْدُدْ بها أزرَهْ[2]
واكتَفِ باللَّمحةِ من فَهمِه، ... إنَّ المبادي، أبداً، نَزرَهْ[3]
أَما تَرى النِّيرانَ من شُعلةٍ، ... والدَّوحةَ اللَّفّاءَ مِن بَزرَهْ[4]

(١) الغضاضة: من غضّ غضاضة من فلان: وضع من قدره ـ الهامر: المنصب.
(٢) سدّد: صوّب ـ المرامي: الغايات ـ شدّ أزره: أعانه وآزره.
(٣) نزرة: قليلة.
(٤) الدّوحة اللفاء: الضخمة.

(١٣٧)

ارمِ الكريهةَ بالكريمة

هــذا غُــرابُ دُجــاكَ يَنعَــبُ فــازجُــرِ، وعُبــابُ لَيلِــكَ قــد تَــلاطَــمَ فــاعْبُــرِ
واستَفَّ من نُطَف النجوم على السُّرى، والتَــفَّ فــي وَرَقِ الظَّــلامِ الأخضَــرِ[١]
والبَــسْ رِداءَ السَّيــفِ، وهــوَ مُطَــرَّزٌ، تحــتَ العَجــاجَــةِ، بــالنَّجِيــعِ الأحْمَــرِ
وَارْمِ الكَــريهــةَ بــالكَــرِيمــةِ، وارتَشِــف صَفــوَ الحَيْــاةِ مــنَ العَجــاجِ الأكــدَرِ[٢]

---

(١) استف: شرب بكثرة.

(٢) الكريهة: ما هو مكروه ـ العجاج: الغبرة.

قافية السين

(١٣٨)
فانْهَضْ بآمل

رفع ابن خفاجة هذه القصيدة إلى صديقه الفقيه عبدالله محمد ابن أحمد بن حمدين:

جـرِّرْ مُـلاءَةَ كـلِّ يَـومٍ شـامِـسٍ؛ واسْحَـبْ ذُؤابَـةَ كـلِّ ليـلٍ دامِـسٍ[1]
واطلُـعْ بكـلِّ فـلاةِ أرضٍ غُـرَّةً، غَـرَّاءَ، فـي وجـهِ الظـلامِ العـابِـسِ
وانـزِلْ بهـا ضَيفـاً لِلَيْـثٍ خـادِرٍ، يَقْـريـكَ، أو جـاراً لِظَبـيٍ كـانِـسٍ[2]
وإذا طَعمْـتَ فمـن قَنِيـصٍ فِلـذَةً؛ وإذا شَـرِبـتَ فمـن غَمـامٍ راجِـسٍ[3]
والـرِّيـحُ تَلْـوي عِطـفَ كـلِّ أَراكـةٍ، لَـيَّ السُّرى، وَهْنـاً، لِعِطْـفِ النـاعِـسِ
وسَـلِ الغِنـى مـن ظَهـرِ طـرْفٍ أشقَـرٍ، يَطَـأُ القَتيـلَ، وصَـدْرِ رُمـحٍ داعِـسٍ
وازْجُـمْ بـرأيِـكَ شَـدْقَ لَيـثٍ ضـاغـمٍ، طَلَـبَ الثَّـراءَ، ونـابَ صِـلٍّ نـاهِـسٍ[4]
وارغَـبْ بنَفسِـكَ عـن مَقـامـةِ فـاضـلٍ، قـد قـامَ يَمْثُـلُ فـي خَصـاصَـةِ بـائِـسٍ
فـالحُـرُّ مُفْتَقِـرٌ إلـى عـزِّ الغِنـى، فَقْـرَ الحُسـامِ إلـى يميـنِ الفـارسِ

---

(١) اليوم الشامس: الساطعة شمسه ـ الدامس: الحالك السواد.
(٢) الليث الخادر: القابع في خدره ـ الكانس: الذي لزم كناسه أي بيته.
(٣) القنيص: الصيد المقتنص ـ الغمام الراجس: السحاب الراعد.
(٤) الناهس: الناهش.

وإذا عَـزَمْـتَ، فـلا عَثَـرتَ بحـادِثٍ، فـركِبـتَ منـه ظهـرَ صَعـبٍ شامِسِ[1]
فـافْزَعْ إلـى قـاضـي الجَمـاعـةِ، رَهبَـةً، تَضَـعِ العِنـانَ بخيـرِ راحـةِ سـائِسِ[2]
واستَسْـقِ منـه، إن ظَمِئـتَ، غَمـامَـةً يَخضَـرُّ عنهـا كـلُّ عُـودٍ يـابِـسِ
فــإذا رَوِيـتَ بمـاءِ ذاكَ المُجْتلـي فَحَـذارِ مـن أُلْهُـوبِ ذاكَ الهـاجِسِ[3]
مِـنْ آلِ حَمْـدِينَ الأولـى حَلِيَتْ بهـم، قِـدْمـاً، صُـدورُ كَتـائِـبٍ ومَـدارِس
مِـن أُسْـرةٍ نَشـأوا غَمـائِـمَ أَزْمَـةٍ، ولـربَّمـا طَلَعـوا بُـدُورَ حَنـادِسِ[4]
مُتَطَلِّعِيـنَ إلـى الحُـروبِ، كـأنَّمـا يَستَطلِعـونَ بهـا وُجـوهَ عَـرائِـسِ
وجَـرَوا بمَيـدان المَكـارِمِ والعُلـى وكـأنَّمـا ركِبُـوا ظُهـورَ رَوامِـسِ[5]
وجَنَـوا ثمـارَ النَّصرِ، مِن غرس القَنا، بـأكُفِّهِـمْ، ولَنِعْـمَ غـرسُ الغـارِسِ
فَهُـمُ لُبـابُ المَجـدِ نَجـدَةَ أَنْفُـسٍ، وَذَكـاءَ أَلْبـابٍ، وطِيـبَ مَغـارِسِ
وهُـمُ رِيـاضُ الحَـزْنِ نُضْـرةَ أَوجُـهٍ، وجمـالَ أرْدانٍ، وحُسْـنَ مَجـالِـسِ
مِـن كـلِّ أَرْوَعَ راعَ كـلَّ ضُبـارِمٍ بـأسـاً، وذلَّـلَ نَفـسَ كـلِّ مُنـافِـسِ
خـلع الثَّنـاءُ عليـه أكـرمَ حِلْيَـةٍ، يُزهَى بها، في الدَّسْتِ، عِطفُ اللاَّبسِ
سَلِسُ الكـلامِ علـى السَّمـاعِ، كـأنَّـه سِنَـةٌ تَـرَقْـرَقُ بيـنَ جَفْنَـي نـاعِـسِ
مـا إنْ يُمـازُ، مـنَ الشِّهـابِ، طَـلاقَـةً، حتـى تُمـدَّ إليـهِ كـفُّ القـابِـسِ
تـرَكَ الأعـادِي بَيـنَ طَـرْفٍ خـاشِـعٍ لا يَستَقِـلُّ، وبيـنَ رأسٍ نـاكِـسِ
وزكَـا فلـم يُطْـرَفْ بنَظـرَةِ خـائِـنٍ، يـومـاً، ولم يُعْـرَفْ بعَهـدٍ خـائِـسِ[6]
مُتَقَلِّـبٌ مـا بيـن عَـزمٍ غـارِسٍ لِلمَكْـرُمـاتِ، وبيـنَ حَـزْمٍ حـارِسِ

---

(١) **الشامس**: الحرن غير المنقاد.
(٢) **فزع إلى فلان**: لجأ إليه، احتمى به.
(٣) **روى**: أطفأ ظمأه ـ **الألهوب**: الحريق ـ **الهامس**: الخاطر.
(٤) **الحنادس**: جمع حندس، الظلام.
(٥) **الروامس**: الرياح التي ترمس الآثار أي تمحوها لما تحمل من الرمال.
(٦) **المهد الخانس**: الغادر.

وذكــاءُ فَهْــمٍ لــو تمثَّــل صــارِمــاً ... لــم يــأتَمِــنْ، ظُبتَيــهِ، عــاتِــقُ فــارِس
ومَقــامُ حُكْــمٍ عــادِلٍ لا يَــزدَري، ... فيــه، المُعَلَّــى خَطْــوهُ بــالنَّــافِــس[1]
ومَجــالُ حَــرْبٍ جَــرَّ فيــه لامَــةً، ... قــد قــامَ منهــا فــي غَــديــرٍ حــامِــس[2]
يَطَــأُ العِـدى مــا بيــن نَصْــلٍ ضــاحِــكٍ، ... تحــتَ العَجــاجِ، ووَجــهِ طِــرْفٍ عــابِــسِ
فــي حيــثُ يَلعَــبُ بــالقَنــاةِ، شهــامــةً، ... لَعِبَ النُّعــامــى بــالقضيــبِ المــائِــسِ
أَحْسِــنْ بقُــرْطُبَــةٍ، وقــد حَمَلَــتْ بــه ... حُسْــنَ الفَتــاةِ ولُبْــسَ خُلْــقِ العــانِــسِ
وتَتَــوَّجَــتْ بمنــار علــمٍ ســاطِــعٍ، ... قــد قــامَ فــوقَ قَــرارِ ديــنٍ آنِــسِ
وتُخــايَلَــتْ عِــزّاً بــه، فــي عِصْمَــةٍ، ... صحَّــتْ بهــا مــن كــلِّ داءٍ نــاخِــس[3]
يُــزهــى بِــرِيْــطٍ، للصبيحــةِ، أبيــضٍ، ... تَنْــدى، وبُــرْدٍ، للعشيَّــةِ، وارِس[4]
فــانْهــضْ أبــا عَبــدِ الإلــه بــآمِــلٍ ... قــد جــابَ دُونَــكَ كــلَّ خَــرقٍ طــامِــس[5]
عــاجَ الــرجــاءُ علــى عُــلاكَ بــه، فلــمْ ... يَعُــجِ المَطِــيَّ بِــرسْــمِ رَبــعٍ دارِسِ
فاشْفَع لمُغتَرِبٍ رَجاكَ، على النَّوى، ... يَمْــدُدْ إلــى الخضــراءِ راحَــةَ لامِــسِ
وامْــدُد إليــهِ بِكــفٍّ جَــدٌّ قــائِــمٍ، ... تَجــذِبْ بــه مِــن ضَبْــعِ جَــدٌّ جــالِــس[6]
فلَــرُبَّ يــومٍ قــد رفَعْــتَ بــه المُنــى، ... ومَحَــوتَ فيــهِ ســوادَ ظَــنِّ البــائِــس
وبَقِيــتَ تجتَلِــبُ النفــوسَ نَفــاســةً ... وبشــاشــةً، ووُقيــتَ عَيــنَ النَّــافِــس[7]

---

(١) **النافس**: القدح الخامس من قداح الميسر، **والمعلّى**: السابع.
(٢) **الحامس**: الشديد الصلابة.
(٣) **الداء الناخس**: الداء المزعج، من نخست الدابة إذا هاجت.
(٤) **الريط**: الملاءة ـ **الوارس**: الأحمر اللون.
(٥) **الخرق الطامس**: الطريق الخفي غير الواضح.
(٦) **الضبع**: العضد.
(٧) **النافس**: الذي يحسد ويصيب بالعين، العائن.

(١٣٩)

أوجعتني كُرْبةٌ

أفــي كــلِّ يــومٍ رَجفــةٌ لِمُلِمَّــةٍ ... بِفَقْدِ خَليلٍ، يَملأُ العَينَ، مُؤْنِسِ
أَبيتُ لهُ تَندى جُفُوني لَوْعَةً، ... كما دَمَعتْ، تحتَ الحَيا، عينُ نَرجِسِ
وحَسبِي، إذا ما أَوْجَعَتني كُربةٌ، ... بِمُؤنِسِ يَعقوبٍ ومُنقِذِ يُونُسِ[١]

(١٤٠)

وا شوقي

إنَّ لِلجَنَّةِ، في الأندَلسِ، ... مُجْتَلى حُسنٍ وريّا نَفَسِ
فَسَنا صُبْحَتِها مِن شَنَبٍ؛ ... ودُجى ظُلمَتِها مِن لَعَسِ
فإذا ما هبَّتِ الرِّيحُ صَباً، ... صِحتُ: واشَوقي إلى الأندَلُسِ!

(١٤١)

تروقُ العينَ

يصف جارية فيعدّد محاسنها وبهجة المجلس بها...

إما واعتِزازِ السيفِ والضّيفِ والنَّدى ... بخَيرِ مَليكٍ، هشَّ في صدرِ مجلِسِ
بَدا بينَ كفٍّ للسَّماحِ مُغيمَةٍ، ... تَصُوبُ، ووجهٍ للطَّلاقةِ مُشمِسِ
لقد زَفَّ بنتاً، للخَميلةِ، طَلْقَةً، ... يَهُزُّ إليها الدَّشْتُ أَعطافَ مَغرِسِ
تَنوبُ، عن الحسناءِ والدارِ، غُربةً، ... فما شِئتَ مِن لهوٍ بها وتأنُّسِ
تُشيرُ إليها كلُّ راحةِ سُوسَنٍ، ... وتَشخَصُ فيها كلُّ مُقلةِ نَرجِسِ
فحَفَّتْ بها ريحٌ بَليلٌ وربوةٌ، ... بمَسرى غَمامٍ، جادَها، مُتَبَجِّسِ
فجاءَتْ تَرُوقُ العينَ في ماءِ نُضرةٍ، ... تَشُنُّ، على أعطافِها، ثوبَ سُندُسِ[٢]

---

(١) يقول: حسبي الله مؤنس يعقوب وهو أبو أسباط بني إسرائيل، ومنقذ يونس وهو يونان الذي ابتلعه الحوت.

(٢) السندس: الحرير الأخضر اللون.

وتمـــلأ عيـــنَ الشمـــسِ لألاءَ بهجَـــةٍ وحُسْـــنٍ، وأنْـفَ الـرِّيـحِ طِيـبَ تنفُّـسِ

(١٤٢)
السّاقي الأسودُ

وكــأس أُنــسٍ قــد جَلتْهــا المُنــى، فبــاتَــتِ النفــسُ بهــا مُغْــرِسَــةْ
طــافَ بهــا أَســوَدُ مُحــدَودِبٌ، يُطــرِبُ مــن يَلهُــو بــه مجلِسَــهْ
فخِلْتُــــه، مــــن سَبَــجٍ، رَبْــوةً قــد أنْبَتَــتْ مــن ذَهــبٍ نَــرْجِسَــةْ[1]

(١٤٣)
شَهِيّ الجَنى

يصف التّيـن فيفتـن في التشبيه ويتمثل شهده كريق الحبيب

أَمــا واهتِصــارِ غُصُــونِ البَلَــسْ، وقــد قَلَّــصَ الصُّبــحُ ذَيــلَ الغَلَــسْ[2]
ومــالَ يَسِيــلُ جَنــى شَهْــدِه، كمــا ســالَ رِيــقُ حَبيــبٍ نَعَــسْ
لقــد ســاقَ، مــن رائِــقِ المُجتَلــى، شهِــيَّ الجَنــى، مُستَطــابَ النَّفَــسْ[3]
فَهِمْــتُ لــه ببَيــاضِ الثُّغــورِ، وأحبَبْــتُ فيــه ســوادَ اللَّعَــسْ

(١٤٤)
مَعْشوقَةُ الحُسْنِ

ومعشُــوقــةِ الحُسْــنِ مَمشُــوقــةٍ، يَهيــمُ بهــا الطَّــرفُ والمَعْطِــسُ[4]
لهــا نُضْــرةٌ سِمْتُهــا نَظْــرةً، وتكْلَــفُ، بــالأنفُــسِ، الأنفُــسُ
فمِــن مــاءِ جَفْنــي لهــا مَكــرَعٌ فسِيــحٌ، ومــن راحتــي مَغْــرِسُ

---

(١) السبج: نوع من الخرز الأسود ـ النرجسة: كناية عن كأس الخمرة المذهبة.
(٢) البلس: ثمر التين ـ الغلس: حلكة آخر الليل.
(٣) المجتلى: الظاهر للعين.
(٤) المعطس: الأنف.

(١٤٥)

فَرَسٌ أَشْقَرُ

وأشْقَــرٍ تُضْــرَمُ منــه الــوَغَــى، بشُعْلَـــةٍ مـــن شُعَـــلِ البـــاسِ
مِـــن جُلّنـــارٍ نـــاضــرٍ خـــدُّه، وأُذْنُـــــــه مِـــــــن وَرَقِ الآسِ
تَطْلُـــعُ للغُـــرَّةِ، فـــي وجهِـــهِ، حَبـــابَـــةٌ تَضحَـــكُ فـــي كـــاس

(١٤٦)

لَوْلا الحَيَاء

قال يصف حنينه إلى الشراب بعد أن أقلع عنه.

يــا حبّــذا نــادِي النِّــدامِ، ومُجتَلَــى سِــرِّ السُّــرورِ بــهِ، ومَسْلــى الأنفُــسِ
ولَئِــن كَفَفْــتُ عــنِ المُــدامِ، فــإنَّ لــي نَفَســاً تَهَــشُّ بِصَــدْرِ ذاكَ المَجْلِــسِ
لــولا الحَيــاءُ مِــنَ المَشِيــبِ لَقَبَّلَــتْ ثَغــرَ الحَبــابِ بــهِ، وَعَيــنَ النَّــرجِــس

(١٤٧)

شأنُ مِثلي

غَيــريَ مَــنَ يَعتَــدُّ، مِــن أُنسِــهِ، مــا نــالَ مِــن ســاقٍ ومِــن كــأسِــهِ
وشَـــأنُ مِثلـــي أَن يُـــرى خـــالِيـــاً بِنَفْسِـــهِ، يَبْحَـــثُ عَـــن نَفسِـــه

(١٤٨)

دَرَسُوا العُلومَ

دَرسُــوا العُلــومَ لِيَملِكُــوا بِجِـدالِهِـمْ، فيهــا، صُــدُورَ مَــراتِــبٍ ومَجــالِــسِ
وتَــزَهَّــدوا، حتــى أَصــابُــوا فُــرصَــةً فــي أَخــذِ مــالِ مَســاجِــدٍ وكَنــائِــسِ

قافية الصّاد

(١٤٩)

ربّ ذَيْلٍ . . . سَحَبْتُهُ

ألا إنَّهــا سِــنّ تَـزيــدُ فــأنْقُــصُ؛ وَنَفْضَــةُ حُمَّــى تَعْتَـريـنـي فــأرقُــصُ
فهــا أنــا أمْحُــو مــا جَنَيــتُ بعَبْـرَتـي، وانْظُـرُ، فـي مـا قـد عمِلـتُ، أُمَحِّـصُ
وألْمـحُ أعقـابَ الأمـورِ، فـأرعَـوي، ويُعْمـى علـيَّ الأمـرُ طَـوراً، فـأفحـصُ
ويــا رُبَّ ذَيــلٍ للشَّبــابِ سَحَبْتُــه، ومــا كنــتُ أدري أنَّــه سيُقَلَّــصُ
ولمحَــةِ عَيــشٍ بيــن كــأسٍ رَويَّــةٍ تُــدارُ، وظَبْــيٍ بــاللِّــوى يَتَقَنَّــصُ
ألا بــانَ عَيشٌ كــان يَنـدى غَضــارةً؛ فيـا ليـتَ ذاكَ العيشَ لـو كـان يَنكـصُ!
وعِـزُّ شبـابٍ كـان قـد هـانَ بُـرهـةً؛ أَلا إنَّهــا الأعْــلاقُ تَغلُــو وتَــرخُــصُ
فمَــن مُبلِــغٌ تلــكَ اللَّيــالــي تَحيَّــةً تُعَــمُّ بهــا طَــوراً، وطَــوراً تُخَصَّــصُ
علــى حيــنَ لا ذاكَ الغَمــامُ يُظِلُّنــي، ولا بَـرْدُ تلـكَ الـرِّيـح يَسـري ويَخلُـصُ
وقد طَلَعَتْ، للشَّيب، بِيضُ كواكبٍ، أُقَلِّبُ فيهــا نــاظِــري، أتَخَــرَّصُ[1]
كــأنْ لـم أُقَبِّـلْ صَفحـةَ الشَّمـس لَيلـةً؛ ولم يَنتَعِلْ بي، دونها، الشمسَ، أخمَصُ[2]
ولا بِــتُّ مَعْشُــوقــاً، تَطِيـرُ بــأضْلُعِـي قَطــاةٌ، لهــا بيــن الجَـوانِـح مَفحَـصُ

---

(١) أتخرص: من التخرّص وهو الظنّ وعدم القدرة على اليقين.
(٢) الأخمص: باطن القدم الذي لا يصيب الأرض.

قافية الضّاد

(١٥٠)
مَضى.. فانْقَضى

أَلا مَضى عَصْرُ الصِّبا، فانْقَضى؛ ... وحَبَّذا عَصْرُ شبابٍ مَضى
بِتُّ بِهِ تحتَ ظِلالِ المُنى، ... مُجتَنِياً منهُ ثِمارَ الرِّضا
ثُمَّ مَضى أَحسِبُهُ كَوكَباً ... مُنكَدِراً، أو بارِقاً مُومِضا
فما تَصَدّى يَنْتَحي مُقْبِلاً، ... حتى تَولّى يَنْثَني مُعْرِضا
ومَرَّ لا يَلْوِي، وما ضَرَّ مَنْ ... أَعْرَضَ لَوْ سلَّم، أَوْ عَرَّضا
وإنما ضاءَ، بِلَيلِ الصِّبا، ... صُبحُ مَشِيبٍ، ساءَني أَنْ أَضا
لاحَ، ففي عَيْنَيَّ نُورُ الهُدى ... منه، وفي قَلبِيَ نارُ الغَضا[٢]
وابيَضَّ مِن فَودِي به أَسوَدٌ، ... كُنتُ أَرى اللَّيلَ بهِ أَبْيَضا[٣]

---

(١) أعرض: أضرب وصدّ ـ عرّض (به): عناه ولم يصرّح أشار إليه.
(٢) الغضا: شجر ناره لا تخمد سريعاً.

قافية العين

(١٥١)

اللهُ يُعْطي ويَمْنَع

قالها مادحاً القائد، أبا إسحاق ويذكر محاصرته لحصن المؤريلة، ويهنئه بتقلده كورة اشبيلية:

أَرَأيُـكَ أَمْضـى أَمْ حُسـامُـكَ يَقْطَـعُ، ومَـرْآكَ أَبْهـى أَم حَـديثُـك يُسْمَـعُ؟
وكـلّ لـه، فـي جـانبِ المُلـكِ، مَسْلَكٌ كـريـمٌ، ومِـنْ نَفـسِ الإمـارَةِ مَـوقـعُ
لكَ الخيرُ ما أَهْداك، والسَّهمُ صائبٌ يَطِيشُ، ومـا أَعْداكَ، والخيـلُ تَمـزَعُ (١)
ولا غيـرَ أَطْـرافِ الأسِنَّـةِ مِقْـوَلٌ يُبِيـنُ، ولا غيـرَ الفَـرائِـصِ مِسْمَـع
وما الوَشْيُ، حُسناً، غيرَ بِيضِ محاسنٍ لَبِسـتَ علـى عِطْفَـي عُـلاكَ، وتَخلَـعُ
ولا النَّجـمُ، نـأيـاً، ذُروَةَ معْقِـلٍ، تَـذُودُ العِـدى عـن جـانبَيـه، وتَمْنَـعُ
تَفُـوتُ رجـاءَ المُـرتَجيـنَ وُعـودُه، ويَـدنُـو بـه سَعـدُ الأميـرِ، فيَطْمَـعُ
أَحَطْتَ بـه حَصـرَ الإحـاطَـةِ مُضْعِفـاً، تُـزَلْـزِلُ مِـن أَركـانِـه وتُضَعْضِـعُ
وأَمْطَـرْتَـه غَيثـاً، مـن العَيـثِ، واكِفـاً، يُظـاهِـرُه وَبْـلٌ، مـن النَّبْـلِ، يَهْمَـعُ(٢)
تَضُـمُّ جَنـاحَ الجيـشِ حَـوْلَيـه ضَمَّـةً، تكـادُ بهـا أَضْـلاعُـه تَتَقَعْقَـعُ(٣)

---

(١) تمزع الخيل: تسرع.
(٢) يهمع: يهطل غزيراً.
(٣) تتقعقع: تضطرب، وتصوّت عند التحرّك.

فكم ضَرْبةٍ فَوهاءَ ثَمَّ ومُقْلَةٍ، جَرَتْ هذه تَدمَى وهاتِيكَ تَدْمَعُ[1]
ولا بأس إلاَّ مِن سُيُوفِكَ تُنْتَضى، ولا سَعدَ إلاَّ في رِماحِكَ تُشْرَعُ
وهل أنتَ إلاَّ رَحمةُ اللهِ تَنكَفِي، عَذاباً، على أهلِ المعاصي، فتَقْمَعُ؟
فكم حِرزِ عزٍّ قد غَشِيتَ ببَطْشَةٍ، تُصِمُّ العدى رَجَّاتُها حين تُسْمَعُ
وغادَرْتَه من مَعْقِلٍ، وهو مَعْقَرٌ لِمُعْتَقِديه مَصْنعاً، وهو مَصرَعُ
فأنجَزَ فيه، موعِدَ السيفِ، فاتِكٌ، يَهُونُ عليه الجانِبُ المُتَمَنِّعُ
وأَهْوى به طِيبُ الحديثِ، فنَشْرُه يَخُبُّ به رَكبُ الثناءِ ويُوضِعُ[2]
إذا هَزَّ أعطافَ المعَالي حَسِبْتَه يُديرُ بها كأساً، عليه، تُشَعْشَعُ
وحَسْبُك من فَلْجٍ، لأبيَضَ واضِحٍ، يُعِيدُ ويُبدِي، في المعالي، فيُبْدِعُ[3]
ويا رُبَّ جيشٍ للعَدوِّ كأنَّه عُبابُ خِضَمٍّ، قد طَمى يَتَدفَّعُ
عرَضْتَ له، والليثُ دونَكَ جُرأَةً، فأجْفَلَ إجفالَ النَّعامَةِ يَجْزَعُ
ولَقَّيْتَه رِيحَ المَهابةِ بارحاً، فأقْلَعَ إقلاعَ الغَمامَةِ تَقْشَعُ
وأدْبَرَ لا يُلْوِي على مُتَعَذِّرٍ، حِذارَ فَتىً يَسري إليه، فيُسْرِعُ
وقد جالَ دَمعُ القَطرِ في مُقلَةِ الدُّجى، ولَفَّتْ نواصِي الخيلِ نكباءُ زَعْزَعُ
له، من صُدُورِ الأعوَجِيَّةِ والقَنا، شَفِيعٌ، إلى نَيلِ الأماني مُشَفَّعُ
وظفَّرَهُ، في مُلتَقى الخَيلِ، ساعِدٌ أَلَفُّ، وقلبٌ، بين جَنْبَيهِ، أصمَعُ[4]
وأَبيَضُ يَتلُو سُورةَ الفَتحِ، يُنْتَضى، ويَسْتَقبِلُ الفَرقَ الكريمَ، فيَركعُ
ومُنْجَرِدٌ ضَخمُ الجُزَارةِ، أَوْحَدٌ، يَطِيرُ به، تحتَ العَجاجَةِ، أَرْبَعُ[5]
وحَصْداءُ تَزري بالسِّنانِ، حَصِينَةٌ، ووَجهٌ وَقاحٌ، بالحديدِ، مُقَنَّعُ[6]
رَتَعتَ على حُكمِ السَّماحِ بِرَبْعِه، ومَرْبَعُ أبناءِ السَّماحةِ مَرْتَعُ

---

(١) الضربة الفوهاء: الواسعة.
(٢) يوضع: يقاد ويُساق.
(٣) الفلج: الغلبة والظفر.
(٤) القلب الأصمع: القلب الفطن.
(٥) الجزارة: الأطراف.
(٦) الحصداء: الدرع المحكمة النسج.

وعُجتَ عليه عَوجَةَ الصَّبِّ شاقَهُ بَريقٌ تَراءى، آخِرَ الليلِ، يَلمَعُ
ولم أرِدِ الأوشالَ أَنْقَعُ غُلَّةً، ويُمْنى أبي إسحاقَ للبَحْرِ مَنْبَعُ[1]
وهَضْبَتُه أحْمَى جناباً لِخائِفٍ؛ وأبْطَحُه أنْدى مُراداً وأمْرَعُ
فمَن مِثلُ إبراهِيمَ، والصُّبحُ أبْلَجٌ؛ ومَن مِثلُ إبراهِيمَ، والحقُّ أصدعُ؟
إمامٌ تَدانَى رَأفةً، وسَما بِه، إلى المجدِ، بَيتٌ، طاولَ النَّجم، أرْوعُ
تَجَلَّى، ومن بَطْحاءَ مكّةَ حَنَّةٌ إليه، ولِلْبَيتِ الحَرامِ تَطَلُّعُ
ترى لِقُرَيشٍ فيه بَرقَ مَخيلةٍ يَلُوحُ، وعِرْقاً للخِلافةِ يَنْزَعُ
أَما وأيادٍ أنْطَقَتْنِي بِحَمْدِه، وقد طَوَّقتْنِي، والحمامةُ تَسجَعُ
لئِن هُزَّ من أرْجاءِ حِمصَ، مَسَرَّةً، حديثٌ بمَلْقاهُ إليها يُرَجَّعُ[2]
لقد نابَ مِنَّا، والخُطوبُ مُمِضَّةٌ، وَشِيكُ نَواهُ، والحوادِثُ تُوجِعُ
وفارَقَني صَبري لِذِكْرى فِراقِه؛ وشافَهَني، قبلَ الوَداعِ، تَوَدُّعُ
وكنتُ جَمادَ العينِ، أجْهَلُ ما البُكى، فعَلَّمني داعي النَّوى كيفَ تَدمعُ
فأستَودعُ اللهَ الأميرَ ومُهجةً أُشَيِّعُها في مَنْ، هُناك، أُشيِّعُ
وهُنِّئْتَها من دارِ مُلكٍ، وهُنِّئتْ بِه، مِلكاً، واللهُ يُعْطِي ويَمْنعُ

(١٥٢)
أقلِّبُ طَرْفي . . .

أَجَبْتُ وقد نادى الغَرامُ، فأسْمَعا، عَشِيَّةَ غنَّانِي الحَمامُ، فرَجَّعا[3]
فقُلتُ، ولِيَ دَمعٌ تَرَقْرقَ، فانْهَمى يَسِيلُ، وصَبرٌ قد وَهى، فَتَضَعْضعا[4]
أَلا هَلْ، إلى أَرضِ الجَزيرةِ، أَوْبَةٌ، فأسْكُنَ أَنْفاساً وأَهْدأَ مَضْجَعا

(١) الأوشال: جمع وشل القليل من الدمع.
(٢) أراد بـ «حمص»، إشبيلية.
(٣) رجّع: ردّد الغناءَ ونحوه.
(٤) انهمى: انسكب ـ وهى الصبر: ضعف وتلاشى.

وأَغْـدُو بِـوادِيهـا، وقـد نَضَـح النَّـدى مَعاطِفَ هاتيكَ الرُّبى، ثُمَّ أَقْشَعا[1]
أُغــازِلُ فيهــا لِلغــزالَــةِ سُنَّــةً، تَحُطُّ الصَّبا عنها، من الغيمِ، بُرقُعا[2]
وقد فَضَّ عِقدَ القَطرِ، في كلِّ تَلْعةٍ، نسيــمٌ تَمَشَّــى بينهــا، فَتضـوَّعــا[3]
وبـاتَ سَقيـطُ الطَّـلِّ يَضـرِبُ سَـرْحَـةً تَــرِفُّ بِــواديهــا، ويَنضَــحُ أَجْـرَعــا
وأَيــنَ فِنــا دارٍ إِلــيَّ حبيبَــةٍ، وحسبُـكَ مُصطـافـاً، هنـاك، ومَـرْبَعـا
لقـد تـركتنِي بيـن جَفـنٍ جَفـا الكَـرى، وجَنــبٍ تَقَلّــى، لا يُـلائِـم مَضْجعـا
أُقَلِّـبُ طَـرفِـي فـي السَّمـاءِ، لعَلَّنــي أَشِيــمُ سَنــا بَــرْقٍ، هُنــاكَ، تَطَلَّعــا

(١٥٣)

أَذِنَ الرّحيلُ

أَذِنَ الــرَّحيــلُ بِلُقْيَــةٍ لِــوَداعِ؛ إنَّ الليــالــي نَــزْرةُ الإمْتــاعِ
فـأطَلْـتُ عَـضَّ أنـامِلـي أسفـاً علـى زمــنٍ، خــلا منــه، قصيــرِ البــاعِ
لــم يَنْفَصِــمْ عــن ضَمَّــةٍ لإقــامــةٍ، إلاَّ إلــى تَعنيقَــةٍ لِــزَمــاعِ[4]

(١٥٤)

أشيمُ سَناهُ

يصف وميض البرق وذيول السحاب والليل نديّ الجناح

أَرِقْــتُ، وقــد نــامَ الخَلِــيُّ لِنــازِحٍ، تَشَظَّتْ حَصاة القلب، في حبه، صَدْعا
ومــا شــاقنــي إلاَّ ومِيــضُ غمــامــةٍ، تَطَلَّــعَ مـن نَجْـدٍ، فحَيَّـا اللِّـوى رَبْعـا
أَشِيــمُ سَنــاهُ، والسمــاءُ مُغيمَــةٌ، كما اغرورَقَتْ عَيني ، لرؤيتِه ، دَمعا
فـذكَّـرَنـي، والليـلُ يَنْـدى جَنـاحُـه، بِمَعْطِفِــه خَفْقــاً، ومَبْسِمِــه لمَعْــا

---

(١) اقشع : انكشف وتبدّد.
(٢) السنّة (هنا): الصورة، الشكل.
(٣) تضوّع النسيم: انتشرت رائحته.
(٤) لم ينفصم: لم ينقسم أو يتفرّق ـ الزماع: العزم على الأمر.

ومَسْحَبِ ذَيلٍ للسَّحاب بذي الغضا، بَرُودِ رُضابِ الماء، أحوى لمى المرعى[1]
فقُل في أَتِيٍّ قد تهادى، كأنَّه، إذا ما ثَنى أعطافَه، حيّةٌ تَسْعى[2]
وماءِ مَسِيلٍ سائِلٍ لِقَرارةٍ، فبَينا ترى منه حُساماً ترى دِرْعا

(١٥٥)

شيّد ورفّع

قالها يمجد مكارم الأمير أبي إسحاق: ويعدّد مناقبه

سجَعْتُ، وقد غنَّى الحَمامُ فرَجَّعا، وما كنتُ، لَولا أنْ يُغَنِّي، لأسْجعا
وأنْدُبَ عَهداً بالمُشقَّرِ سالِفاً، وَظِلَّ غمامٍ، للصَّبا، قد تقشَّعا[3]
ولم أدرِ ما نَبكِي: أرَسْمَ شَبيبةٍ عفا، أَمْ مَصِيفاً، مِن سُلَيْمَى، ومَربَعا
وَأَوْجَعُ تَوديعِ الأحِبَّةِ فُرقَةً، شَبابٌ على رُغْمِ الأحبَّةِ ودَّعا
وما كانَ أَشْهى ذلك اللَّيلَ مَرقَداً؛ وأَنْدى مُحيَّا ذلك الصبحِ مَطْلِعا
وأقصَرَ ذاك العَهدَ يَوماً وَلَيلةً؛ وأَطْيَبَ ذاك العَيشَ ظِلاًّ ومَرتَعا
زمانٌ تقضَّى، غيرَ عهدِ مَحاسِنٍ، تسُومُ حَصاةَ القلبِ أنْ تَتصدَّعا
تحوَّلْتُ عنه لا اختياراً، ورُبَّما وَجِعتُ، على طول التَّلَدُّد، أخدَعا[4]
ومَن لي بِرَدِّ الرِّيحِ مِن أَبْرَقِ الحِمى، وريَّا الخُزامى من أجارعِ لَعْلَعا؟[5]
وقد فاتَ ذاك العَهدُ إلاَّ تَذكُّراً لَواني، على ظهرِ المَطيِّ، تَوَجُّعا
وكُنتُ جَليدَ القلبِ، والشَّملُ جامعٌ، فما انفَضَّ حتَّى حارَ، فارفَضَّ أدمُعا
وبَلَّتْ نِجادي عَبرةٌ مُستَهِلَّةٌ، أُكفكِفُ منها بالبَنانِ تَصَنُّعا[6]

---

(١) ذو الغضا: علم على موضع.
(٢) الأتيّ: السيل.
(٣) المشقّر: موضع ـ تقشع الغمام: تبدّد.
(٤) قوله: لا اختياراً: أي بدون إرادة ـ الأخدع: وريد في العنق.
(٥) الإبرق: موضع أرضه غليظة ـ الأجارع: الأرض الماحلة التي لا تنبت زرعاً ـ لعلع: اسم جبل.
(٦) النجاد: محمل السيف.

وإنّـي، وعَينـي بـالظَّـلامِ كَحيلَـةٌ، لآبـي لِجنْبـي أن يُـلائِـم مَضجَعـا
وأُكبِـرُ شـأنـاً أنْ أرى الصُّبـحَ، أبْيَضـاً، بعيـنٍ تَـرى رَبْـعَ الشَّبيبَـة بَلْقَعـا
كـأنّـي لَـمْ أذهَـب مـعَ اللَّهـوِ لَيلَـةً؛ ولَـمْ أَتَعـاطَ البـابِلِـيَّ المشَعشَعـا[1]
ولَـمْ أتَحـامـلْ بَيـنَ ظِـلٍّ بسَـرحَـةٍ، وَسَجْـعٍ لغِـرِّيـدٍ، ومـاءٍ بـأجـرَعـا
ولَـمْ أرِمْ آمـالـي بـأزْرَقَ صـائِـبٍ، وأبْيـضَ بَسّـامٍ، وأسْمـرَ أصْلَعَـا
وأبلَـقَ خَـوّار العِنـانِ، مُطَهَّـمٍ، طَويلِ الشَّوى والسّاق، أقوَدَ، أتْلَعا[2]
جَـرى وَجَـرى البَـرقُ اليَمـانـي عَشِيَّةً، فـأبْطـأ عَنـهُ البَـرقُ عَجـزاً، وأسـرَعـا
كـأنَّ سَحـابـاً أسْحَمـاً، تحـتَ لِبْـدِهِ، يُضـاحِـكُ عَـن بَـرقٍ سَـرى، فَتَصـدَّعـا
وحَسْـبُ الأعـادي مِنـهُ أن يَـزجُـروا بـه، مُغيـراً، غُـرابـاً صَبَّـحَ الحَـيَّ، أبْقَعـا
كـأنَّ على عِطفَيـهِ، من خِلَـعِ السُّرى، قميـصَ ظَـلامٍ بـالصَّبـاحِ تَـرَقَّعـا
رَكَضْـتُ بـهِ بَحـراً تَـدفَّـع مـائِحـاً؛ وأقبَلْـتُ أُمَّ الـرّألِ نَكْبـاءَ زَعـزَعـا[3]
يُـؤَلِّـلُ مِـن أُذنٍ فـأذنٍ تَشـوُّفـاً إلى صَرخةٍ من هـاتِفٍ، أوْ تَطَلُّعـا[4]
كـأنَّ لـه، مِـن عـامـلِ الرُّمـحِ، هـاديـاً مُنيفـاً، ومِـن ذُلَـقِ الأسِنَّـةِ مِسمَعـا[5]
فسَكَّنـتُ منـه بـالتَّغَنّـي على السُّرى، أُمَسِّـحُ مِـن أعْطـافِـه، فتَسَمَّعـا
ولمّـا انتَحـى ذِكْـرَ الأميـرِ استَخَفَّـه، فخَفَّـضَ مِـن لَحـنِ الصَّهيـلِ، وَرفَّعـا
حنينـاً، إلـى المَلْـكِ الأغَـرِّ، مُـرَدَّداً، وشَجْواً، على المَسرى القَصِيِّ، مُرجَّعا
ففـي حُـبِّ إبـراهِيـمَ أعـربَ صـاهِـلاً؛ وفـي نصـرِ إبـراهِيـمَ كَـرَّ تَشَيُّعـا
مَليـكٌ تَبـاهـى الحَمْـدُ وَشْيـاً مُـذَهَّبـاً بـه، وتَـراءَى المَجـدُ تـاجـاً مُـرَصَّعـا

---

(١) البابلي: خمرة بابل.
(٢) خوّار العنان: غير صعب الانقياد ـ الشوى: الأطراف ـ الأقود: القوي العنق ـ أراد بالأتلع: الفرس الطويل العنق.
(٣) مائحاً: مختالاً ـ الرأل: ولد النعامة ـ الزعزع: الريح الشديدة الهوجاء.
(٤) يؤلّل الشيء: يحدّد طرفه.
(٥) الأسنة الذلق: الحادّة.

غَشِيتُ بِهِ أَنْدى مِنَ المُزنِ راحَةً، وأَطْيَبَ أَفْياءً، وأَمْرَعَ مَرْبَعا
طَمى الجُودُ في يُمناهُ بَحراً، ورُبَّما تَدَفَّقَ في أَرجائِها فتَدَفَّعا
وأَعْدى نَداهُ الغَيثَ، فانهلَّ واكِفاً؛ وَحسبُكَ مِن سُقياهُ أَنْ سَجَما مَعا
فرُبَّ حَديثٍ، عن عُلاهُ، سَمِعتُه، وما طائِرُ البُشْرى بأحسَنَ مسمَعا
فيا شائِمَيْ بَرقٍ تَوضَّحَ مَوْهِناً، وَقعقَع إرعاداً بنَجدٍ، فأطْعما[1]
إذا كَفَّ، من قطريكما، عارض الندى، وَراقَكُما برقُ البَشاشَةِ، فارتَعا
فإنَّ أَبا إِسْحاقَ أَخْصَبُ تلعَةً، وأشهى نَدى ظِلٍّ، وأَعْذَبُ مَكرعا
وحَسبُكُما أَنْ قد تَأَسَّى به الحَيا، فعاوَدَ مِن رُحماه ما كانَ أَقلَعَا
وعَزَّ الهُدى مِنه بأمجدَ أَوْحَدٍ، طويلِ نِجادِ السيفِ، أَبْلَجَ، أَروَعا[2]
أَحَلَّ به العودَ السَّليبَ، سماحةً، وأَحْرَمَ مَطرُورَ الظُّبا لا تَورُّعا
إذا دَبَّ أَخفى من خيالِ مَكيدةٍ، تَصوَّبَ أَسْرى مِن شِهابٍ وأَطلَعا
وما السيفُ، من كفِّ الكَميِّ مجرَّداً، بأسطى، وراءَ النَّقعِ، منه وأَسْطَعا
دَعا بِاسمِه داعي الحَفيظةِ والنَّدى، فلَبَّى على شَرخِ الشَّبابِ وأَهْطعا[3]
وهَبَّ، كما هَبَّ الحُسامُ، شَهامةً؛ وعَبَّ، كما عَبَّ الخِضَمُّ، تبَرُّعا
وجَرَّ بهِ ذَيلَ الخَميسِ ابنُ غابةٍ، تَردَّى غُلاماً بالعُلى، وتَلَفَّعا[4]
وداسَ العِدى رَكضاً وأَجرى إلى الوغى بأطْوَعَ من يُمناه فِعلاً، وأَطْبَعا
فلَمْ يُدرَ أَيّ منهما النَّصلُ مَنطِقاً فَصيحاً، وإِفرِنداً كَريماً، ومَقطَعا
فشَيَّدَ من ذاتِ المَكارِمِ وابْتَنى؛ ورَفَّه في جَنبِ الإلَهِ وَرفَّعا
وخَفَّضَ من صِيتِ الأبيِّ وصَوتِه؛ وزَلزَلَ مِن رُكنِ العَصيِّ وضَعضَعا
وأَلقَتْ إليه، بالمَقادةِ، قادةٌ، تَطامَنَ، مِن أَعناقِها، ما تَرَفَّعا

(١) توضّح البرق: لمع ـ موهناً: في فترة من الليل.
(٢) طويل نجاد السيف: كناية عن الفروسية.
(٣) أهطع إهطاعاً: أسرع.
(٤) الخميس: الجيش ـ ابن غابة: كناية عن الأسد، والمقصود ممدوحه.

وذَلّـل، مـن أخـلاقِـه، كـلُّ رَيِّـضٍ، فـأصبَـحَ خَـوَّارَ الشَّكِيمـةِ طَيِّعـاً[1]
فَمَـن مُبْلِـغُ الأيـامِ عَنِّـيَ أَنَّنِـي تَبَـوَّأْتُ منـه، حيـثُ شِئـتُ، تَمَتُّعـا
وطِـرتُ ثَنـاءً، واطَّلعـتُ ثَنِيَّـةً، فـأشْرفـتُ إبضاعـاً وأشرفـتُ مَـوضِعـا[2]
وهَـل بقِيَـتْ لِلنَّفـسِ إلاَّ اطِّـلاعـةٌ إلـى القَلَـمِ الأعلـى، يَخُـطُّ مُـوَقِّعـا؟
فمـا القمـرُ السَّـاري بـأجَمـلَ غُـرَّةً؛ ولا الـوابِـلُ الغـادي بـأكـرمَ مَصْنَعـا
فهُنِّئْـتَ عيـداً، قـد تلَقَّـاك، قـادمـاً، ولـم يـكُ لـولا أَنْ طَلَعْـتَ لِيَطْلُعـا
وحسبُـكَ جَـدّ قـد أَظَلَّـكَ قـادِمـاً، فمـا هُـو إلاَّ أن تَقـولَ، فيَسْمَعـا
وحيَّـاك مـن فَـرعٍ لأشـرَفِ دَوحـةٍ، نَسيـمٌ، كـأنفـاسِ العَـذارى، تَضـوَّعـا
يُلاعِبُ، من خُوطِ الأراكة، مَعطِفاً؛ وَيَمْسَح، من مَسرى الغَمامةِ، مَدمَعا

(١٥٦)

إليْكها غرَّاء

قال ابن خفاجة هذه القصيدة وكتب بها إلى ابن عائشة

مِـن لَيلـةٍ للـرَّعـدِ فيهـا صَـرخَـةٌ، لا تُستَطـابُ، ولِلحَيـا إيقـاعُ[3]
خَلَعـتْ علـيَّ بِهـا، رِداءَ غَمـامَـةٍ، رِيـحٌ تُهَلهِلُـهُ، هُنـاكَ، صَنـاعُ[4]
والصُّبـحُ قَـد صَـدَعَ الظَّـلامَ، كـأنَّـه وجْـهٌ وضـيءٌ، شَـفَّ عنـه قِنـاعُ
فَـرفلْتُ فـي سَمَـلِ الـدُّجى، وكـأنَّمـا قَـزَعُ السَّحـابِ، بِجـانِبَيـه، رِقـاعُ[5]
وَدفَعتُ في صدر الدُّجى عن مطلَبٍ، بَيني وبَيـنَ الـدَّهـرِ فيـهِ قِـراعُ
وقَبَضـتُ ذَيلـي رَغبَـةً عـن مَعشَـرٍ عُـوجِ الطِّبـاعِ، كـأنَّهُـم أَضْـلاعُ

---

(١) أصبح خوار الشكيمة: أي بات واهياً وصار سهل الانقياد.

(٢) الثناء: المدح والإطراء ـ الثنية: المكان العالي ـ الإبضاع: مصدر ابضع في حديثه: جعله بيناً وبليغاً.

(٣) الحيا: المطر ـ الإيقاع (هنا): صوت سقوط المطر.

(٤) الصناع: البارعة في صنعتها.

(٥) السمل: الثوب البالي والجمع أسمال ـ قزع السحاب: قطعه.

جارِينَ في شَوطِ العِنادِ، كأنَّهُم سَيلٌ، تَلاطَمَ موجُهُ، دَفَّاعُ
يَرْمُونَ أعطافي بنَظرَةِ إحنَةٍ وُقِدَت، كما تُذكي، العُيونَ، سِباعُ
أَفرَغتُ من كِلَمي، على أكبادهِمْ، قَطراً، لهُ أسماعُهُمْ أقماعُ
ووَصَلتُ ما بَيني وبَينَ مُحمَّدٍ، حتى كأنَّا مِعْصَمٌ وذِراعُ
فظَفِرتُ منه، على المشيبِ، بصاحبٍ خَلَفِ الشبابِ، فلي إليهِ نِزاعُ
قد كُنتُ أُغلي في ابتياعِ وَدادِه، لوْ أنَّ أعلاقَ الوَدادِ تُباعُ[1]
وإليكَها غَرَّاءَ، لولا حُسنُها لمْ تُفتَقِ الأبصارُ والأسماعُ
عَبِقَت بِها، في كلِّ كَفٍّ، زَهرَةٌ، فُتِقَت لها، من خَمسِها، أقماعُ

(١) الأعلاق: جمع العلق، وهو النفيس من كلّ شيء.

قافية الفاء

(١٥٧)
طَرْفُهُ فاتِنٌ

أَيَجْنـي، علـى مُهجَتـي، طَـرفُـه، ويُخْضَـبُ مـن دَمِهـا كَفُّـهُ
وتَلـدَغُنـي تـارةً حيَّـةٌ، هنـاك، يُسـاوِرُهـا رِدفُـهُ[1]
ويَـرْشُـفُ دُونـي لِثـامٌ لـه نَـدَى أُقْحُـوانٍ، حَـلا رَشْفُـهُ[2]
فسـائِـلْ بِـرامـةَ عـن رِيمِهـا، وهـل ضَـلَّ، عـن سِربِها، خِشفُهُ[3]
وهـل خـاضَ جَـرعـاءَ وادي الغَضـا، يُـلاعِـبُ، أَفنـانَهـا، عِطْفُـهُ
فـأعـدى أراكَتَهـا هَـزَّةً؛ وأَرَّجَ، أنفـاسَهـا، عَـرْفُـهُ[4]
أمـا وهَـوى مِثلِـه جُـؤذُراً، يُطـابِـقُ مَـوصُـوفَـه وَصفُـهُ
لـه نَظَـرٌ، فـاتِـنٌ، فـاتِـرٌ، يَحُـلُّ قُـوى عَـزمَتـي ضُعْفُـهُ
لئـن هَـزَّ، أَعطـافَنـا، حُسنُـه، لقـد بَـزَّ، أَنفُسَنـا، ظَـرْفُـهُ[5]
وأَقْبَـلَ بـالحُسـنِ إدبـارُه، يُـلاَعِـبُ، خُـوطَتَـه، حِقْفُـهُ[6]

---

(١) الحيّة: الذؤابة، أي الضفيرة.

(٢) أراد بالأقحوان: الأسنان، من باب التمثيل والاستعارة ـ الرشف: المصّ بالشفتين.

(٣) الرامة: موضع ماء ـ الخشف: ولد الظبي.

(٤) الأراكة: واحدة الأراك وهو شجر يستاك به ـ العَرف: الرائحة ولا سيّما الطيّبة.

(٥) بزّ أنفسنا: غلبنا وتفوّق علينا.

(٦) الحقف: ما استطال من الرمل والمقصود القامة المديدة.

وحَفَّتْ به الخيلُ خَيَّالةً، فطارَ به، سُرعةً، طِرْفُهُ[1]
وهَشَّ، إلى رَكضِه، ظَهرُه؛ وحَنَّ، إلى كفِّه، عُرْفُهُ
وأقْوَمُ من رُمحه قَدُّه؛ وأفتَكُ من نَصلِه طَرْفُهُ
وكلٌّ هناك صريعٌ به، يَرى أنَّ عِيشتَه حتفُهُ
ألا شفَّ صدْرِيَ عن سِرِّه، كما شَفَّ، عن وجهه، سَجْفُهُ[2]
وخفَّ بقلبيَ فيه الهوى؛ ولاعَب، قُرطانَه، شِنْفُهُ[3]
فهل من سبيلٍ إلى زَورَةٍ يمُنُّ بها، ليلةً، عِطفُهُ
فيَلوي، من غصنه، هصْرُه؛ ويُمكِنُ، من ورده، قَطْفُهُ
وقد كنتُ أزري، على عفَّةٍ، ويُعجِبُني أنني عِفُّهُ

(١٥٨)
صَقيلُ المحلّى والحَلَى

وأغيَدَ مَعسُولِ اللَّمى والمَراشِفِ، صَقِيلِ المُحلَّى والحِلَى والسوالِفِ[4]
أنَخْتُ به، والبرقُ يهفُو جَناحه، ولِلديمَة الهَطلاءِ حَنَّةُ عاطِفِ[5]
فنادمتُ حُلوَ البِرِّ واللفظِ واللَّمى، جميلَ المُحيَّا والحِلى والعَوارِفِ[6]

(١٥٩)
أرَى الشَّمسَ مَكْسوفَةً

أَطَلَّ، وقد خُطَّ في خَدِّه، من الشِّعر، سَطرٌ دَقيقُ الحُروفِ

---

(١) الطِّرف: الكريم الطرفين من الخيل.

(٢) السّجف: الستار والجمع سجوف، والمراد هنا القناع الساتر للوجه.

(٣) القرطان: مثنى القرط وهو الحلق الذي يعلق في الأذن ـ الشنف: الحلي الذي يعلّق في أعلى الأذن.

(٤) المراشف: جمع مرشف وهو الثغر ـ المحلّى: موضع الحليّ.

(٥) الديمة: السحابة الممطرة ـ الهطلاء: التي تهطل الغزارة.

(٦) البرّ: الإحسان ـ اللّمى: سمرة الشفاه ـ العوارف: العطايا جمع المعروف.

فقلــت أرى الشمـــسَ مكسُــوفــةً، فَقُــومــوا نُصلّــي صــلاةَ الكُســوفِ

(١٦٠)

رُبّ يومٍ

ألا رُبَّ يـومٍ لـي بِبـابِ الـزَّخـارِفِ، رقيقِ حواشي الحُسن، حُلوِ المراشفِ
لهَـوتُ بـه، والـدهـرُ وَسْنـانٌ ذاهـلٌ، وغصنُ الصِّباريّانُ، لَدنُ المعاطِفِ[1]
أُعـاطِـي تَحـايَـا الكـاس، والأنـسُ فِتيةٌ تَخايلُ، سُودَ العُذْرِ بِيضَ السوالفِ[2]
وذيَــلُ رِداءِ الغَيــمِ يَخْفِــقُ، والصَّبــا تحُـثُّ، ومَـوجّ النَّهـر ضخـمُ الـرّوادِفِ
يَطيــرُ بِنــا فيــه شِــراعٌ، كــأنَّــه، إذا ضَـرَبتـهُ الـرِّيـحُ، أَحشـاءُ خـائِـفِ
وقد بَلَّ، أَعطافَ الرُّبى، دَمْعُ مُزنةٍ، تحَيَّـرَ فـي جَفـنٍ، مـن النَّـورِ، طـارِفِ
زمــانٌ تَــولَّــى بيــن كــأسٍ تليــدةٍ تُـدارُ، وعيـشٍ، للحَـداثَـة، طـارِفِ[3]
وشمـسٍ كَـلألأءِ الـزُّجـاجـةِ، طلقَـةٍ، وظِــلٌ كَــرَيعــانِ الشَّبيبــةِ وارِفِ

(١٦١)

في مَنْزِل القَصْفِ

ألا إنَّ خَفــــــضَ العيـــــشِ فــــي صَـــرخــــةِ العَـــزفِ،
فجـــــرِّرْ ذُيــــولَ اللَّهــــوِ فــــي مَنـــــزِلِ القَصــــفِ[4]
وغــــازِلْ بـــــه حُلـــــوَ الشَّمــــائِــــلِ واللَّمــــى،
شهِـــــيَّ الجَنــــى، لَــــدْنَ السَّجيَّـــــةِ والعِطْـــــفِ[5]
تنَفَّـــسَ بيـــن الـــرَّوْضِ، يَخطِـــــرُ، والصَّبـــــا؛

(١) والدهر وسنان: أي والدهر غافل عنه.
(٢) الصّبا: الشباب ـ الغصن الرّيان: الغضّ الطري.
(٣) التليدة: القديمة ـ طارف: حديث.
(٤) القصف: اللهو.
(٥) السجية: الطبع.

وأَشـــرَفَ بيـــنَ الغُصـــنِ، يـــأطُـــرُ، والحِقْـــفِ[1]
وقـــد عطَفَـــتْ، وهنـــاً، بـــه الكـــأسُ هـــاجِـــراً،
ومـــا كنـــتُ أَدري الكـــأسَ مـــن أحـــرُفِ العَطْـــفِ
ونـــاوَلْتُـــه صَفـــراءَ لـــم يُـــرَ صِـــرْفُهـــا،
دِهـــاقـــاً، علـــى السَّـــاقـــي، فيَلْحَـــنُ فـــي الصَّـــرفِ[2]
فقلـــت، وقـــد مـــاسَـــتْ بِعِطْفَيـــهِ نَشْـــوةٌ،
فمِـــنْ مُجْتَلـــى حســـنٍ، ومـــن مُجْتَلـــى ظَـــرفِ
أَمَـــا وبيـــاضِ الثَّغـــرِ فـــي سُمـــرَةِ اللَّمـــى،
وحُســـنِ مَجـــالِ السحـــرِ فـــي فَتْـــرَةِ الطَّـــرفِ
لئـــن كنـــتَ بَـــدْرَ التِّـــمِّ حُسنـــاً ورِفعـــةً،
فـــإنَّ دُمـــوعَ الصَّـــبِّ مـــن أَنْجُـــمِ القَـــذْفِ[3]

(١٦٢)

مِنْ أَنْجُمِ السَّعْدِ

قال يصف فرساً كريماً أشهب القوى

ومُشـرِفِ الهـادي، طـويـلِ السُّـرى، ضـافـي سَبيـبِ الـذَّيـلِ والعُـرفِ
يصـــرِّفُ الفـــارِسُ، فـــي لِبـــدِه، طِـرْفـاً بـه أسـرَعَ مـن طَـرْفِ
مُـــؤَدَّبـــاً لـــو كـــان مُستعبَـــداً، لـــم يَعْبُـــدِ اللهَ علـــى حَـــرْفِ
مـــن أَنجُـــمْ السَّعـــدِ، ولكنّـــه، يـومَ الـوَغـى، مـن أَنجُـمِ القَـذْفِ

---

(١) يأطر: يتمايل ويتمايس. **الحقف**: أراد القامة، **والحقف أصلاً**: ما استطال من الرمل.
(٢) **الدهاق**: الكأس المترعة ـ **ألحن في الصرف**: أخطأ.
(٣) **الصبّ**: المحبّ المشتاق ـ **أنجم القذف**: هي تلك التي كان العرب يعتقدون أن الشياطين يقذفونها وهم يصعدون لاستراق السمع من الملائكة.

قافية القاف

(١٦٣)
ذكرُك نَفْحَةٌ

وكتب هذه القصيدة إلى ممدوحه الفقيه أبي بكر بن مفوز:

أوري بـأفقِـك بـارِقٌ يتـألّـقُ؛ وسَقَـى دِيـارَكَ وابِـلٌ يتـدفـقُ[١]
وَتَحَمَّـلاَ عنـي إليـكَ تحيَّـةً تَنـدى علـى نَفَـسِ القَبـولِ، وتَعْبَـق[٢]
ووُقِيـتُ فيـكَ مـن الليـالـي، إنهـا غِـربـانُ بَيـنٍ بـالتَّفـرُّق تَنعَـقُ
فلقـد نـأى مـا بيننـا: فمُغَـرِّبٌ مُستَـوطِـنٌ ظَهـرَ النَّـوى، ومُشَـرِّقُ[٣]
ولئـن سلـوتَ، ومـا إخـالُـك، نـاسيـاً كـرمَ الإخـاءِ، فـإنَّنـي أتشَـوَّقُ
ويَهيجُنـي نفَـسُ النسيـمِ، إذا سَـرى، ويشُـوقُنـي فيـك الحَمـامُ الأورَقُ[٤]
فـإذا تَطَلَّـع مـن سمـائـك بـارقٌ، أو طـافَ زَورٌ مـن خَيـالِـك يَطـرُقُ
خفَقَـتْ لِـذكـرِك أَضلُعـي، فكـأنّ لـي، فـي كـلِّ جـانِحـةٍ، جَنـاحـاً يَخفِـقُ
وتمَلَّكتنـي لـوعَـةٌ مَشبُـوبـةٌ، شـوقـاً إليـك، وعبـرَةٌ تتـرَقـرَقُ
ولئـن شحَطـتَ، فـإنَّ عهـدَك زهـرةٌ تَنـدى، وذِكـرَك نَفْحَـةٌ تُتَنَشَّـقُ

---

(١) أورى (الزند): أخرج ناره ـ الوابل: المطر الشديد.

(٢) نفس القبول: الريح الجنوبية ـ تعبق: تفوح.

(٣) النوى: الفراق.

(٤) الحمام الأورق: الأبيض.

(١٦٤)
يا دَوْحَةَ العَلْياء

قدّم هذه القصيدة إلى ممدوحه أبي بكر بن الحاج:

لـِذِكـرِكَ مـا عـبَّ الخَلِيـجُ يُصَفِّـقُ؛ وبـاسمِـكَ مـا غنَّـى الحَمـامُ المُطـوَّقُ
ومن أَجلِك اهتزَّ القَضيبُ على النَّقا، وأشـرَقَ نُـوّارُ الـرُّبـى يتفتَّـقُ
ومـا ذاكَ إلاّ أنَّ خُلْقَـكَ رائِـقٌ، يُهَـزُّ، كما هُـزَّ الـرَّحِيـقُ المُعتَّـقُ[1]
حسُنـتَ غِنـاءً واجتِـلاءً وخِبـرَةً، فكُلُّـك مـومُـوقُ الحُلـى، مُتَعَشَّـقُ[2]
وأنـت لُبـابُ السَّيـفِ أمَّـا فِـرنـدُه فطَلـقٌ، وأمّـا غَـربُـه فمُـذَلَّـقُ[3]
فهـل عِلمـتْ تلـك الإمـارةُ أنَّهـا يُفـاضُ عليهـا، مـن رُوائِـك، رَونَـقُ؟
فـلا عيـنَ إلاّ وهْـيَ تَظمـأُ لـوعـةً، وإنسـانُهـا، فـي مـاءِ حُسنِـك، يَغْـرَقُ
وكـم مَنطـقٍ فَصْـلٍ، هـو الـدُّرُّ يُجتلـى على بحرِ طِرسٍ، أو هُو المِسكَ يُفتَقُ
صـدَعـتَ بـه، دون الحقيقـةِ، سُدفـةً، تنُـوب عـن الإصبـاحِ والليـلُ مُطـرِقُ
ويـا رُبَّ ليـلٍ بِتَّـه فـوق مَضجَـعٍ مُقِـضٍّ، وجَنـبٍ قـد تقَلَّـبَ يَقلـقُ[4]
يقـومُ بـك القلـبُ الأبـيُّ، وتـارةً يغـوصُ بـك الفَهـمُ الـذكـيُّ، فتُطـرِقُ
فلم تَغتمِضْ، والنجمُ قد مال سَحرَةً، فـأغفـى، وأذيـالُ الظَّـلامِ تمـزَّقُ
ولِلَّيـلِ ظِـلٌ، قـد تقلَّـص، أخضَـرٌ؛ وللصبـحِ مـاء، قـد تسلْسَـل، أزرَقُ
وجَـدُّكَ يَستَـولـي، ورأيُـك يَنتَضـي، وعـزمُـك يَستَجري، وسَعـدُك يَسبُـقُ[5]
ومـا صـدَّتِ الحسنـاء عنـك زهـادَةً، ولكـنْ زَهـاهـا أنَّهـا تُتَعَشَّـقُ[6]

---

(١) الرحيق: الخمر ـ المعتق: الذي عتّق، أي حفظ زمناً طويلاً حتى بات قديماً معتقاً.

(٢) موموق: محبوب ومثلها متعشق.

(٣) الفرند: جوهر السيف ـ غرب السيف: حدّه ـ مذلّق: الممدّد الطرف.

(٤) المضجع المقض: الخشن النّابي.

(٥) الجدّ: الحظ ـ ينتضي: مضارع انتضى (السيف): استلّه، أخرجه من غمده ـ يستجري: أي يجعل الخيل تجري وتركض.

(٦) قيل أراد بالحسناء: القلعة أو البلدة.

فظَلَّت تَجُرُّ الذَّيلَ تِيهاً، وإنَّها … لأغلَقُ رَهناً، في هواك، وأعلَقُ[1]
وإلاّ فما للقَطرِ قد فاضَ عَبرةً، … هناك، وما للرَّعدِ قد بات يَشْهَقُ؟
تخِفُّ بها ذِكراك، حتى كأنَّما … يطيفُ بها، من مَسِّ حُبّك، أولَقُ[2]
وتُهدي إليكَ الرِّيحُ عنها تحيَّةً، … تَفوه بما تحتَ الضُّلوعِ فتَنطِقُ
فَغازِل بها، خَلفَ الحِجالِ، عقيلةً، … قُصارُ هَواها رَشفَةٌ وتعنُّقُ
يزُرُّ عَليها الصبحُ جَيبَ قميصِه، … فتكرَعُ في ماءٍ بها يتدفَّقُ
وتَسحَبُ فيها الشمسُ ذيلَ عَشيِّها، … فتَشربُ من خمرٍ، هناك، تُروَّقُ
فدُونكها حسناءَ لا أنَّ ربَّها … قَلاها، ولكنْ رُبَّ حَسنا تُطَلَّقُ
تروقُ، فما تدري الرِّكابُ: أبلدةً … تؤمُّ بها، أم كوكباً يتألَّقُ
وتأرَجُ أنفاساً، وتَندى غَضارةً، … فتحسبُها نُوَّارةً تتفتَّقُ[3]
فَخيِّم بمَثوى المجدِ والسَّعدِ، ناظماً، … على نَحرِها، عِقداً، من الخيل، يُنسَقُ
تَضيقُ به أنفاسُها ويَزينُها؛ … وأنفِسْ به عِلقاً يَزينُ ويَخنُقُ
فهل من نسيمٍ قد تضوَّع يَنتَحي … مع الفجرِ، أيو بَرقٍ تألَّق يَخفِقُ؟
يُهنِّىء عنّي كُورةَ الشرقِ إنها … لبَحرِك شَطٌّ، أو لشَمسِك مَشرقُ
تَطابقتُما مرأى جميلاً ومَخبَراً، … فها أنتما تاجٌ، يروق، ومَفرِقُ
لكَ اللهُ من سَهمٍ، يُسدِّدُ سَعيَه، … إذا طاشَتِ الألبابُ، رأيٌ مُوَفَّقُ
يهُزُّ به، من حِميَرٍ، فرعَ سؤدَدٍ، … كريمَ الجَنى والظِّلِّ، يَسمو ويَسمُقُ[4]
يقلِّب عيناً للحياءِ مريضةً … تَغُضّ، وأُخرى للذكاء تُحدِّقُ

---

(١) يقال أغلق الرهن: أي صار المرتهن ملكاً للمرهون عنده لعجز الراهن عن افتكاكه ـ يقول: إن هذه القلعة باتت رهينة حب الممدوح وقد تعذر افتكاكها ـ أعلق: أكثر تعلقاً أي حباً وشغفاً.

(٢) الأولق: الهوس الشديد، الجنون.

(٣) النوّارة: الزهرة ـ تتفتق: تتفتح أكمامها.

(٤) حمير: بنو حمير، من قبائل اليمن ـ السؤدد: المجد ـ يسمق ـ يعلو ويرتفع.

لــه همَّــةٌ تُملِــي عليــه، وعــزمــةٌ ... تَخُــطُّ بــأطــرافِ الــرِّمــاحِ وتَمشُــقُ (١)
تُجــرِّبــه، فــي حــومــةِ الحــرب، حيَّــةٌ ... تُنَضْنِـضُ، أو فَتْخـا، هنـاك، تُحلِّـقُ (٢)
وتَنفــخ ريــحُ النصــرِ فــي قَبَــسٍ بــه، ... فتَخــرُقُ أَقطــارَ العَجــاجِ، وتُحــرِقُ
وينطِــقُ عــن سيــفٍ، بِفَكَّيــه، صــارِمٍ؛ ... ويــرمُــق عــن سهــمٍ، بجفنَيــه، يَمــرُقُ
ويَصــدعُ شمــلَ الليلــةِ الخَبــلِ، كلمــا ... بــدا فيلــقٌ مــلءُ الفضــاءِ وفَيْلَــقُ (٣)
فناهضْ أَبا يَحيى، بعزمَتك، الصَّبا، ... تُباري بك العِيسُ المَهاري، فتعْنَقُ (٤)
شهــوداً بــأوضــاح المَســاعــي، كــأنمــا ... جَرى منك، في صدرِ الكتيبةِ، أبلقُ (٥)
وســايِــرْ أخــاكَ البَــدرَ يُهــوي ويــرتقــي ... جَــلالاً، ويــربَــدُّ انكشــافــاً ويُشــرقُ
وسُحبُــك شتَّــى مــن عَــذابٍ ورحمــةٍ: ... فمِــن عــارضٍ يَسقــي وآخــرَ يَصعَــقُ
وكيــف تَهــابُ الليــثَ يَــزأرُ صَــولــةً، ... فيُــرعِــدُ، أو يَــرنُــو إليــك وَيُبــرِقُ
ودُونــكَ، مــن فَتــقِ المثقَّــف، زُبيَــةٌ ... تَهــولُ، ومــن خَــرق المهنَّــدِ خَنــدَقُ؟ (٦)
فخُذها، كما حيَّتْ بها الهندُ مِسكَةً، ... تعطِّــر أَنفــاسَ الــرُّواةِ، فتَعْبَــقُ
وعَنبــرةً شَهبــاء تَحمِــلُ نَفحــةً، ... تنَفَّــسُ فــي صــدرِ النَّــدِيِّ فتُنشَــقُ
تُشَــبّ لهــا نفــسُ العــدوِّ، فكلمــا ... أرى هــذه تُــذكــى أَرى تلــك تَحــرُقُ
أَسَلــتُ بهــا فــي جَبهــةِ الــدَّهــرِ غُــرَّةً، ... جــرى الحُســنُ مــاءً فــوقهــا يَتــرقــرَقُ
تُــرنُّ بهــا الــرُّكبــانُ شــرقــاً ومغــربــاً، ... فتُشئِــم طَــوراً، بــالثنــاء، وتُعــرِقُ (٧)
وحسبُــك مــن شِعــرٍ يكــاد، لُــدونَــةً، ... يُغنَّــى بــه النبــتُ الهشيــمُ، فيُــورِقُ

---

(١) العزمة: الإرادة الماضية ـ تمشق: تسرع طعنا.
(٢) الفتخا: مخفف الفتخاء، وهي العقاب، من الطيور الجارحة.
(٣) الفيلق: الجيش أو القطعة منه.
(٤) العيس: الإبل ـ تعنق: تسرع وتنشط في سيرها.
(٥) الأبلق: الأبيض.
(٦) الزبية: حفرة تعدّ لقنص الوحوش.
(٧) تشئم: تتجه نحو الشام، وتعرق: تتجه نحو العراق.

فيا دوحةَ العلياء حيَّاكَ روضةٌ، عليها رِداء، للربيعِ، منمَّقُ
لها من صَقيلِ النُّورِ ثغرٌ مُفَلَّجٌ يَشوقُ، ومن سَجعِ الحمامَةِ مَنطِقُ
وها أنا أُقريك السلامَ، على النَّوى، مع الريح تَنْدى، أو معَ الطيفِ يَطرُق

(١٦٥)
أَنْفَسُ الأَعْلاق

أَمقامُ وصلٍ أَم مَقامُ فِراقِ، فالقُضبُ بين تَصافُحٍ وعِناقِ
خفَّاقَةٌ ما بينَ نَوحِ حَمامَةٍ، هَتَفَت، ودمعِ غمامَةٍ مُهراقِ[1]
عبِثتْ بِهِنَّ يدُ النُّعامى سَحرةً، فوضَعنَ أَعناقاً على أَعناقِ[2]
أَكسَبْنَني خُلقَ الوَفاءِ، وربَّما أذكرنَني بِمَواقِفِ العُشّاقِ
ضَمّاً ولَثماً واستطابَةَ نفحةٍ، وخُفوقَ أَحشاءٍ وفيضَ مآقِ
فلوَ انَّ سَرْحةَ بَطنِ وادٍ، باللّوى، حيَّيْتُها، تُصغي إلى مُشتاقِ
لنَثَرتُ بالجرعاءِ عِقدَ مدامعي، ففَضضتُ خَتمَ الصَّبر عن أغلاقي
وأرَقتُ فضلَ صُبابةٍ لصَبابةٍ، فرفَعتُ ما أخلَقتُ من أخلاقي[3]
فإليك يا نَفَسَ الصَّبا، فلَطالما أذكى نَداكَ حَرارةَ الأشواقِ
ها إنَّ بي لَمَماً يُؤرِّقُ ناظري ألَماً، فهل من نافِثٍ، أو راقِ؟[4]
سِر وادعاً، لا تَستَطِرْ قلباً هَفا بجناحِ شَوقٍ، رِشْتَه، خفَّاقِ[5]
وإذا طَرَقتَ جَنابَ قُرطُبَةٍ، فقِف، فكَفاكَ من ناسٍ ومن آفاقِ
والثُم يدَ ابنِ أبي الخِصالِ عن العُلى، مُتشكِّراً، واضْمُمهُ ضمَّ عِناقِ

---

(١) **المهراق**: المنسكب الذي أريق، من هراق بمعنى أراق.
(٢) **النّعامى**: ريح جنوبية.
(٣) **الصُّبابة**: بقية الكأس ـ **الصَّبابة**: الشوق إلى المحبوب.
(٤) **اللمم**: المسّ من الجنون ـ **النافث**: اسم فاعل من نفث فلاناً: سحره ـ **الراقي**: الذي يستعمل الرقية وهي أن يستعان للحصول على أمر بقوى تفوق في قوتها قوى الطبيعة.
(٥) **رشت الجناح**: جعلت له ريشاً، أي ساعدته على الطيران، والعبارة مجازية.

وافتُـق بِنـادِيـه التحيَّـةَ زَهـرةً، نَفَّـاحـةً تُغنـي عـنِ استِنشـاقِ
كـالشمس يـومَ الـدَّجـنِ تَنـدى مُجتَنـى ظِـلٌّ، وتحسُـن مُجتَلـى إشـراقِ[1]
واهـزُزْ بهـا مـن معطَفَيـه، فـإنَّمـا شَعشَعْتَهـا كـأسـاً بيُمنـى سـاقِ
والنَّـورُ يَـرقُـم مـن بسـاطِ بَسطـةٍ؛ والغَيـمُ يَنشُـرُ مـن جَنـاح رِواقِ
وسِـم الحمـامـةَ أن تُجيـبَ تَغَنِّيـاً، عـن منطِـقٍ مـاضٍ، بِلُبِّـي، بـاقِ
مُتَـركِّـبٍ عـن نَفحَـةٍ فـي لَفحَـةٍ؛ وَكفـاكَ مِـن كـاسٍ، هنـاك، دِهـاقِ
وخِطـابِ بَـرٍّ نـابَ عنـه سِفـارةً؛ إنَّ الخِطـابَ، علـى البُعـادِ، تَـلاقِ
تَنـدى علـى كَبِـدي لُـدُونَـةُ مَنطـقٍ، فتَفِـي بحُـرٍّ تَـرائـبٍ وتَـراقِ
فهنـاك أرْوعُ مِـلءُ رُوعِ المُجتلـي، يَقظـانُ مُـوثَـقُ عِقـدةِ الميثـاقِ[2]
هَـزِجَتْ بـه، هَـزِجَ الحَمـامِ، مَحـامدٌ، حَملـتْ حُـلاهُ مَحمَـلَ الأطـواقِ
لَـدْنُ الحـواشِـي، لـو أطَـلَّ غَمـامـةً لخَـلا مـنَ الإرعـادِ والإبـراقِ
شَـرُفَـت بـه فُقَـرُ الثنـاءِ، وربَّمـا تتَشـرَّف الأطـواقُ بـالأعنـاقِ
جـمُّ العُلـى، مَسَحَـتْ بـه كـفُّ العُلـى عـن حُـرٍّ وَجـهٍ مُطهَّـمٍ سبَّـاقِ
يُـزهـى بـأعـلاقِ المعـالـي، حِليـةً، إنَّ المعـالـي أنفَـسُ الأعـلاقِ
طـالَـتْ بـه، رُمـحَ السمـاكِ، يَـراعـةٌ، تستضعِـفُ الجَـوزاءَ شَـدَّ نِطـاقِ[3]
مـا خَـطَّ، مـن غُـررِ الحِسانِ، وضـاءةً، حتـى استمَـدَّ لهـا مـن الأحـداقِ
مُغـرًى بـأغـراضٍ، تَهُـولُ بـراعـةً، ورَفيـفِ ألفـاظٍ، تشُـوقُ، رِقـاقِ
تَهفـو بـه، طَـوراً، قُـدامـى بـارِقٍ فيهـا، وآونَـةً، جَنـاحُ بُـراقِ[4]
أَقسَمـتُ لـو أخـذَ الهِـلالُ كمـالَـه عنـه، لتَـمَّ تَمـامَ غيـرِ مَحـاقِ[5]

---

(١) يوم الدّجن: يوم المطر الكثير.
(٢) الروع: القلب ـ يقظان: يقظ، شديد الوعي.
(٣) السماك: هو السماك الرامح وهو من برج العذراء ـ الجوزاء: من الأبراج.
(٤) البراق: هي المطيّة التي امتطاها النبي في ليلة المعراج وهي في الحجم بين الحمار والبغل.
(٥) المحاق: آخر الشهر القمري.

وكَفاك من غُصنٍ، لسَطرِ بلاغةٍ، متَناسقِ الأثمارِ والأوراقِ
مُستبدِعٍ حُسناً، فمن مَعنًى له حُرٌّ، ومن لفظٍ رقيقٍ رواقِ[1]
مُتَولِّدٍ عن خاطرٍ مُتَوقِّدٍ، لهباً، وطبعٍ سَلسلٍ دَفَّاقِ
ولو كان يُرهَفُ صارِماً، لهَزَزْتُه في ماءِ إفرِندٍ، له، رَقراقِ

(١٦٦)

أندُب المجْدَ والنّدى

قال هذه المرثية نادباً الوزير أبا محمد عبد الله بن ربيعة:

أَلا ليتَ لَمحَ البارقِ المُتألِّقِ، يلُفُّ ذُيولَ العارِضِ المُتدفِّقِ
ويركَبُ، من ريحِ الصَّبا، متنَ سابحٍ كريمٍ، ومن ليلِ السُّرى، ظَهرَ أبلَقِ
فيُهدي إلى قبرٍ، بحِمصَ، تحيَّةً متى تَحتَمِلها راحةُ الريحِ تَعبَقِ
فعندي لحِمصٍ أيُّ نَظرةِ لوعةٍ، وللنجمِ، وهناً، أيُّ نَظرةِ مُطرِقِ[2]
حناناً إلى قبرٍ، هنالك، نازحٍ، وشِلوٍ، عَثا فيه البِلى، مُتمزِّقِ[3]
وكيف بِشكوى ساعةٍ أشتَفي بها، ودونَ التَّلاقي كلُّ بَيداءَ سَملَقِ؟[4]
فهل عند عبد الله ما بات يَنطوي عليه الحشا، من لوعةٍ وتحرُّقِ؟
وقد أذكَرَتني العهدَ بالأنس أيكةٌ، فأذكَرْتُها نَوحَ الحَمامِ المُطَوَّقِ[5]
وأكبَبْتُ أبكي بين وَجدٍ، أَظلَّني، حديثٍ، وعهدٍ، للشبيبةِ، مُخلِقِ
وأَنشَقُ أنفاسَ الرياحِ تَعلُّلاً، فأعدَمُ فيها طِيبَ ذاك التَّنَشُّقِ
ولمَّا عَلَتْ، وجهَ النهارِ، كآبةٌ، ودارت به، للشمسِ، نظرةُ مُشفِقِ

---

(١) **الرواق**: الصفاء.
(٢) **اللوعة**: حرقة الحزن ـ **وهناً**: ليلاً ـ نظرة المطرق: أي نظرة الصامت ورأسه منحن نحو الأرض.
(٣) **عثا فيه البلى**: بالغ في إفساده ـ **البِلى**: من بلي الثوب، أي رثّ.
(٤) **البيداء**: الفلاة جمع بيد ـ **السملق**: القاع الصفصف.
(٥) **الأيكة**: الشجر الكثير الملتف ـ **الحمام المطوّق**: واحدته المطوّقة وهي ذات الطوق.

عطَفتُ على الأجداث أَجهَشُ، تارةً، وأَلْثُمُ، طوراً، تُربَها من تَشوُّقي
وقلتُ لمُغفٍ لا يهُبُّ منِ الكَرى، وقد بِتُّ من وجدٍ بليلِ المؤرَّقِ[(١)]
لقد صدَعتْ أيدي الحوادثِ شَملَنا، فهل مِن تلاقٍ بعد هذا التَّفرُّقِ؟
وإن يكُ، للخِلَّينِ، ثَمَّ، التقاءَةٌ، فيا لَيتَ شِعري أَين، أَو كيفَ نلتَقي؟
فأعزِزْ عَلَينا أَنْ تَباعدَ بَينَنا، فلمْ يَدرِ ما أَلقى ولم أَدرِ ما لَقِي
فها أَنا وقْفٌ بينَ دَمعٍ وزَفرَةٍ، أَرى ذاكَ يُهوي حيثُ هاتِيكَ تَرتَقي
فَسَقياً لِقَبرٍ بينَ أَضلُعِ تُربَةٍ، مَتى أَتَذَكَّرْهُ بها أَتَشَوّقِ
وأَلوي ضُلوعي أَندُبُ المَجدَ والنَّدى بأَفصَحِ دَمعٍ، تحتَ أَخرَسِ مَنطِقِ
إِذا قُمتُ أَخطُو خُطْوةً بِفِنائه، تعثَّرْتُ في دَمعٍ بهِ مُتَرَقرِقِ
ومَهما لَثمتُ الأرضَ شوقاً لِلَحدِه، وجَدتُ ثَراها طيِّبَ المتنَشَّقِ
ومِثليَ يَبكي للمُصابِ بِمِثلِه، فإنْ أخلَقَ الصَّبرُ الجَميلُ فأخلِقِ[(٢)]
فقد كانَ، يومَ الرَّوعِ، أَبيَضَ صارِماً بكفِّي، ويومَ الفَخرِ، تاجاً بِمفرِقي
أَغَرُّ طَلِيقُ الوجهِ يهتَزُّ للعُلى، ويَمضي مَضاءَ المَشرَفيِّ المذَلَّقِ
ويَستصحِبُ الذِّكرَ الجَميلَ فيَرتَدي بأحسَنَ مِن وَشيِ الرَّبيعِ، وأَعبَقِ
ويَرمي بِسهمٍ، لا يَطِيشُ، مُفَوَّقٍ، يُقَرطِسُ في يُمنى سَعِيدٍ مُوَفَّقِ[(٣)]
تَضى بينَ كَفٍّ، للسَّماحِ، مُغيمَةٍ، تَفيضُ، ووَجهٍ، للطَّلاقَةِ، مُبرِقِ
وكم لِلحَيا من أَدمُعٍ فيه ثَرَّةٍ؛ ولِلرَّعدِ من جَيبٍ عليه مُشَقَّقِ
ولِلبَرقِ مِن قَلبٍ بهِ مُتَملمِلٍ؛ ولِلنَّجمِ من طَرفٍ عليه مؤرَّقِ
كأنْ لمْ أَشِم، من بِشرِه، بَرقَ مُزنةٍ، تَصُوبُ بِوكّافٍ، من الجود، مُغدِقِ[(٤)]
ولا قِلتُ منهُ بينَ ظِلٍّ لعَطفَةٍ تنَدَّى، ونَورٍ، للبَشاشةِ، مُونِقِ

---

(١) المغفي: النائم ـ الكرى: النوم ـ المؤرق: الذي لا ينام.
(٢) أخلق الصبر: صار خلقاً بالياً أي انعدم ـ أخلِق: أي أجدر به أن يكون كذلك.
(٣) يقرطس: يحقّق غرضه.
(٤) الجود المغدق: العطاء المتّسع.

ولـم أَلْتَفِـت مـن وَجهِـه، لَيلَـةَ السُّرى، إلـى فيلَـقٍ يَلقـى الظَّـلامَ بِفَيلَـقِ
فمـا ابـنُ شَمـالٍ بـاتَ يَهفـو، كـأنَّمـا به، خَلفَ أستارِ الدُّجى، مسُّ أَوْلَقِ[1]
سَرى بينَ دفَّاعٍ، من الوَدق، مُغدِقٍ، يَسُـحُّ، ولَمَّـاعٍ، مـن البَـرقِ، مُحـرِقِ
بـأنـدى ذُيـولاً مـن جُفـونِـيَ، مَـوهنـاً، وأهفـى جَنـاحـاً مِن ضُلُـوعي وأخفَـقِ

(١٦٧)

ثِمارُ النّارِنْج

ومَحمُـولَـةٍ فـوقَ المنـاكِـبِ، عِـزَّةً، لها نَسَبٌ، في رَوضةِ الحَزن، مُعرِقُ[2]
رأَيـتُ بمـرآهـا المُنـى كيـف تَلتَقِـي، وشَمْـلَ ريـاحِ الطيِّـبِ، وهْـي تَفَـرَّقُ
يضاحِكُها ثَغرٌ، من الشمس، واضِحٌ، ويَلحَظُهـا طَـرفٌ، مـن المـاءِ، أَزرَقُ
وتُجْلـى بهـا للمـاءِ والنـارِ صُـورةٌ، تَرُوقُ، فطرَفـي حيثُ يَغرَق يُحرقُ[3]

(١٦٨)

تَخالُ خِيلانَه كواكِب

غـازَلْتـه مـن حبيـبٍ، وجهُـه فَلَـقٌ، فمـا عـدا أَنْ بَـدا فـي خـدِّه شَفَـق[4]
وارتَـجَّ يعثُـر فـي أذيـالِ خَجْلَتِـه، غُصـنٌ، بعِطفَيـه، مـن إستَبـرَقٍ ورَق[5]
تخـالُ خِيـلانَـهُ، فـي نـورِ صفحَتـه، كواكباً، في شُعاعِ الشمسِ، تحترق[6]
عجِبـتُ، والعيـنُ مـاءٌ والحَشـا لهَـبٌ، كيـفَ التقَـتْ بهمـا، فـي جنَّـة، طُـرُق

---

(١) الدجّى: الليل ـ مسّ أولق: مسّ الجنون.
(٢) الحزن: المكان المرتفع ـ المعرق: ذو النسب المتأصل.
(٣) النار: أراد لون النار وهو لون ثمار النارنج الحمراء المعروفة بليمون أبو صفير.
(٤) الفلق: اشراقة الصبح ـ الشفق: احمرار الأفق عند الغروب.
(٥) الاستبرق: الثياب الحريرية.
(٦) الخيلان: جمع الخال وهو عبارة عن الشّامة في الخد أو موضع آخر من الجسم.

(١٦٩)
عِنْدي لوعَةٌ

يـا مُتـرَفـاً يَمشـي الهُـوَينـا، غِـرَّةً، ويَهُـزُّ أعطـافَ القضِيـب المُـورِقِ[١]
جَمعَـتْ ذُؤابتُـه ونُـورُ جَبينِـه بيـن الـدُّجُنَّـةِ والصَّبـاحِ المُشـرِقِ
هـل كـان عنـدَكَ أنَّ عنـدي لَـوعـةً، يَنبُـو لهـا طَـرفُ السِّنـانِ الأزرَقِ[٢]
طـالَـتْ مُـراقَبَـةُ الخيـال، ودُونـه، رَعْـيُ الـدُّجـى، فمتـى أنـامُ فنَلتَقـي
مـا بيـن نَحـرٍ بـالـدمـوع مُقلَّـدٍ فـرحـاً، وجِيـدٍ بـالعِنـاقِ مُطَـوَّقِ

(١٧٠)
تذوبُ عَلَيْها الحَدَقُ

لِيَهنَـكَ وافِـدُ أُنـسٍ سَـرى، فسـرَّى، وفَضْـلُ سُـرورٍ طَـرَقْ[٣]
فمـا شِئـتَ مـن مـاءِ وِردٍ بـه أَراقَ، ومـن ثـوبِ حُسـنٍ أَرَقّ
وسَـوداءَ تَـدمـى بـه مَنْحَـراً، كمـا اْعتَـرَضَ الليـلُ تحـتَ الشفَـقْ
وأُقسِـم لـو مُثِّلَـتْ، ليلـةً، لعِفْـتُ الكـرى واستطَبـتُ الأرَقِ
ستَخلَـع، مـن فَـروِهـا، ضَحـوةً، سـوادَ الـدُّجـى عـن بيـاضِ الفَلَـقِ
فيـا حُسـنَ حَضْـرٍ لهـا أَحمـرٍ، ومِئـزَرِ شَحـمٍ عليـه يَقَـقْ[٤]
ومـا رفَلَـت فـي قميـصِ الظَّـلام، ولا اشتَمَلَـت بِـرداءِ الغَسَـقِ
ولكـن تَسِيـل عليهـا القُلـوبُ هـوًى، وتـذُوب عليهـا الحَـدَقِ[٥]

---

(١) **يمشي الهوينا**: أي متمهلاً ـ **الغِرّة** (هنا): الغرور ـ **القضيب المورق**: القامة الهيفاء.
(٢) **اللوعة**: حرقة الحزن ـ **ينبو لها**: يتعثّر دونها.
(٣) **سرى**: سار ليلاً ـ **سرّى** (عن فلان): أذهب عنه الهمّ والحزن.
(٤) **اليقق**: الأبيض.
(٥) **الحدق**: العيون.

(١٧١)
ابتَسَمتْ عن فَلَق

تجــــرَّدَتْ عـــن غَسَـــقِ، وابتسمَـــتْ عـــن فَلَـــقِ[١]
وأَمكَنَـــتْ مـــن خُلُـــقٍ، مُلتَهِــــبٍ، محتـــــرقِ
ثـــم نَضَـــت، تَعثـــرُ فـــي فَضلـــةِ بُـــرْدٍ شَـــرِقِ[٢]
كمــا تـــوَلَّـــت لَيلـــةٌ تَسْحَـــبُ ذَيـــلَ الغَسَـــقِ

(١٧٢)
أَحْشاؤُها تَخْفِقُ

ولُجَّـــةٍ تُفْـــرَقُ أو تُعشَـــقُ، فمـــا تَنـــي أَحشـــاؤُهـــا تَخفِـــقُ[٣]
يسيـــرُ فيهـــا ســـائـــرٌ هـــاجَهـــا مـــن الصَّبـــا، مُـــزبِـــدُه يُقلِـــقُ[٤]
فَخِلتُنـــي، فـــي وسطهـــا، فـــارســاً قُـــرِّبَ منـــه فـــرسٌ أَبْلَـــقُ[٥]

(١٧٣)
لَهَوْتُ بها

صَحا، عَنِ اللهوِ، صاحٍ عافَهُ خُلُقاً، فقـامَ يَخْلَـعُ سِـربـالاً لـهُ خَلَقـا[٦]
وعطَّـلَ الكـأسَ مِـن شقـراءَ سـابحـةٍ، أَلا كَفـاهـا بِـرَيعـانِ الصِّبـا طَلقـا[٧]
ورُبَّ لَيلَـةِ وَصـلٍ قـد لهَـوتُ بهـا، مُغـازلاً فَلَقـاً، أو شـاربـاً شَفَقـا

---

(١) **الغسق**: أول ظلمة الليل ـ **الفلق**: طلعة الصبح.
(٢) **نضت (الثوب)**: خلعته ـ البرد: الثوب ـ البرد الشرق: الثوب المشرق، ذو اللون الزّاهي.
(٣) **تفرق**: يفزع منها، من الفرق وهو الخوف والفزع ـ **تخفق**: تختلج.
(٤) **هاجها**: أثارها، حرّكها ـ **الصّبا**: ريح الصّبا.
(٥) **الأبلق**: الفرس الذي في لونه بياض وسواد.
(٦) **الخُلُق**: الطبع ـ **الخلق**: البالي.
(٧) **الطلق**: الشوط، المدى.

لا نَنْثُرُ الدُّرَّ فيه، بيننا، كَلِماً ... حتى أُقبِّلَه، من مَبسِم، نَسَقا[1]
ورُبَّ غُرَّة عَبْرى قد شَرِقتْ بها، ... في مَوقِفٍ للنَّوى أَضرَمْتُه حُرَقا[2]
تَخالُ ما احمَرَّ من خدَّيهِ مُلتَهِباً ... بها، وما اسوَدَّ من صُدغَيهِ مُحتَرِقا

(١٧٤)
لا هَوادَة

من موقفٍ أفصَحَتْ بِيضُ السيوفِ به، ... فلا هَوَادَةَ بينَ السَّيفِ والعُنُقِ
فكم أنابيبِ خَطِّيّ به كُسِدَت، ... تَدمى، وكم سَلخِ درعٍ، بَينها، مَزِقِ[3]
وكم كُؤوسٍ من البأساءِ دائرةٍ ... على نديمٍ، من الأبطالِ، مُغتَبِقِ
والخيلُ تَفري جُيُوبَ النَّقعِ من حَرَبٍ، ... تحتَ الكُماةِ، وتُذري أَدمُعَ الفَرَقِ[4]
من أَشهَبٍ شَقَّ عنه النَّقْعُ هَبْوَته، ... كما تَفَرَّى أديمُ اللَّيلِ عن فَلَقِ[5]
وأَدهَمٍ فَضَّضَ التَّحجيلُ أَكرُعَه، ... كما تَعَلَّقَ بدءُ الصُّبحِ بالغَسَقِ[6]
وأشقرٍ سائلٍ، في وجهِه وضَحٌ، ... كما تصَوَّبَ نَجمُ الرَّجمِ في الشَّفَقِ[7]

(١٧٥)
لكلّ مرْقَبةٍ لواءُ

يا حبّذا، والبرقُ يزحَفُ بُكرةً، ... جيشَا رَحيقٍ، دونه، وحَريقِ[8]

---

(١) نثر الدر نسقاً: أي منظوماً.
(٢) عبرى: أي العين الدامعة.
(٣) أراد بأنابيب خطي: الرماح التي تصنع في بلدة الخطّ، من مرافىء البحرين ـ السلخ: الجلد ـ المزق: المطعون، المشقق.
(٤) النقع: الغبار ـ الكماة: جمع كمي الفارس اللابس السلاح ـ أدمع الفرق: أدمع أو دموع الخوف.
(٥) الهبوة: الغبار ـ تفري: تقطع، تمزق ـ الفلق: طلعة الصبح.
(٦) التحجيل: أن يكون في قوائم الفرس بياض.
(٧) الوضح: البياض.
(٨) الرحيق: الخمر.

حتـــى إذَا ولّـــى، وأسلَـــم، عَنْـــوةً، ما شِئْـتَ مـن سهـلٍ وذُروة نِيـقِ[1]
أخــذَ الـــربيــعُ عليــه كــلَّ ثَنِيَّـــةٍ، فبِكُـــلِّ مَـــرقَبَـــةٍ لـــواءُ شَقِيـــقِ

(١٧٦)
يبوحُ بسرّ اللّيل

تحلَّت به، من كوكبٍ، لَبَّة الدجى؛ وحفَّ به طرفٌ، من الليل، أبلَقُ[2]
وبِـتُّ، وعنـدي للصبـاح مُـلاءَةٌ، تَـرُوقُ، وجَيـبٌ، للظـلام، يمـزَّقُ
يُشـافهُنـي منـه لسـانُ ابـنِ رملَـةٍ، يبُـوح بسِـرِّ الليـلِ، والليـلُ مطـرِقُ[3]
ويَنْحـرُ دونـي، جِنـحَ كـلِّ دُجُنَّـةٍ، سِنـانٌ صَقِيـلٌ، لِلـذُّبـالـةِ، أَزرَقُ[4]

(١٧٧)
مَنْ يوثَقُ

لاَ تُـودِعَـنَّ، ولا الجَمـادَ، سَرِيـرةً، فمِـنَ الصَّـوامِـتِ مـا يُشيـرُ، فيَنطِـقُ
وإذا المِحَـــكُّ أذاعَ سِـــرَّ أَخٍ لَـــه، فـانظُـر، فَـدَيْتُـك، مـن تُـراهُ يُـوثَـقُ

(١٧٨)
الصغيرة تجرُّ عظِيمَةً

قُـلْ مـا تشـاءُ بمَحفِـلٍ أو مَجهَـلٍ، واخـزُنْ لسانَـك عـن مَقـالٍ يُـوبِـقُ[5]
إنَّ الصغيـــرةَ قـــد تَجُـــرُّ عظيمـــةً، ولـــربمـــا أودى، بِشـــاهٍ، بَيْـــدَقُ[6]

---

(١) النيق: أعلى قمة في الجبل.
(٢) اللبّة: موضع القلادة من الصدر، والكلمة مأخوذة من لبّ الشيء أي خالصه ـ الأبلق: الأبيض.
(٣) أراد بلسان ابن رملة: القلم. سميّ القلم كذلك لأنه متخذ من القصب الذي ينبت في أرض رملية.
(٤) يصف ذبالة السراج فيشبهها بالسنان ويقول إنّ لسان نار السراج يذبح مبدداً جناح الظلام من حوله.
(٥) يوبق: يهلك.
(٦) أودى به: أهلكه ـ الشاه والبيدق: من حجارة الشطرنج.

(١٧٩)
أتُرى غيَّرتْك

من شعره في مداعبة بعض الأخوان

قُــلْ للمُقِيـمِ مـع النُّفـوس عَـلاقَـةً: يـا راكِبـاً ظَهْـرَ المَطِـيِّ بُـراقـا[1]
لِـمْ صِرتَ تَـرغَـبُ عـن سجايا حُـرَّةٍ، قـد كُنـتَ مُقتَنِيـاً لهـا أَعـلاقـا
أتَمُـرُّ لا تَلـوي علـى مَثـوى أخـي ثِقـةٍ، ولا تقِـفُ الـرِّكـابَ فُـواقـا؟[2]
أتُـرى الـوِزارةَ غيَّـرتـكَ خَليقـةً؛ إنَّ الـوزارة تنقُـلُ الأخـلاقـا

(١٨٠)
قُلْ للحميم

بعث هذه المنظومة إلى أبي عبد الله محمد بن عائشة يدعوه لمجلس أنس ويصف له حال صديق لهما عزت معالجته:

يـا هِـزَّةَ الغُصْـنِ الـوَرِيـقِ، وبَشـاشـةَ الـرَّوضِ الأنيـقِ
أأتَتْكُمـا بُشـرى بسُقيـا، أم سَـلامٌ مـن صـديـقِ
فهـزَزتَ مـن عِطْـفٍ نَـدٍ، وسَفَـرتَ عـن وجـهٍ طَلِيـقِ
ولقـد أقـولُ، إذا سَـرى بَيـنَ الأقـاحِـي والشَّقيـقِ
بـالله يـا نَفَـسَ الصَّبـا: حَـيِّ الصـديـقَ عـن الصـديـقِ
قُـلْ للحبيـبِ، بـلِ الحَميـمِ، بـلِ الشَّفيـقِ، بـلِ الشَّقيـقِ
يـا مُلتَقـى الخُلـقِ الشَّـريـفِ، وهِشَّـةَ الـوَجـهِ الطَّليـقِ
إنَّ النَّجـاةَ بَعيـدةٌ، فـاسلُـك بِنـا قَصـدَ الطَّـريـقِ
واركُـضْ بِنَـا رَكضـاً حَثِيثـاً، فيـهِ، عَـن نَظَـرٍ دَقِيـقِ[3]
فلِمِثلِهـا مـن شِقَّـةٍ، أعـدَدتُ مِثلَـكَ مـن رَفيـقِ

---

(١) أراد بالبراق المطية السريعة .

(٢) الفواق: البرهة القصيرة من الزمن. ـ الهشة: البسمة من هش تبسّم وخف للمعروف.

(٣) الركض الحثيث: السريع الجاد.

فـــارْغَـــبْ بِنَفسِـــكَ عـــن مَكـــانٍ، قـــد نُبِـــذتَ بـــه، سَحِيـــقِ[1]
واركَـــبْ بنـــا اللَّفـــظَ الجَليـــلَ، وسِـــر إلـــى المَعنـــى الـــدَّقِيـــقِ
وامسَـــخْ قَـــذى طَـــرْفٍ بـــه، يَمتَـــدُّ فـــي فَـــجٍّ عَميـــقِ
وشُـــبِ الـــوَعِيـــدَ بِمَـــوعِـــدٍ، فـــالمـــاءُ يُمـــزَجُ بـــالـــرَّحِيـــقِ
وتَـــلافَ، مـــن بَحـــرِ الشَّكـــاةِ، أخـــاً يَمـــدّ يـــدَ الغَـــرِيـــقِ
لا بـــالسَّقِيـــمِ ولا الصَّحِيـــحِ ولا الأسِيـــرِ ولا الطَّليـــقِ
لَـــوْ جئتَـــه فَفجـــأتَـــهُ لأَقَـــلَّ جَفـــنَ المُستَفِيـــقِ
لا تَبخَلَـــنَّ بنَفحَـــةٍ، وثَـــراكَ مِـــن مِســـكٍ فَتِيـــقِ
وارْبَـــعْ بِـــوادٍ، عُشْبُـــه خَضِـــلٌ، ونَـــمْ فـــي رأسِ نِيـــقِ[2]

لَوْلاك

كتَبـــتُ، وقـــد خَصِـــرَتْ راحتـــي، فهـــل مـــن حَـــريـــقٍ لكـــاسِ الـــرَّحيـــقِ
وقـــد أعـــوَزَت نـــارُهـــا، جُملـــةً، فلـــولاك شبَّهتُهـــا بـــالصـــديـــقِ

(١٨١)

يا راكِضاً...

يـــا راكِضـــاً فـــي شَـــوطِ كـــلِّ سيـــادةٍ، أعْيـــا تَـــرَسُّلُـــه الـــرِّيـــاحَ لَحـــاقـــا
مُتَيَقِّظـــاً تَنـــدى حـــواشِـــي لَفظِـــه، سَلَســـاً، ويَلفَـــحُ فَهمُـــه إحـــراقـــا
مـــا حـــامِـــلٌ خُطَـــطَ المَهـــابَـــةِ خـــامِـــلٌ، مـــا قـــامَ فـــي العَليـــاءِ يَنقُـــلُ ســـاقـــا
مُتعـــذِّبٌ مـــا زالَ يَضـــرِبُ يَـــومَـــه كَـــدّاً، ويُحنِـــقُ لَيلَـــهُ إسْفـــاقـــا[3]
مـــا إنْ يَسيـــرُ مـــعَ الصَّبـــاحِ لِشـــأنِـــه، حتـــى يَشُـــدَّ مـــعَ النُّفـــوسِ نِطـــاقـــا

---

(١) المكان السحيق: النّائي، البعيد.

(٢) النيق: أعلى قمم الجبل.

(٣) الإسفاق من أسفق وسفق فلاناً: لطمه والباب رده.

قافية الكاف

(١٨٢)
سوّاك فعدَّلك

كفـى حكمـةً للهِ أنَّـكَ صـائـرٌ   تُرابـاً، كمـا سـوَّاكَ قَبـلُ، فعـدَّلَـكْ[١]
وإنْ شئـتَ مَـرأى كيـفَ كَـوَّنَ ثـانيـاً،   فـدُونَـك، فـانظـرْ كيـف كَـوَّنَ أوَّلَـكْ
فهـلْ أنـتَ، فـي دار الفَنـاءِ، مُمَهَّـدٌ،   مَحلُّـكَ، فـي دار البقـاء، ومنـزِلُـكْ؟

(١٨٣)
نامَ مِنّي ظالِمٌ

كتب الشاعر هذه الأبيات إلى الأمير أبي بكر:

أوَجهُـك بسَّـامٌ وطَـرفـيَ بـاكِـي؛   وعَـدلُـكَ مـوجـودٌ ومِثلـيَ شـاكـي
وتَـأبـى اهتِضـامـي، فـي جَنـابك، هِمَّـةٌ   تهُـزُّكَ هـزَّ الـرِّيـح فَـرعَ أَراكِ[٢]
وقـد نـام منّـي ظـالـمٌ لـيَ ذاعِـرٌ،   فيـا هَبَّـةَ السيـفِ الحُسـامِ دَراكِ[٣]

(١٨٤)
أوجَعْتِ قَلْباً

يا مُنيَةَ النَّفسِ حسبي، مِن تشكُّيكِ،   أنـي أُصـابُ، وكـفُّ الـدهـرِ تَـرميـكِ

---

(١) **عدّلك**: سوّاك.

(٢) **الأراك**: شجر يستاك به، واحدته أراكة.

(٣) **الذاعر**: المخيف المثير الذعر ـ **دراك**: اسم فعل أمر بمعنى ادركي الظالم المعتدي.

ولـو تَسـامحَ خَطـبٌ فـي فِـدائِـك بـي، لكُنـتُ، مهمـا عَـرا خطبٌ، أُفَـدِّيـكِ[1]
وكيـف أُغفِـي بِلَيـلٍ تسهَـرِيـن بـه، أو أستَسِيـغُ شـرابـاً ليـسَ يُـروِيـكِ؟
هُنَيـدَ أوجَعـتِ قلبـاً قـد أقمـتِ بـه، ما بالُ طرفي، وما يُدرِيك، يَبكيكِ
فـرُبَّ لُـؤلُـؤِ دمـعٍ كنـتُ أذخَـرُه عِلقـاً أُغـالـي بـه، أرخَصتُـه فيـكِ
وإن نـأى بـكِ رَبـعٌ غيـرُ مُقتَـرِبٍ، أوِ احتَـواكِ حِجـابٌ فيـه يُقصِيـكِ[2]
فـإنَّ كـلَّ نسيـمٍ، خـاضَـهُ أَرِجٌ، رسـولُ شـوقٍ، أتـى عنّـي يُحيِّيـكِ
وربمـا شَفَعـتْ لـي غَفـوَةٌ نَسَخـتْ أُخرى الظلامِ، فباتَ الطيفُ يُدنيكِ

(١٨٥)
الماءُ يضحَكُ

ومُرَقْرَقُ الإفرِندِ يمضي في العِدا، أبـداً، فَيَفْتُـك مـا أَرادَ ويَنسُـكُ[3]
فكـأنَّـه، والمـاءُ يضحـكُ فـوقَـه، جـذلانُ، يَبكـي للسُّـرورِ ويَضْحَـك[4]

(١٨٦)
يَهْتَزُّ ويَضْحَكُ

وأبيضَ عَضبٍ حالفَ النَّصرَ صاحباً، يَكادُ، ولم يُستَلَّ، يمضي فيَفْتُكُ[5]
يُبَشِّـرهُ بـالنصـرِ إرهـافُ نَصلِـه، فيهتـزُّ فـي كـفِّ الكَمـيِّ ويضحَـكُ

(١) عراه الخطب: أصابه، والخطب: الشأن صغر أو عظم، وأكثر استعماله للأمر العظيم المكروه.
(٢) يقصيك: يبعدك.
(٣) الإفرند: جوهر السيف.
(٤) جذلان: فرح.
(٥) الأبيض العضب: السيف القاطع ـ استلّ السيف: جردّ من غمده.

(١٨٧)
يَنْدى نورُ ذِكْرك

يصف ابن خفاجة محاسن الحبيب من نافذة الذكرى . .

يـــا رُبَّ ليـــلٍ بِتُّـــه، وكـأنَّـه مِـن وَحـف شَعـرِكْ[١]
تَنهَـلُّ مُـزنـةُ دَمْعَتـي، فيـه، ويـنـدى نَـورُ ذِكـرِكْ[٢]
أتبعـتُ فيـه، وقـد بكيـتُ، عقيـقَ خـدِّك دُرَّ ثغـرِكْ
وشـرَقـتُ فيـك بِعَبـرةٍ، قـد ورَّدَتهـا نـارُ هجـرِكْ[٣]
فكـأنَّمـا ينفـضُّ، عـن حَبَـبٍ لهـا، رُمّـان صَـدرِكْ
ولـرُبَّ ليـلٍ، قَـد صـدَعـتُ ظـلامَـه بجبيـنِ بـدرِكْ[٤]
ولهـوتُ فيـه بِـدُرَّةٍ مكنـونـةٍ فـي حُـقِّ خِـدرِكْ[٥]
تنـدَى شَقـائـق وجنتَيْـك بـه، وتَنفَـحُ ريـحُ نشـرِكْ
وقـد استـدارَ، بصفحَتـيْ سُـوسـانِ جيـدِك، طَـلُّ دُرِّكْ[٦]
حيـث الجبـابـة دمعـة، تجـري بـوجنـة كـاس خمـرِكْ
وتهـزُّ منـك، فتنثنـي بقضيـب قـدِّك ريـحُ سكـرِكْ
وتُعـبُّ، مـن رجـراج ردفـك، مـوجـةٌ فـي شـط خصـرِكْ

---

(١) الشعر الوحف: الكثيف.
(٢) المزنة: المطر.
(٣) العبرة: المدعة.
(٤) صدع الظلام: اخترقه وشقه.
(٥) الحُقّ: الوعاء، شبه النهد بالحق وقد سبق عمرو بن كلثوم إلى هذا التشبيه حين قال في المعلقة:

وثـديـا مثـلَ حُـقّ العـاجِ رخْصـا حَصـانـاً مـن أكـفّ اللاّمسينـا

(٦) الجيد: العنق. الطلّ: النّدى.

قافية اللام

(١٨٨)
يميلُ إلى مِثْلِهِ

جميـــلٌ يَميـــلُ إلـــى مِثلِـــهِ، فيَشفَـــع مـــرآهُ فـــي وَصلِـــهِ
رَمـــى نـــابـــلٌ منهمـــا نـــابـــلاَ يُنـــاغيـــهِ والنَّبـــلُ مـــن نَبلِـــهِ[1]
ويَنظُـــرُ منـــه إلـــى جَنبِـــه، كمـــا نَظَـــر الظَّبـــيُ مـــن ظِلِّـــهِ

(١٨٩)
غازَلْتُهُ

نهـرٌ، كمـا سـال اللَّمـى، سلسـالُ؛ وصبـاً بَليـلٌ، ذَيلُهـا مِكْسـالُ[2]
ومَهـبُّ نَفحـةِ رَوضـةٍ مطلـولـةٍ، فـي جَلهَتَيهـا، للنسيـم، مَجـالُ[3]
غـازَلْتُـه، والأقحـوانـةُ مَبسِـمٌ، والآسُ صُـدغٌ، والبنفسـجُ خـالُ
ووراءَ خفَّـاق النِّجـاد ضُبـارِمٌ، يَسـري بـه، خلـفَ الظـلام، خَيـالُ[4]
ألقى العَصا، في حيثُ يعثُر بالحَصَى نهـر، وتَعبـثُ بـالغُصـونِ شَمـالُ

---

(١) أراد بالنّبل: لحاظ العين.
(٢) **الصبا**: الريح اللينة الناعمة.
(٣) **المطلولة**: المخضّلة بالطلّ وهو النّدى ـ الجلهة: الجهة المقابلة من الوادي.
(٤) **الضبارم**: الأسد، شبه به نفسه.

وكــأنَّ مــا بيــن الغُصــونِ تَنــازُعٌ فيــه، ومــا بيــنَ المِيــاه جِــدالُ
وأَربَّ يَبــرُدُ، مــن حَشــاه، مَكــرَعٌ خَصِــرٌ، يَسِــحُّ، وتلعَــةٌ مِخضــالُ[(١)]
مــا بيــن روضــةِ جَـدولَيــن، كــأنما بُسِطَــتْ يميــنٌ منهمــا وشِمــالُ
مثــلُ الحُبــابِ، بمُنحَنــاهُ ذُؤابــةٌ، خَفَّــاقــةٌ، حيــثُ الــرُّبــى أكفــالُ[(٢)]
وانسَــابَ ثــانــي مَعطِفَيــه، كــأنــه هَيمــانُ، نشــوانٌ، هنــاك، مُــذالُ[(٣)]
أَو ظِــلُّ أَسمــرَ بــاللِّــوى مُتــأطِّــرٌ، عَطَفَــت جَنــوبٌ مَتنَــه وشمــالُ[(٤)]
لــم أدرِ هــل يُــزهــى، فيَخْطُــر نَخــوَةً، أم لا عَبَــت أَعطــافَــهُ الجِــرْيــالُ[(٥)]
فــإذا استَطــار بــه النَّجــاءُ، فنَيــزَكٌ؛ وإذا تهــادى، فــالهِــلالُ هِــلالُ
زُرَّت عليــــه جُبَّـــةٌ مَـــوشِيَّـــةٌ، بمَقِيلِــه، أُخــتٌ لهــا أَسْمــالُ[(٦)]
مِـزَقٌ كمـا يَنقَـدُّ، فـي يـوم الـوَغـى، عــن لَبَّتَــيْ مُستَلئِــمٍ، ســربــالُ[(٧)]
أَلقــى بــه منهــا، هنــالــك، دِرعَــه، بطَــلٌ، وجَــرَّد، وشيَــه، مُختــالُ
بيَــد الهجيــرة منــه ســوطٌ خــافــقٌ؛ وبِســاقِ لَيلَــةِ صَــرْصَــرٍ خَلخــالُ[(٨)]
فَــدَلَفْــتُ يقْــدُمُ بــي، هنــاك، ضُبــارِمٌ، ضــارٍ، لــه، بعَمــايــةٍ، أَشبــالُ[(٩)]
شَيحــانَ، لا أَرتــابُ مــن هَلَــعٍ، ولا أغتــابُ مــن طبــعٍ، ولا أغتــالُ[(١٠)]
مُتَخــايــلاً أمشــي البَــرازَ، ودُونَــه، مــن أرقَــم، سِــدرٌ أَلــفُّ وَضَــالُ[(١١)]

(١) أربّ: أقام في المكان ـ **الخصر**: البارد ـ الخضال: المخضّلة بالنّدى.
(٢) **الحباب**: الحية ـ **الأكفال**: جمع كفل الردف، العجز.
(٣) **المذال**: ذو الذيل الطويل.
(٤) **متأطر**: اسم فاعل من تأطر: أي تثنّى.
(٥) **الجريال**: الخمرة.
(٦) **الأسمال**: الأثواب البالية.
(٧) **المستلئم**: لابس اللأمة، أي الدرع ـ **السربال**: القميص.
(٨) **الصرصر**: الريح الشديدة.
(٩) **دلف**: سار ومشى ـ شبّه نفسه في هذا البيت بالأسد الجريء المقدام.
(١٠) **الشيحان**: الغيور ـ **الهلع**: الخوف الشديد.
(١١) **الأرقم**: الحية ـ السّدر: شجر النبق ـ **الألفّ**: الملتف ـ **الضال**: شجر السدر البرّي.

فتَــوعَّـــدتنـــي نَظَـــرةٌ وقّـــادةٌ، يُــذكَــى، بهــا تحــت الظـلام، ذُبــالُ
وهــوى، كمــا يَهــوي أتــيٌ مُــزبِــدٌ، رَجمَــت بــه، بعــضَ التِّــلاعِ، تِــلالُ
يهفُــو الضَّــرَاء، أمــامَــه، ولــربمــا يَـــذَرُ الكَثيـــبَ، وراءَه، يَنهـــالُ[1]
فَــدَرَأتُ بــادِرةَ الشجــاعِ بــأخضــرٍ، فــي رقشــه، هُــوَ للشجــاع مِثــالُ[2]
جمَــد الغــديــرُ بمَتنِــهِ، ولــربمــا أَعْشــاكَ إفــرِنــدٌ لـــه سيَّـــالُ[3]
وجَمعــتُ بيـــن المَشــرفــيِّ وبَينــه، فتَـــلاقَـــتِ الأشبـــاهُ والأشكـــالُ
وتَســاورا يتكــافحــان، كمــا التَقــى، يــومــاً، أبــو إسحــاقَ والــرِّيبــالُ[4]
وكـــلاهمـــا مِـــن أَســـودٍ ومُهنَّـــد، فـــي ضِمنِـــه الأوجـــال والآجـــالُ[5]

(١٩٠)

حَسْبي شجواً

كفَــى حَــزَنــاً أَنَّ الــدِّيــارَ قَصِيَّــةٌ، فـــلا زَورَ إلاَّ أن يكـــون خَيـــالا[6]
ولا الــرُّســلُ إلاَّ للــريــاحِ، عَشِيَّــةً، تَكُـــرُّ جَنـــوبـــاً بيننـــا وشَمـــالا
فــأستَــودَعُ الــرِّيــحَ الشَّمــالَ تحيَّــةً؛ وأَستَنشِــقُ الــرِّيــحَ الجَنــوبَ سُــؤَالا
وحسبــيَ شجــواً أَنَّ لــي فيــك أَضلُعــاً حِــراراً، وأَرْدانــاً عليــك خِضــالا[7]
وطَــرفــاً قَــريحــاً فيــك عــنِ الكَــرى، ولا فِطـــرَ إلاَّ أَن تلُـــوح هِـــلالا[8]
ومــا الــدَّهــرُ إلاَّ صفحــةٌ بــك طَلَقَــةٌ لَثَمــتُ بــه، مــن قبــلِ وَصلِــك، خــالا

---

(١) يهفو الضّراء: أي يسير متنكّراً ـ الكثيب: المرتفع من الرمل.
(٢) درأ: دفع ـ الشجاع: الحيّة ـ الأخضر: السيف.
(٣) الأفرند: جوهر السيف وقوله أعشاك: أي جعلك تنبهر.
(٤) أبو إسحق: كناية عن نفسه ـ الريبال: مخفف الرئبال، وهو الأسد.
(٥) الأوجال: جمع الوجل وهو الخوف ـ الآجال: جمع الأجل، وهو الحتف.
(٦) الزور: الزيارة.
(٧) الحرار: جمع حران، والحران الشديد الظمأ.
(٨) أراد بالفطر: عيد الفطر.

فمـا أَنْسَـهُ لا أَنسَ ليـلاً على الحِمـى، وقــد رَقَّ وضَّــاحــاً وراق جَمــالا
وزارَ بـه نجـمُ السُّهـى قمـرَ الـدُّجـى، وبـاتـا بحـالِ الفَـرقَـدَيـن وِصـالا
إذا مـا هَــدانـا فيـه بـارِقُ مَبْسِـمٍ، أَجَـنَّ دُجًـى فـرعٌ، فحِـرْتُ ضَـلالا
ولـي نَظَـرٌ يـرتَـدُّ فيـك صَبـابـةً، وقـد فـاضَ مـاءُ الشـوق فيـه، فجـالا
فجاد الحِمى غادٍ، من المزنِ، رائحٌ، تَهـاداه أعنـاقُ الـرِّيـاح كَـلالا
وسـارِيـةٍ دَهمـاءَ حـارَبها الـدُّجـى، فشـبَّ بهـا البَـرقُ المُنيـرُ ذُبـالا[1]
فللّـه مـا أَشجـى الحمـامـةَ، غُـدوَةً، هنـاك، ومـا أنـدى الأراكَ ظِـلالا
وقد جاذَبت ريحُ الصَّبا غصنَ النَّقا، فمـاد علـى رِدفِ الكثيـبِ وَمـالا
وأَيْقَـظَ بَـردُ الصبـح جَفـنَ عَـرارِه، تَـرقـرَقَ دمـعُ الطَّـلِّ فيـه، فسـالا

(١٩١)
مَهْلاً

أَيُّهـا التـائـه مهـلاً، سـاءَنـي أَنْ تِهـتَ جَهْـلا
هـل تَـرى، فـي مـا تَـرى، إلاّ شبـابـاً قـد تَـولّـى
وغَـرامـاً قـد تَسَـرّى، وفُـؤاداً قـد تَسَلّـى؟
أَيـن دمـعٌ فيـك يَجـري؛ أَيـنَ جَنـبٌ يتقلّـى؟
أيـنَ نفـسٌ فيـك تُهـدَى، وضُلـوعٌ فيـك تُصْلـى؟[2]
أَيُّ مَلْـكٍ كـان لـولا عـارِضٌ وافـى، فـوَلّـى
وتَخَلّـى عنـك إلاّ أسفـاً، لا يَتَخَلّـى
وانطَـوَى الحُسـنُ، فهـلاّ أَجمَـلَ الحُسـنُ وهـلّا!

---

(١) السارية: السحابة التي تسري ليلاً ـ الدهماء: السوداء ـ الذبال: الفتيلة.
(٢) تُصلى: المجهول من صلي النار: قاسى حرّها.

(١٩٢)
ركبْتُ إليه

ومَغَارٍ ركِبتُ أدهمَ مِغطا … لاً إليه، وظهَرَ أشهَبَ حالي[١]
جالَ في أنجُمٍ، من الحَلْيِ، بِيضٍ، … وقميصٍ، من الصباحِ، مُذالِ[٢]
فبَدا الصبحُ مُلجَماً بالثُّريّا؛ … وجَرى البرقُ مُسرَجاً بالهِلال[٣]

(١٩٣)
سَقْياً لها

سَقْياً لها من بطاحِ أُنسٍ، … ودَوحِ حُسنٍ بها مُطِلّ
فمَا تَرى غيرَ وجهِ شمسٍ، … أظَلَّ فيه عِذارُ ظِلّ

(١٩٤)
لو بلّ . . . أبْلَلْتُ

صَمَمتُ سَمعاً، فما أُصغِي إلى العَذَلِ؛ … وهِمْتُ قلباً، فما أَصحُو عن الغزَلِ
وإنَّ سُقمِي لَمن طَرْفٍ به سَقَمٌ، … خُلوٍ من الكُحلِ مَملُوءٍ منَ الكَحَلِ
أشجُو الظَّماءَ، وريِّي في حَصى بَرَدٍ، … لو بَلَّ من غُلَلي أبلَلْتُ من عِلَلي[٤]
فمَن لصَبٍّ يَبيتُ الليلَ يَسهرُهُ، … مُقلَّبَ القلب بين اليأسِ والأمَلِ؟
أينَ الجراحاتُ من جرحٍ بأضلُعِه؛ … وأينَ بِيضُ المواضي من جُفونِ عَلِي؟[٥]
يا ضارباً يوسفاً، في حُسنِه، مثلاً، … جَلَّ ابنُ أفعَلَ عن مِثلٍ وعن مَثَلِ[٦]

---

(١) المغار: الغار ـ الأدهم هنا: الليل الأسود ـ المعطال: خلاف الحامي.

(٢) المذال: ذو الذيل الطويل.

(٣) يقول: إن هذا الفرس الأشهب كالصبح في الليل يجري فيه كالبرق وهو مسرج وسرجه بدا ساطعاً كالهلال.

(٤) أبلّ من علله: شفي من أسقامه وأمراضه.

(٥) أراد بـ «علي» الموصوف.

(٦) ابن أفعل: الموصوف.

خُـذْ مـا تَـراهُ، ودَع شيئـاً سمِعـتَ بـه، في طَلعةِ الشَّمسِ ما يُغنيكَ عن زُحَلِ[1]

(١٩٥)

فَسَما . . واسْتَزادَ

مـا ضـارَ لابِـسَ مِثلِـه، مـن خـاتَـمٍ، أن لا يَشُـبَّ مـع الظـلام ذُبـالا
مُتـألِّـقٌ أعـداهُ لابِـسُ حِليـةٍ، فَسَمـا جـلالاً واستَـزادَ جمـالا
مُتحمِّـلاً فَصّـاً يـرُوقُ، وحَلْقَـةً مـن جُـذوةٍ وقَـدَتْ، ومـاء سـالا
فـي راحـةٍ خُلِقَـتْ سمـاءَ سَمـاحـةٍ، فتقـارنـا نَجمـاً بهـا وهِـلالا

(١٩٦)

عُلِّقْتُهُ

وعـاذِرٍ قـد كـان لـي عـاذِلا، فـي أَرَبٍ قـد صـار لـي آمِـلا
آدَ بقلبـي، وهـو فـي طَيِّـه، فصـار مَحمُـولاً بـه حـامِـلا[2]
ودونَ مـاءِ الحُسـن، مـن وَقـدِهِ، مـا يَصْـدُرُ الطَّـرفُ بـه نـاهِـلا
وكـان قلبـي، دُونـه، واقِـداً، ومـاءُ جَفْنـي، فـوقَـه، جـائِـلا
أَخُـوضُ، فـي الحـبِّ، بـه لُجَّـةً لـم تَـرمِ بـي، مِـنْ سَلْـوةٍ، ساحِـلا
أَمـا تَـرى أُعجُـوبـةً أَنْ تَـرى، فـي الحُـبِّ، مَقتُـولاً فَـدى قـاتِـلا
ويُجْتَنَـى نُـورُ نَسِيبـي بـه غَضّـاً، وجِسمِـي غُصُنـاً ذابِـلا
عُلِّقْتُـه أَحـوى اللَّمـى أحـوراً، عـاطِـرَ أَنفـاسِ الصَّبـا عـاطِـلا
مُعتـدِلاً، مُعتَـدِيـاً فـي الهـوى، أَحبِـبْ بـه مُعتـدِلاً، مـائِـلا
غَشِيـتُ مـن مُقلَتِـه بـابِـلاً سِحـراً، ومـن لَحظَتِـه نـابِـلا[3]

---

(١) زحل: نجم ـ والبيت المذكور من لامية العجم للشاعر الطغرائي أورده ابن خفاجة من قبيل التضمين.
(٢) آد بقلبي: اشتدت وطأته عليه.
(٣) يقول إن في عينيه سحراً بابلياً ووقع لحاظه جارح كالنبّال.

شَـطَّ، ولـي مـن شَغَـفٍ فِكـرَةٌ، أَراهُ، فـي مِـرآتِهـا، مـاثِـلا[1]
فمـا أَراهُ ظـاعنـاً راحـلاً، إلَّا أَراهُ قـاطِنـاً نـازِلا
وإنَّ لـي طَـرْفـاً بـه سـاهـداً، وَجْـداً، ودمعـاً هـامـراً هـامِـلا[2]
كـأنَّ نَـومـي ضَـلَّ عـن نـاظِـري، فبـاتَ دمعـي سـائِـلاً سـائِـلا

(١٩٧)

تَرْنو بِطَرْفٍ كَحيل

وقـد غَشِـيَ النبـتُ يطحـاءَهُ، كَبـدوِ العِـذارِ بِخَـدٍّ أَسيـلِ
وقـد ولَّـتِ الشمـسُ، مُحتَثَّـةً إلى الغـربِ، تَـرنُـو بطَـرفٍ كَحيـلِ[3]
كـأنَّ سَنـاهـا، علـى نهـره، بقَـايـا نَجيـعٍ بسيـفٍ صَقِيـلِ[4]

(١٩٨)

والماءُ مُبْتَسِم

أحـسُ المُـدامـةَ، والنسيـمُ عليـلُ، والظـلُّ خَفَّـاقُ الـرِّواق، ظَليـلُ[5]
والنَّـورُ طَـرفٌ، قـد تنَبَّـه، دامِـعٌ؛ والمـاءُ مُبتَسِـمٌ، يَـرُوقُ، صَقيـلُ
وتَطلَّعَـتْ مـن بَـرقِ كـلِّ غَمـامـةٍ، فـي كـل أُفـقٍ، رَايـةٌ ورَعِيـلُ[6]
حتـى تَهـادَى كـلُّ خُـوطَـةِ أَيكَـةٍ، ريّـا، وغَصَّـت تَلعَـةٌ ومَسيـلُ
عَطَـفَ الأراكـةَ فـانثَنـى شكـراً لـه، طَـرَبـاً،ورجَّـع،فـي الغُصـون،هَـديلُ[7]

---

(١) **شطّ**: نأى وبعد ـ **ماثلاً**: حاضراً.

(٢) **الطرف**: العين ـ **الساهد**: الأرق ـ **الهامر والهامل**: اسما فاعل من همر وهمل، (المطر): هطل وانصبّ.

(٣) **محتثة**: مسرعة.

(٤) **النجيع**: الدم ـ **السيف الصقيل**: المصقول.

(٥) **أحس**: اشرب، الأمر من حسا ـ **المدامة**: الخمر.

(٦) **الرعيل**: القطعة من الناس أو الطير أو الخيل.

(٧) **الهديل**: الحمام.

فـالـرَّوضُ مُهتَـزُّ المعـاطِـف، نغمـةً، نَشْـــوانُ، يَعطِفُـــه الصَّبـــا فَيَميـــلُ
ريَّـــانُ فضَّضَـــه النَّـــدى ثُـــمَّ انجَلـــى عنـــه، فـــذَهَّـــب صَفحَتيـــهِ أَصيـــلُ
وارتَـدَّ يَنظُـر، فـي نِقـاب غَمـامـةٍ، طَـرفٌ، يُمـرِّضـه النُّعـاسُ، كَليـلُ[1]
ســاجٍ كمـا يـرنُـو إلـى عُـوَّادِه، شـاكٍ، ويَلتَمِـحُ، العـزيـزَ، ذَليـلُ

(١٩٩)
فكأنّه رَيْحانَةٌ

والشمـسُ شـاحِبـةُ الجَبيـنِ مـريضـةٌ، والـرِّيـحُ خـافِقـةُ الجَنـاحِ، بَليـلُ
والبـرقُ منخَـزِلٌ، يُكِـبُّ لِـوجهِـه، ويَمُـجُّ رُوحَ الـرَّاحِ، منـه، قَتيـلُ[2]
والكـأسُ طِـرفٌ أشقـرٌ قـد جـالَ فـي عَـرقٍ عليـه، مـن الحَبـابِ، يَسِيـلُ
يَسعَـى بهـا قَمـرٌ، لـه ولكـأسِـه وجـهٌ أغـرُّ، ومَبسِـمٌ مَعسُـول
شـاكِـي السِّـلاحِ، لِقَـدِّه ولِطَـرفِـه رُمـحٌ أَصـمُّ وصـارِمٌ مَسلـولُ
وأخٍ تَهـزُّ لـه العُلـى أعطـافَهـا، فكـأنَّـه رَيحـانـةٌ وشَمُـولُ[3]
راضَعتُـه كـأسَ المُـدامِ، وبيننـا، بِجَنـى الحَـديـثِ، حَـديقـةٌ وقَبـولُ[4]
مَيَّـاسُ أعطـافِ السَّمـاحِ، كـأنَّـه غُصـنٌ، تنَفَّـس نَـورُه، مَطلُـولُ
تَنـدَى لهـا، ورداً، أَسِـرَّةُ كفِّـه، أبـداً، وبَطـنُ يَمينِـه مَبلُـولُ[5]
طَلْـقُ الجَبيـنِ، ولِلحُسـامِ تبسُّـمٌ؛ طـاوي المَصيـرِ، وبـالقَنـاةِ ذُبُـولُ[6]
للنـاسِ فيـه مـنَ الكـلامِ شـواهـدٌ، وبمَضـرَبِ السَّيـفِ الجُـرازِ فُلُـولُ[7]

---

(١) الطرف الكليل: الناعس الضعيف.
(٢) **يمجّ**: يفرز ـ **الراح**: الخمر.
(٣) **الريحانة**: الزهرة ـ **الشمول**: الخمر إذا ابتردت بريح الشمال.
(٤) **القبول**: ريح الصبا.
(٥) **أسرّة الكف**: خطوطه.
(٦) **طلق الجبين**: ضاحك، بشوش ـ **طاوي المصير**: ضامر الخصر.
(٧) **السيف الجراز**: القاطع ـ خلول: جمع خلّ وهو التثلّم في حد السّيف، وهذا من باب المديح

يَمتـــاحُ أرواحَ الكُمــــاةِ، بكَفِّـــه، شَطَـنٌ ، يُمَـرُّ مـن القَنـا ، مَفتُـولُ
فـي حيـثُ مِـن حَـرِّ الطَّعـانِ هَجيـرةٌ تُحْمَــى، ومــن ظِـلِّ اللِّــواء مَقِيــلُ
والنَّقـعُ أدهَـمُ، للـرِّمـاحِ بـوَجهـه، غُـــرَرٌ تَلـوح، وللسيــوف حُجُــولُ
والخيـلُ سَطـرٌ، بـالأسنَّـةِ مُعجَـمٌ، وبِحَـــدِّ أَلْسِنَـةِ الظُّبــى مَشكــولُ[1]

(٢٠٠)
ماذا ثناكَ

خُـذهـا يُـرِنُّ لهـا الجَـوادُ صَهِيـلا؛ وتَسِيـلُ مـاءً، فـي الحُسـامِ، صَقِيـلا
بسَّـامـةً تُصبِـي الأريـبَ وَسـامـةً؛ لــولا المَشيــبُ لَسِمتُهــا تَقبِيــلا[2]
حمَّلتُهـــا، شــوقــاً إليــكَ، تحيَّـــةً؛ حمَّلتُهــــا عَتبـــاً عليـــك ثقيـــلا
مــن كــلِّ بيــتٍ، لــو تــدفَّــقَ طَبعُــهُ مــاءً، لغـــصَّ بـــه الفَضـــاءُ مَسيـــلا
إيــهِ، ومــا بيــن الجــوانــح غُلَّــةٌ، لــو كنـتُ أنقَـعُ بـالعِتـابِ غَلِيـلا[3]
مـا للصَّـديـقِ، وُقِيـتَ، تـأكُـلُ لحمَـهُ حيّـاً، وتَجعـلُ عِـرضَـه منـديـلا
أقبَلتَـه صـــدرَ الحُســـامِ، وطــالمــا أَضفَيتَـــه دِرعـــاً عليـــه طَـــويـــلا
مـــاذا ثَنـــاك عـــن الثَّنـــاءِ ونَشـــرِهِ بُـرداً، علـى الـرَّسـمِ الجميـلِ، جميـلا
أرِجــاً كمــا عَثَـرَ النسيـمُ بـروضَـةٍ، لَـــدْنــاً كمــا نضَــحَ الغَمــامُ مَقيــلا
أَعِــد التِفــاتَــكَ، وادَّكِـرْهــا خِلَّــةً، لا تَستَقِـــلُّ بهـــا عُـــلاك مُمْيـــلا[4]
وأصِـخْ إلـى سَجـعِ القـريـضِ، فـربمـا نـدبَ القـريضُ، مـن الـوفـاءِ، هَـديـلا
وعُـجِ المَطِـيَّ علـى الـودادِ، وحيِّـه طلَـلاً، علـى حُكـمِ الـزمـانِ، مُحيـلا

= والمدح في معرض الذم، ويراد به الإشارة إلى الشجاعة والفروسية.
(١) **الظُّبى**: جمع ظبة: حدّ السيف.
(٢) **تصبي**: تثير الحنين إلى الصبا ـ **الأريب**: الفطن.
(٣) **نقع الغليل**: روى الظمأ.
(٤) **مميلا**: اسم فاعل من أماله عن.. أبعده عنه، صرفه.

وابعَــث بِطَيفِــك واعتَقِــدهــا زَورةً، وصِـلِ السَّـلامَ، علـى النَّـوى، تَعليـلا
ولَئِـن سـألـتُ بـك الغَمـامـةَ وابـلاً، يَسِـمُ الجَـديـب، لمـا سـألـتُ بخيـلا
وإذا دَعَبــتُ، ولا دُعَــابــةَ غَيبــةٍ، فـاغْضُـضْ هنـاك، مـن العِنـانِ، قليـلا
واصحَـبْ، وذِهنُـك مـن هَجيرٍ لافـحٍ، ذكـراً، كمـا سَـرَتِ القَبـولُ، بَليـلا[1]
فَلقـد حَللـتَ مـع الشبـابِ بمنـزِلٍ، يَــرتــدُّ طــرفُ النجـمِ عنــه كليــلا
وبَـدَهـتَ لا نَـزْرَ المحـاسِـنِ مُجَبَـلاً؛ ومَضيــتَ لا قَضْــمَ الغَــرارِ فَليــلا[2]
مُتَــدفِّقــاً أَعيــا العُقــولَ طــريقُــهُ، فكــأنَّمــا رَكِــبَ المَجــرَّ سَبيــلا
يَستــوقِــفُ العَليــا جَــلالاً، كلمــا سَجَــدَ اليَــراعُ بكفِّــه تَبجيــلا
لا تستَنيــرُ بــك السيــادةُ غُــرَّةً، حتــى يسيــلَ بــك النَّـدى تحجيــلا
وسِــوايَ يُنشِــدُ فــي سِــواكَ نَـدامــةً، يــا لَيتَنِــي لَــمْ أَتَّخِــذْكَ خليــلا!

(٢٠١)

أرتادُ مَرْتَعاً

قال في أثناء عِلّةٍ ألّمت به:

جَهِلــتُ، ومــا أَلقَــى عَليمــاً، وإنَّمــا مَــرِهْــتُ، وأَعيـا أن أَمُـرَّ بِكـاحِـلِ[3]
فسِرتُ، وقد أَجدَبتُ، أرتادُ مَرتَعاً، فلـم تَطإِ الـوَجنـاءُ بـي ظَهـرَ مـاحِـلِ[4]
وخُيِّــلَ لــي أنِّــي أُقيــمُ، وإنمــا أَسيـرُ، وإنْ لـم أَحْتَقِـبْ زادَ راحِـلِ[5]
فقُلْـتُ، وقـد خَلَّفـتُ خَمسِيـنَ حِجَّـةً، ورائـي: لقـد أَعجَلـتُ طَـيَّ المَـراحِـلِ
أَبُــوءُ بِعِــبءِ السُّقــمِ بيــن حُشــاشــةٍ تَجـودُ، وجِسـمٍ، قـد تَفـرَّقَ، نـاحِـلِ[6]

---

(١) **الهجير**: شدّة القيظ في منتصف النهار ـ الهجير اللافح: المحرق ـ **القبول**: ريح الصبا.

(٢) **بده**: فاجأ ـ **مجبلاً**: مبخلا ـ **قضم الغرار**: مكسور السيف ـ **السيف الفليل**: المفلول، الذي تثلم حدّه.

(٣) **مرهت**: رمدت عيني بسبب عدم التكحل.

(٤) **الوجناء**: النّاقة السريعة.

(٥) **احتقب**: وضع في الحقيبة.

(٦) **أبوء**: أرجع ـ **العبء**: الحمل الثقيل ـ **الحشاشة**: الروح.

وأَسبَحُ في بحرِ الشَّكاةِ، لعلَّني سأعلَقُ يوماً، من نَجاةٍ، بِساحِلِ

(٢٠٢)

الليْلُ.. طويلٌ

اللَيلُ، إلاَّ حيثُ كنتَ، طويلُ؛ والصَّبرُ، إلاَّ منذُ بِنتَ، جميلُ[1]
والنَّفسُ، ما لم تَرتَقِبْكَ، كئِيبَةٌ؛ والطَّرفُ، ما لم يَلتَمِحْك، كَلِيلُ[2]
فلقد خلعتَ، على الزمانِ، مَحاسِناً، تُثنى بِهِ أعطافُه، فيَذِيلُ
ولقد شمَلْتَ الحَضرَتَينِ بنِعمَةٍ، يَجري الثَّناءُ بوَصفِها، فيُطِيلُ
فالصبحُ ثَغْرٌ، في جَنابِكَ، ضاحِكٌ؛ والليلُ طَرفٌ، في ذَراكَ، كحِيلُ[3]
وأَقمتَ من أَوَدِ هناك وههنا، فَدفَقْتَ آراءً، وأنتَ جليلُ[4]
وتكَشَّفَتْ لك حالةٌ عن غادِرٍ، مَلِقٍ، ومرعَى الغادِرينَ وبِيلُ[5]
فقَعدْتَ بالأعداءِ قِعدَةَ خالِعٍ ثوبَ العَزازةِ عنه، فهو ذَلِيلُ
وهَدَدْتَ هَضبةَ عِزِّه، فكأنَّها، نَسْفاً، كثِيبٌ، بالعَراءِ مَهيلُ[6]
فتَطَوَّقتْ، بالهُونِ منه، حَمامةٌ، يَعتادُها، تحتَ الظَّلام، عَويلُ[7]
وأراهُ صَبوَةَ ما جناهُ دهْمةٌ، نَظَرٌ جَزاهُ عنِ القَبيحِ جَميلُ
فاعتاصَ مِنْ لُجٍّ، وأَعتَمَ مَسلَكٌ، والتَاثَ مُلتَمَسٌ، وضاقَ سَبيلُ[8]
ووشى رداءَ الحمدِ، باسمِك، خاطِرٌ، قد عاثَ فيه السُّقمُ، فَهْو كلِيلُ

---

(١) بِنْتَ: ابتعدت، نأيت.
(٢) البصر الكليل: الضعيف.
(٣) ذراك: جانبك.
(٤) الأود: العوج.
(٥) الملق: المتملّق ـ وبيل: سيء العاقبة.
(٦) مهيل: متهافت، متساقط.
(٧) الهون: الهوات الذل.
(٨) التاث الأمر: اختلط.

فسجَعتُ، في قيدِ الشَّكاة، مُغرِّداً طرباً، وللطَّرفِ الرَّبيطِ صَهيلُ
ولوى، العِنانَ عنِ الإطالَةِ، أنني نِضْوُ القُوى، بِسُرى الفراشِ ضئيلُ[1]
مادَ النُّحولُ به، فلاعَبَ شَخصَه ظِلّ، تَحَيَّفَه السِّقامُ، نَحيلُ
فمنَعتُه جَمَّ المحاسنِ ناقِهاً، قد كاثرَ الأمداحَ، وهُوَ قَليلُ
ولكَم قَصيرٍ، من يَراعِكَ، ساحبٍ من نابِ صدرِ الرمحِ، وهو طويلُ

(٢٠٣)

.. لِيَكونَ أَحْسَنَ

وعسى الليالي أنْ تَمُنَّ بجَمعِنا عِقداً، كما كنَّا عليه وأكْمَلا
فلربما نُثِرَ الجُمانُ تعمُّداً، ليكون أُحسنَ في النِّظامِ وأَجْمَلا

(٢٠٤)

رَبْوَةٌ لِلْفَضْل

قال يجيب عبد الله بن عثمان عن شعر:

وحُلَّةٍ، من طِرازِ النَّظم، رائعةٍ، هَزَّتْ، بآدابها، أَعطافَ آمالي[2]
مِن حوكِ وشْيٍ بِبُردِ الخَطِّ، تحسبُه، في الطرفِ مُشتَملاً، منه، بِسربالِ
سَحَبْتُها، لابِساً بُردَ الشبابِ بها، أَجُرُّ، من طَربٍ، أذيالَ مُختالِ[3]
فحبَّذا نُطفةٌ، تَنساغُ، باردةٌ، مِن مَنْهَلٍ، طامِحِ الآذِيِّ، سَلسالِ[4]
وزهرةٌ غَضَّةٌ، تفترُّ، عاطرةٌ، من روضةٍ لَدنَةِ الأنفاسِ، مِخْضالِ[5]

---

(١) نضو القوى: أي هزيل وضعيف ـ سرى الفراش: متنه وظهره ـ ضئيل: من الضآلة، والمراد نحول جسمه.
(٢) الحلّة: الثوب القشيب ـ هزّت: حرّكت وأثارت.
(٣) برد الشباب: ثوبه ـ المختال: المزهو الذي يمشي متبختراً.
(٤) الآذيّ: الموج ـ السلسال: الماء العذب.
(٥) تفترّ: تبسّم ـ المخضال: النّدية، المخضّلة بالندى.

فـي مُلتَقـى رَبـوةٍ، للفضلِ، مُشـرِفَـةٍ، ومُنْتَحـى عـارضٍ، لِلطبـعِ، هطّـالِ
فـالبَسْ بهـا خِلعَـةً، للمجـد، ضـافِيـةً، طـويـلَ بـاعِ العُلـى والعَـمِّ والخـالِ
واردُدْ تحيَّـةَ بـادِي العهـدِ مُبتـديـاً، عاطاكَ، من عِلقِ صِدقٍ، كفَّ إجلالِ[1]
شَطَّـتْ بـه الـدارُ، فـاسترعـى تحيَّتَـه نَسيـمَ عـاطِـرةِ الأذيـال، مِكسـالِ
تـرَدَّدَتْ بيـن أزهـارِ الـرُّبـى، سَحَـراً، تَطيـبُ مـا بيـنَ إدبـارٍ وإقبـالِ

(٢٠٥)

لِلطَّلِ معنًى ليسَ للمَطَرِ

قال يمدح ويسأل حاجة:

آليـتَ إلاّ أن تسيـرَ مـع الفَضـلِ؛ وأزمَعـتَ إلاَّ أن تصُـمَّ عـن العـذْلِ[2]
فَنُبْتَ مَنـابَ البَـدرِ فـي لَيلـةِ السُّرى، وقُمتَ مَقامَ الوَبلِ في البَلدِ المَحلِ[3]
وأضرَمتَ نار الطَّعنِ في ثَغرَةِ العِدى؛ وأجريتَ ماءَ النَّصرِ في صفحَة النَّصلِ
وسوَّيتَ بين القولِ والفعلِ في العُلى: فمن مَنطقٍ جزمٍ ومن نـائـلٍ جَـزْلِ[4]
فَحيَّـت، أبـا يحيـى، ذَراكَ، غَمـامـةٌ صقيلـةُ ثَغـرِ البـرقِ، وارِفَـةُ الظِّـلِّ
تُجـرِّر أذيـالَ الـرَّبـابِ علـى الـرُّبـى؛ ويَمشي بها وانِي النسيم على رِسْلِ[5]
وليـس سِـوى تلـكَ الصـرامَـةِ صـارمٌ؛ ولا غيـرَ هـاتِيـكَ البَشـاشَـة مـن صَقْـلِ
فطُـل عُمُـرَ الـدُّنيـا وطَـأ قِمَـمَ العِـدى، وخيِّم مع العَليا، وحُزْ قصَبَ الخَصلِ[6]
ومُـنَّ بهـا أنـدى نَسيمـاً مِـن الصَّبـا أُصيلاً، وأحلى موقِعاً من جَنى النَّحلِ

---

(١) العلق: النفيس، وأراد بعلق صدق: أمثل الصدق.
(٢) آليت: أقسمت ـ العذل: اللوم.
(٣) المحل: الجدب، القحط.
(٤) النائل الجزل: العطاء الكثير.
(٥) الرباب: السحاب الأبيض ـ يمشي على رسل: يشير متمهّلاً.
(٦) طَأ: الأمر من وطىء يطأ الشيء برجله: داسه ـ حُز: نل الأمر من حاز: أي نال ـ قصب الخصل: قصب الفوز والغلبة.

ولا تحتقِرْها من يدٍ، لك، بَرَّةٍ، فَلِلطلِّ معنًى ليس للمَطَرِ الوَبْلِ

(٢٠٦)

الحُسْنُ صِنْوٌ له

قال هذه القصيدة مادحاً الأمير أبا إسحاق:

أَلا هَل أطلَّ الأميرُ الأجلّ، أمِ الشمسُ حُلَّت برأسِ الحملْ[١]

فما شئتَ من زهرةٍ نضرةٍ، تَردَّى القضيبُ بها واشتَمَلْ[٢]

وهزَّت معاطِفَه، والتَوى بمسرى النسيم التواءَ الجِذَلْ[٣]

سروراً به عن فتى دَولةٍ، تُباهي بعَلياهُ خيرَ الدُّوَلْ

أتانا الزمانُ به آخراً، تهَشُّ إليه الليالي الأوَلْ

مَليكٌ تَبسَّم ثغرُ المُنى بمرآه، وامتدَّ خطوُ الأمَلْ

يَشُدُّ اللِّثامَ على صَفحَةٍ، تَرى البدرَ منها بمَرْقى زُحَلْ

فلم أدرِ، والحسنُ صِنوٌ له، أأَبدأُ بالمدحِ أم بالغَزَلْ[٤]

وها هو، والحِلمُ في طَبعِه، هِزَبرٌ، إذا ما حمى أو حَمَلْ

يُضيفُ، إلى طَعنَةٍ، رَشْقةً هناك، ولِلمُزن وبْلٌ وَطَلُّ

ويَكفي، فيَكفُلُ في حالةٍ، فيَبْني المعالي كفى أو كفَلْ

ويلزَمُه النصرُ حبّاً له، فإن سارَ سار، وإن حلَّ حلّْ

فما يَطرُقُ الطَّيفُ غاباً له، ولو كان أغفى به أو غَفَلْ

يَدينُ بضِدَّيه دُونَ الهُدى، يصُدُّ العِدى ويَسُدُّ الخَلَلْ

ويُدمي الشِّفارَ ويَحني القَنا، ويَحْمِي الذِّمارَ ويَرعى الهَمَلْ[٥]

---

(١) حلّت الشمس: أنزلت ـ الحمل: من الأبراج.

(٢) تردّي: ارتدى الرداء ـ القضيب: الغصن ـ اشتمل بالرداء: التف به.

(٣) الجذَل: العود، وحرّك الذال مراعاة للوزن.

(٤) صنو له: ندّ ومثيل.

(٥) القنا: الرماح ـ يحمي الذمار: يحافظ على العهود والمواثيق ـ الهمل: الماء السائل، الإبل.

ويمـــلأُ رُعبـاً صُـدورَ العِـدى، فيُـرْعِـفُ بـأسـاً أُنُـوفَ الأسَـلْ[1]
مُمِـرُّ حِبـالَ القَنـا والقُـوى، إذا مـا فَشـا، فـي الحُمـاة، الفَشَـلْ
كفيـلٌ بـإدراك مـا يَبْتَغـي، قَفـا إثـرَ طـاغِيـةٍ، أو قفَـلْ
إذا قـال أجمـلَ فـي قـولِـه، وأحسـنُ مـن قـولـه مـا فَعَـلْ
ألـم تَـرَ مـا كـان مـن بـأسِـه، يفُـوز بـه يـوم حـار البَطَـلْ
وخـارَ الأبـيُّ وخـرَّ الكمِـيُّ، وجَـدَّ الجِـلادُ وقَـلَّ الجـدَلْ
ورام النَّصـارى بهـا نُصـرَةً، فلـم يُنْجِـدِ الـرُّومَ رَومُ الحِيَـلْ
وصـدَّ ابـنَ فـرَّاسَ، عـن نَصـرِهـا، تَلَظِّـي حِـرابٍ دَوامِـي المُقَـلْ
فمـا التَمَسُـوا الغَـوثَ إلاَّ التَـوى، ولا استَنجـدوا الـوعـدَ إلَّا مَطَـلْ[2]
ولا أَمَّ يُقبِـلُ حـتَّ انثَنـى، حِـذاراً، ولا غـامَ حتـى اضمَحَـلْ
فلـم يـدرِ مـا عَلِقَـتْ خَيلُـه: أشكـوى الـوجى أو شَكـاة الـوجـلْ؟[3]
بَلـى! خـافَ، مـن جَـورِ سيـفٍ عَـدا، مضـاءً، بكـفِّ إمـامٍ عَـدَلْ
وأولـى بـه لـو تَـدَلَّـى بـه غُـروراً، وأولـى بـه لـو أَدَلّ
فمـا حـادَ عنـكَ بقلـبٍ غَـزا، ولكـن بقلـبٍ وهـي عـن وهَـلْ[4]
لـكَ اللهُ مـن سيِّـدٍ ايِّـدٍ، تَحَلَّـى الـزمـانُ بـه عـن عَطَـلْ
أبـى المجـدُ أن يَـرتَضِـي قِنيَـةً، نَفِيـسَ الحُلـى وشـريـفَ الحِلَـلْ
فقِنيَتُـه لِلقنـا والظُّبـى، وقُـبٌّ الخيـولِ وبيـضِ الخَـوَلْ
ولمَّـا سقـى الغَـربَ فيمـا سقـى، وحَـلَّ بـهِ الغـربُ مِمَّـا أقَـلْ
أتـى الشـرقَ يَهفُـو جَنـاحُ السُّـرى بـه وتهَـبُّ ريـاحُ العَجَـلْ

---

(١) **يرعف**: يسيل الدماء ـ **الأسل**: الرماح.
(٢) **مطل**: أجّل وسوّف، ماطل.
(٣) **الوجى**: الحفى ـ **الوجل**: الفزع، الخوف.
(٤) **الوهل**: الوجل، الخوف.

فسكَّن من خَفقِ قلبٍ نَزا؛ وهَوَّن من مسِّ خَطبٍ نزَلْ
وأَطمَعَ في حَسمِ داءٍ دَهى، وإقشاعِ عارضٍ همٍّ أطَلْ
فقُل لابنِ رُذميرَ مَهلاً يَسيراً، يُقيمُ صَفاكَ الأميرُ الأجَلْ(١)
يُحَرِّقْكَ منه سَنا شُعلةٍ، هناك، ويُغْرِقْكَ طوراً وشَلْ
فمِلْ عن طريقِ شهابٍ سَرى، فأهوى، ووادي أَتيٍّ حمَلْ(٢)
وحِدْ رَهبةً عن عُبابٍ طَمى؛ ولُذْ رَغبةً بصَياصي جَبَلْ(٣)
وإلَّا فثَمَّ جَوادٌ يَعُبُّ، ونَصلٌ يَهُبُّ إذا سُلَّ صَلْ
وكُلُّ حياةٍ إلى مُنتَهى، أَجَلْ، ولكلِّ حِمامٍ أَجَلْ
تَيَقَّنَ أَنَّ اللهَ أَكرَمُ جيرَةٍ، فأزمعَ، عن دارِ الحَياةِ، رَحيلا
فإنْ أَقفَرَت منهُ العُيونُ، فإنَّه تَعَوَّضَ عَنها، بالقُلوبِ، بديلا
ولمْ أرَ أُنساً قبلَه عادَ وَحشَةً، وبَرداً على الأكبادِ عادَ غَليلا
ومَنْ تَكُ أَيامُ السُّرورِ قَصيرةً به، كانَ لَيلُ الحُزنِ فيهِ طَويلا

(٢٠٧)
غَمامُ النَّصْر

قال وقد استرجعت بلنسية من يد العدو:

أَلآنَ سَحَّ غَمامُ النَّصرِ، فانهَمَلا؛ وقامَ صَغْوُ عَمُودِ الدِّين فاعتَدَلا(٤)
ولاحَ للسّعدِ نجمٌ قد خَوى، فهَوى، وكَرَّ للنَّصرِ عَصرٌ قد مَضى، فَخَلا
وباتَ يَطلُعُ نَقعُ الجيشِ مُعتكِراً، بِحَيثُ يَطلُعُ وَجه الفَتحِ مُقتَبِلا(٥)

---

(١) ابن رذير: من سادات الفرنجة وأمرائها.
(٢) الأتيّ: السيل.
(٣) حِدْ: الأمر من حاد: مال عن. . ـ لُذْ: الأمر من لاذ: لجأ واحتمى ـ الصياصي: جمع صيصة، الحصن: المعقل الحصين.
(٤) الصغو: الميل ـ عمود الدين: ركنه.
(٥) النقع: غبار المعركة.

مِن عَسكَرٍ رجَفَت أَرضُ العَدوِّ بهِ، حتى كأنَّ بِها مِن وَطئِهِ وَهَلا
ما بينَ رِيحِ طِرادٍ سُمِّيَت فَرَساً، جَوراً، ولَيثِ شرًى يَدعُونَه بَطَلا
من أدهمٍ أخضرِ الجلباب، تَحسبُه قد استعار رِداء الليل واشتَملا
وأشهَبٍ ناصعِ القِرطاسِ، مُؤتَلِقٍ، كأنَّما خاضَ ماءَ الصُّبحِ، فاغتَسَلا[1]
تَرى بِه ماءَ نَصلِ السَّيفِ مُنسَكِباً، يَجري، وَجاحِمَ نارِ البَأس مُشتعِلا
فَغادَرَ الطَّعنُ أَجفانَ الجِراحِ به رَمْدى، وصَيَّرَ أَطرافَ القَنا قُبُلا
وأَشرَقَ الدَّمُ في خَدِّ الثَّرى خَجَلاً؛ وأَظْلَمَ النَّقعُ في جَفنِ الوَغى كَحَلا
وأَقشَعَ الكُفرُ، قَسراً، عن بَلَنسِيَةٍ، فانْجَابَ عَنها حِجابٌ كانَ مُنسَدِلا
وطَهَّرَ السَّيفُ منها بَلدَةً جُنُباً، لمْ يَجزِها غيرَ ماءِ السَّيفِ مُغْتَسِلاً[2]
كأنَّني بعُلوجِ الرُّومِ سادِرَةً، وقد تضَعْضَعَ ركنُ الكُفرِ، فاستَفَلا[3]
تَظَلُّ تَدرَأُ بالإسْلامِ عن دَمِها وهَبَّةُ السَّيفِ مِنها تسبقُ العَذَلا[4]
في مَوقِفٍ يَذهَلُ الخِلُّ الصفيُّ به عن الخليلِ، ويَنسى العاشِقُ الغَزَلا
تَرى بَني الأصفَرِ، البِيضَ الوُجوهِ به، قد راعَها السَّيفُ فاصفَرَّت به وجَلا
فَكم هُنالكَ من ضَرغامَةٍ سَفرَت، سُمرُ العَوالي، إلى احشائِه رُسَلا[5]
يُرى على جَمرَةِ المِرِّيخِ مُلتَهِباً، تحتَ القَتامِ، ويَعلُو هِمَّةً زُحَلا
قد كَرَّ في لأمَةٍ حَصداءَ، تَحسبُها بحراً، يُلاطِمُ، من أَعطافِه، جَبَلا[6]
ولِلقَنا أَعيُنٌ قد حدَّقَت حَنَقاً؛ وللظُّبى ألسُنٌ قد أَفصَحَت جَدَلا

---

(١) **القرطاس**: الصحيفة ـ **مؤتلق**: مشرق.
(٢) **البلدة الجنب**: غير الطاهرة.
(٣) **استفل**: انحطّ، صار سافلاً.
(٤) **العذل**: اللوم، والبيت يتضمن معنى **المثل المعروف**: سبق السيف العذل.
(٥) **العوالي**: الرماح.
(٦) **اللأمة**: الدرع ـ **الحصداء**: مؤنث الأحصد وهو ما جفّ من النبت وهو قائم، والكلام من باب التشبيه.

فَزاحَمَ النَّقعَ حَتَّى شَقَّ بُردتَهُ؛ وناطَحَ المَوتَ حتى خَرَّ مُنجَدِلا
مُوَسَّداً فوقَ نَصلِ السَّيفِ، تحسبُهُ مُستَلقِياً، فوقَ شاطِي جَدوَلٍ، ثَمِلا
فكم مُمَزَّقَةٍ مِن جَيبِها طَرَباً، قد مَزَّقت، بعدَه، من جَيبِها ثَكَلا
ورَقرَقَ الدَّمعَ في أَجفانِها رَشَأٌ، تَرَقرَقَ السِّحرُ، في أَجفانِه، كَحَلا
قد بَلَّلَتْ نَحرَهُ، بالدَّمعِ، جارِيَةٌ بكرٌ، تُمَسِّحُ، من أعطافِهِ، الكَسَلا
تَغُصُّ عِقدَ لآلِيهِ، وأَدمُعُهُ في نَحرِهِ، فَتَراه حالِياً عُطُلا

(٢٠٨)
بكى الدُّرُّ

أَلا بَكى الدُّرُّ فوقَ حالِيَةٍ، حَلَّى بها العِقدُ شرَّ ما حلَّى[(١)]
يَرى بها ما يمُرُّ من حَلَقٍ، مُخَبَّأً تحت مَنظَرِ الجُلَّى[(٢)]
قد راقَ مرأى وساء مُختَبَراً، فهل تُرى أثمَرَت بِها دِفلى؟[(٣)]

(٢٠٩)
حَسْبُ الفتى حِلْيَةً

يحمل في هذين البيتين على خدمة السلطان:

حسبُ الفَتى حِليَةً أَنْ يستقِلَّ بِه مَلْكٌ عزيزٌ، فَلا يَقْعُدْ بِهِ العَطَلُ
فَما احتَمى جانِبٌ لَمْ يَحمِهِ مَلِكٌ؛ ولا مَضى صارِمٌ لم يُمْضِهِ بَطَلُ

مُتَعالٍ ومُنْسَفِل

تَفاوتَ نَجلا أَبي جَعفَرٍ، فمِن مُتَعالٍ ومِن مُنسَفِلْ
فهَذا يَمِينٌ بِها أَكلُهُ؛ وهذا شِمالٌ بِها يَغتَسِلْ

---

(١) الحالية: لابسة الحلى، المزيّنة بالدرر.
(٢) الجلّى: كل أمر جلل.
(٣) الدفلى: شجر زهره حسن كالورد.

(٢١٠)
حطّت العنوانَ

قال فيمن كتبت اسمها تحت ختمها:

قالت، وقد حطَّتِ العُنوانَ جَوهرةً، عن مُرتَقى رُتبَةٍ، قد سَنَّها الأوَلُ
لا غروَ إنْ صِرتُ تحتَ الخَتمِ واقِعةً؛ إنَّ الجَواهِرَ تحتَ الخَتمِ تُحتَمَلُ

قافية الميم

(٢١١)
يا غمامُ

ألا ساجِلْ دُموعي يا غَمامُ؛ وطارِحْني بشَجوِك يا حَمامُ[1]
فقد وفَّيتُها ستِّينَ حَولاً، ونادَتني ورائي: هلْ أَمامُ؟
وكنتُ، ومن لُباناتي لُبَيْنى، هناك، ومِن مَراضِعِيَ المُدامُ[2]
يُطالِعُنا الصَّباحُ ببَطنِ حَزوَى، فيُنكِرُنا ويَعرِفُنا الظَّلامُ[3]
وكانَ بها البَشامُ مَراحَ أُنسٍ، فماذا بَعدنا فَعَلَ البَشامُ؟
فيا شَرخَ الشَّبابِ ألا لِقاءٌ يُبَلُّ به، على يأسٍ، أُوامُ[4]
ويا ظِلَّ الشَّبابِ، وكنتَ تَندى، على أفياءِ سَرحَتِك السَّلامُ

(٢١٢)
أرِقْت أُناجيهِ

قال يحنّ إلى أيّام الشّباب ويصف فرسه

أَلا سَرَتِ القَبُولُ، ولو نَسِيما؛ وجاذَبَني الشَّبابُ، ولو قَسِيما

---

(١) ساجلْ: الأمر من ساجل: عارضٍ وطارح والمساجلة: المناظرة ـ الشجى: الأسى، الحزن.
(٢) اللبانات: جمع لبانة: الحاجة ـ لُبَيْن: مصغر لُبنى.
(٣) حزوى: موضع ـ ينكرنا: خلاف يعرفنا.
(٤) شرخ الشباب: أوائله ـ الأوام: الظمأ الشديد.

وطـالَعنِـي الظَّـلامُ بـه خَيـالاً، فـأقبَـل نـاظِـري وَجهـاً وَسيمـا
تَقَضَّـى، غيـر ليـلٍ، مـا تَقَضَّـى، كـأنَّ بمَضجَعِـي فيـه سَليمـا[1]
أُصـانِـعُ عنـه طَـرفـاً قـد تَجـافـى غِـرارَ النَّـومِ، أو قلبـاً أَليمـا[2]
كـأنـي مـا أَلِفـتُ بـه شفيعـاً، هنـاك، ولا طَـرِبْـتُ لـه نَـديمـا
فمهمـا شـاقَ مـن بـرقٍ مليـحٍ، أَرِقـتُ لـه، أُنـاجِيـه كَليمـا[3]
وأَسْـأل هـل سَقـى طلَـلاً، بحَـزْوى، عفَـا قِـدمـاً، وهـل جـادَ الغَميمـا
وأَنشَـقُ، لـوعـةً، لِعَـرارِ نَجـدٍ، صَبَـا نجـدٍ أُسـائِلُهـا شَميمـا
وكنـتُ رَجَـوْتُ أن أعتـاضَ منـه، زَعِيمـاً، أو عَليمـاً، أو حَليمـا
ولمَّـا أنْ نَظَـرتُ مـع الليـالـي، فلَـم أنظُـرْ بهـا إلاَّ مُليمـا
عَبـامـاً، أو كَهـامـاً، أو جَهـامـاً، لَئيمـاً، أو ذَميمـاً، أو زَنيمـا[4]
شَـدَدتُ علـى القـوافـي كـفَّ حُـرٍّ كـريـم، لا يُسَـوِّغُهـا لَئيمـا
فمـا أُطـرِي، إذا أطـريـتُ، إلاَّ حَمِيّـاً، أو حبيبـاً، أو حَميمـا
ومَطـرُوراً أُجـرِّدُه صَقيـلاً، ويَعبـوبـاً أُكـرِّبُـه كَـريمـا[5]
إذا أَقبَلْتُـهُ سُمـرَ العَـوالـي، فلسـتُ أَرُدُّه إلاَّ كَليمـا
وقـد لَـفَّ العَـدوَّ، كـأنَّ ريحـاً، علـى شَـرَفٍ، تلُـفّ بـه هَشِيمـا
يَشِيـمُ بـه، وراءَ النَّقـعِ، بـرقـاً تـألَّـقَ شُهْبَـةً، وصفـا أديمـا
إذا أَوطـأتُـه أعْقـابَ ليـلٍ، طَـردتُ مـن الظَّـلامِ بـه ظَليمـا[6]

---

(١) المضجع: المرقد ـ السليم: الملدوغ.
(٢) الطرف: العين ـ تجافى النوم: أي لم يجد سبيلاً إلى الرقاد ـ غرار النوم: القليل من النوم.
(٣) الكليم: الجريح.
(٤) الزنيم: الدعيّ ـ جمع في هذا البيت أكثر الأسماء التي ينتفي عنها الفضل والكرم من مثل الصبام والكهام والجهام والزنيم.
(٥) المطرور: صفة السيف المحدّد ـ اليعبوب: السريع من الجياد ـ أكرّب الفرس: أشدّ حزامه.
(٦) الظليم: ذكر النعام.

(٢١٣)
أَرَى صَبْوَتي أَحْلى

ألا ثَـلَّ مـن عـرشِ الشبـابِ وثَلَّمـا، لِشَيبٍ تَصدَّى، هَدَّ رُكنِي وهَدَّما(١)
فصِرتُ، وقد أَعطَيتُ شَيبِي مقادتِي، أَرى صَبوتـي أحلـى، وشيبِـيَ أَحْلَمـا
وكـلُّ امرِىءٍ طـاشَـتْ بـه غِـرَّةُ الصِّبا، إذا مـا تَحَلَّـى بـالمَشِيـبِ تَحَلَّمـا(٢)
فهـا أنـا أَلقـى كـلَّ ليـلٍ بِليلـةٍ منَ الهمِّ، يستجري، من الدمعِ، أَنْجُما
وأَركَـبُ أَردافَ الـرُّبـى مُتـأَسِّفـاً، فـأنشَـقُ أَنفـاسَ الصَّبـا مُتَنَسِّمـا
وأَرْشُـفُ نَثـرَ الطَّـلِّ مـن كـلِّ وَردَةٍ، مَكَـانَ بيـاضِ الثَّغْـرِ مـن حُـوَّةِ اللَّمـى(٣)

(٢١٤)
أفنانُها نشاوى

يصف نارنجة

عـاطِ أخـلاَّءَكَ المُـدامـا؛ واستَسـقِ، لـلأيكَـةِ، الغَمـامـا(٤)
وراقِـصِ الغُصـنَ وهْـو رَطـبٌ، يَقَطُـرُ، أَوْ طـارِحِ الحَمـامـا
وقـد تَهـادى بهـا نسيـمٌ، حيَّـتْ سُليمـى بهـا سـلامـا
فتِلـكَ أَفْنـانُهـا نَشـاوى، تَشـربَ أَكـوابَهـا قِيـامـا(٥)

(٢١٥)
تحَوَّل رُجُوما

أَلا نَسَـخَ اللهُ القُطـارَ حجـارةً تَصُـوبُ علينـا، والغَمـامَ غُمـومـا(٦)

---

(١) انثلّ العرش: تهدّم ـ الثّلم: الفلّ، وكسر الحدّ ـ الركن: الأساس، الأصل.
(٢) غرّة الصبا: غرور الشباب ـ تحلّى: تزيّن وتجمّل ـ تحلّم: صار حليماً أي عاقلاً رصيناً.
(٣) الحوّة: السواد المستحسن في الشفتين ـ اللّمى: اسمرار الشفّة.
(٤) المدام: الخمر ـ الغمام: السحاب.
(٥) الأفنان: الأغصان، جمع فنن ـ الأكواب: الأقداح جمع كوب.
(٦) نسخ: حول ـ القطار (بضم القاف): القليل من الماء ـ الغموم: جمع غم، الحزن والكآبة.

وكانَت سماءُ اللهِ لا تُمطِرُ الحَصى، لَيالِيَ كنّا لا نَطِيشُ حُلوما
فلمّا تَحوّلْنا عَفاريتَ شِرّةٍ، تَحوّلَ شُؤبُوبُ السماءِ رُجُوما[1]

(٢١٦)
ريّا الأَحِبَّة

لكَ اللهُ من سارٍ إليَّ مُسَلِّمٍ، فَنابَ وراءَ الليلِ عن أُمِّ سالِمِ
يجُولُ به ماءُ النّضارَةِ والنَّدى، كما جالَ ماءُ البِشرِ في وجهِ قادِمِ
تَنفَّس يُهدي، عن حبيبٍ، تَحيَّةً، هَزَزنا لها، زهواً، فُضُولَ العَمائِمِ
يُذَكِّرنا ريّا الأحِبَّةِ نَفحةً، فنَذكُرهُ بالدَّمعِ سُقيا الغَمائِمِ[2]

(٢١٧)
بَيْنَ النّار والفَحَم

يا جامعاً لِمساوِيهِ وطَلعَتِه بين السَّوادَين: من ظُلمٍ ومن ظُلَمِ
أَمِثلُهُ جَسَداً في مِثلِهِ حَسَداً، لقد تألَّف بينَ النارِ والفَحَمِ

(٢١٨)
أُحِبُّهُ

أَرِقتُ لِذكرى مَنزل، شَطَّ، نازحٍ، كلِفتُ بأنفاسِ الشَّمال له شَمّاً
فقلت لبرقٍ، يَصدعُ الليلَ، لامحٍ: ألا حَيِّ عنّي ذلكَ الرَّبعَ والرَّسما
وأَبلِغْ قَطينَ الدارِ أنّي أُحِبُّه، على النَّأي، حُبّاً لو جَزاني به جَمّا
وأَقرِئْ عُفَيراءَ السَّلامَ، وقُلْ لها: ألا هَلْ أرى ذاك السُّها قَمراً تَمّا؟[3]

---

(١) تحوّلنا: صرنا ـ الشرّة: الشرّ ـ الشؤبوب: المطر الغزير ـ الرجوم: الحجارة التي يرجم بها، والشهب التي تقذف بها الشياطين.
(٢) الريّا: الرائحة ـ الغمائم: السحب الممطرة.
(٣) عفيراء: مصغر عفراء ـ السّها: من الكواكب الخفية الصغيرة.

وهــل يَتَثنّــى ذلــك الغصــنُ نَضــرةً بجزعِي، وهل أَلوِي مَعاطِفَه ضَمّا؟[1]
ومَن لي بِذاك الخِشفِ من مُتَقَنَّصٍ، فــآكُلَــهُ عَضّــاً وأَشــرَبَــهُ شَمّــا؟[2]
ودُون الصِّبا إحدى وخَمسون حِجّةً، كأنّي، وقد ولّتْ، أُرِيتُ بها حُلْما
فيا لَيْتَ طَيرَ السَّعد يَسنَحُ بالمُنى، فأحْظى بها سَهماً وأَنأى بها قِسما
ويا لَيْتَني كنتُ ابنَ عشرٍ وأربعٍ، فلم أَدْعُها بِنتاً ولم تَدعُني عَمّا

(٢١٩)
بالحياء مُلَثَّم

وأَغَرَّ يُسفِرُ، لِلعوالي والعُلى، عن حُرِّ وجهٍ، بالحياءِ مُلَثَّمِ
يَسرِي، فيَمسحُ للدُّجى عن صَفحةٍ غَرّاءَ، تَصدَعُ كلَّ ليلٍ مُظلِمِ
جَذلانَ تَحسبُ وَجهَه، مُتهلِّلاً، في هَبْوةِ الهيجاءِ، غُرَّةَ أَدهَمِ[3]
زَرَّ الحديدُ عليه جَيبَ حَمامةٍ ورقاءَ، في غَبَشِ العَجاجِ الأَقْتَمِ[4]
فكأنَّ جِلدةَ حَيَّةٍ خُلِعَت به، يومَ الكريهةِ، فَوقَ عِطفَي ضَيغَمِ[5]

(٢٢٠)
أمْسَى هِلالاً

ومُقَنَّعٍ، بُخلاً بنَضرةِ حُسنِه، أَمسى هِلالاً، وهْو بَدرُ تَمامِ
قَبَّلتُ منه أُقحُوانةَ مَبسِمٍ، رَقَّتْ وراءَ كُمامةٍ لِثُمامِ[6]
ولَثَمتُ حُمرةَ وَجنةٍ تَندى حَياً، فكَرَعتُ في بَردٍ بها وسَلامِ

---

(١) **يتثنّى**: يتمايل، ويتمايس زهواً ـ **الجزع**: موضع.
(٢) **الخشف**: ولد الظبية.
(٣) **الهيجاء**: الحرب.
(٤) **جيب الحمامة**: كناية عن الدرع ـ **العجاج الأقتم**: الغبار الأسود.
(٥) **يوم الكريهة**: الحرب ـ **الضيغم**: السبع.
(٦) **الثّمام**: ضرب من النبات الضعيف العود.

وبكلِّ مَرقَبةٍ مَناخُ غَمامةٍ، مِثلُ الضَّريبِ بها لِحاحُ لُغامِ[1]
رَعدَت، فرجَّعَتِ، الرُّغاءَ، مطِيَّةٌ، لم تَدرِ غيرَ البرقِ خَفْقَ زِمامِ[2]
أوحَت هُناك إلى الرُّبى: أنْ بَشِّري بالرَّيِّ فَرعَ أراكَةٍ وبَشامِ[3]
وكَفى بِلَمحِ البرقِ غَمزَةَ حاجِبٍ، وبصوتِ ذاكَ الرَّعدِ رَجْعَ كلامِ
في ليلةٍ خصِرَت صَباها، فاصطَلى فيها أَخو التَّقوى بنارِ مُدامِ
وأَحَمَّ مُسوَدِّ الإديمِ، كأنَّما خُلِعَتْ، عالى عِطفَيهِ، جِلدةُ حامِ[4]
ذاكي لسانِ النَّارِ، يَحسِبُ أنَّه بَرقٌ، تمزَّق عنه جَيبُ غمامِ
فكأنَّ بَدءَ النار، في أَطرافِه، شَفَقٌ لوى يَدَهُ بذَيلِ ظَلامِ

(٢٢١)

أوسَعْتُ الزّمان مَلامَا

وغَريبةٍ، هشَّت إليَّ، غَريرةٍ، فَوددتُ لو نُسِج الضِّياءُ ظَلامَا
طَرأَتْ عَليَّ، مع المشيبِ، تَشوقُني شَيخاً، كما كانَت تَشوقُ غُلامَا
مَقبولةٍ قَبَّلتُها من لَوعةٍ، نَظراً، يكونُ، إذا اعتبَرتُ، كلامَا
عَذَرَتْ، وقد أَحلَلتُها عن نِسوةٍ كِبْراً، وأوسَعتُ الزمانَ مَلامَا
عَبِقَت، وقد حنَّ الربيعُ على النَّدى، كرَماً، فأهداها إليَّ سَلامَا

(٢٢٢)

أَصْدَعُ أَحْشاءَ الظّلام

أَمَا وخيَالٍ قد أَطافَ وسَلَّما، لقد هاجنَي وَجْدٌ أَناخَ، فخَيَّمَا
وأذْكَرَني عَهداً تَقادَمَ باللِّوى، وعَصراً خَلا بينَ الكَثِيبِ إلى الحِمَى

(١) الضريب: الثلج ـ لحاح لغام: ملازمة اللعاب والمقصود القطر أو المطر.
(٢) الرغاء: صوت الإبل شبه صوت الرعد برغاء الإبل ـ الزمام: اللجام.
(٣) البشام: شجر ذو رائحة طيبة.
(٤) الأحم: الأسود، والمراد الموقد ـ حام: من أبناء نوح وهو أصل السودان.

وحَطَّ قِناعَ الصَّبرِ، والليلُ عاكِفٌ، فأفْصَح دَمعٌ كانَ بالأمْسِ أعجَمَا
وبِتُّ، وسِرِّي راكِبٌ ظَهرَ مَدمَعٍ طَليقٍ، إذا ما أَنجَدَ الرَّكبُ أتْهمَا[1]
أُناجي ظَلامَ الليلِ فيه بلَوعَةٍ، تَحدَّثَ عنها الطَّيرُ فجراً، فهَينمَا[2]
وأَسحَبُ أذيالَ الدُّجى، فَيَهيجُني حمامٌ تداعى، سَحرةً، فتكلَّمَا
وكُنتُ على عَهدِ السُّلُوِّ يَشُوقُني حُسامٌ تَغَنَّى، لا حَمامٌ تَرَنَّمَا
أُغازِلُ، مِن سيفٍ تألَّقَ، صفحةً، وأَلْثُمُ، مِن نَقعٍ أُزاحِمُه، لَمَى
وأَسري فأستَصفي، مِنَ السيفِ، صاحباً؛ وأَركَبُ، من ظهرِ الدُّجنَّة، أدهَمَا
وأَصدَعُ أحشاءَ الظَّلامِ بِفِتيةٍ، مَواكِبَ، منها أَنْجَمَ الليلُ أَنْجُمَا[3]
أَذَعْتُ بِهِمْ سِرَّ الصباحِ، وإنما سَرَرْتُ بهم ليلَ السُّرى، فتبَسَّمَا
وقد كتَمَتْهُم أَضلُعُ البِيدِ ضِنَّةً، ولم يكُ سِرُّ المجدِ إلاّ ليُكتَمَا
فَبِتنا، وبحرُ الليلِ مُلتَطِمٌ بنا، نَرى العيس غَرقى والكواكبَ عُوَّمَا[4]
وقد نثَرتْ منها، قِسِيّاً، يدُ السُّرى، وفَوَّقَ منّا، فَوقَها، المجدُ أَسْهُمَا[5]
سَحَبتُ الدُّجى منها بأعنَسَ ضامرٍ، رَميتُ به رُكنَ الدُّجى فتَهدَّمَا[6]
يُقلِّبُ طَرفاً، في الكواكبِ، سامِياً، كأنَّ به، تحتَ الظلامِ، مُنَجِّمَا
ومِن عَجَبٍ أَني أَرى القوسَ مُنحَنىً به، في يدِ البَيداءِ، والسهمَ مُرتَمَى
وجاذبَني رَجعَ الحنينِ على السُّرى، كأنَّ لـه قلباً، هناك، مُتيَّمَا
ويُطرِبُه سجعُ الحمامةِ بالضُّحى، فيَلوي إليها لِيتَه مُتفهِّمَا[7]

(١) أنجد وأتهم: على التوالي أتى بلاد نجد وأرض تهامة.
(٢) هينم: غرّد.
(٣) أنجم الليل: أطلع نجومه.
(٤) العيس: الإبل.
(٥) القسيّ: الرماح.
(٦) الأعنس: البعير الموثق الخلق.
(٧) الليت: الجيد أو صفحته.

وما كان يَدري ما الحنينُ على النَّوى؟ ولكنَّني أعدَيتُه، فتعلَّمَا
فما عاجَ بي وَجدٌ على رسمِ مَنزلٍ، فأعولْتُ، إلاّ حنَّ وَجداً فأرزَمَا[1]
وما هاجَني إلاّ تألُّقُ بارقٍ، لَبِستُ به بُردَ الدُّجُنَّةِ مُعْلَمَا
تَلوَّى هُدُوّاً يستَطيرُ، كأنَّما أَرُوعُ به، مِن سُدفَةِ الليلِ أَرْقَمَا
إذا خطَّ سَطراً، بينَ عَينَيَّ، مُذهَباً، تَداركَهُ قَطرُ الدموع، فأعجَمَا
حَمَلتُ له قَلباً جَباناً، ومَدمَعاً شُجاعاً، إذا ما أحجَم الصَّبرُ صَمَّمَا
ويا عجباً لي كيفَ أَجْبُنُ في الهوى، وإنِّي لَمِقْدامٌ، إذا الذِّمرُ أَحْجَمَا[2]
فها أنا أغشى مَوقفَ البَينِ والوَغى، فتَنَدى جُفوني عَبرَةً، ويدي دَمَا
وإلاّ فهذا غَربُ سَيفي مُثَلَّماً بِكَفِّي؛ وهذا صَدرُ رُمحِيُ مُحَطَّمَا
فيا رُبَّ وضّاحِ المحاسِنِ، أشقَرٍ، رَمَيتُ به الهَيجا، وقد فَغَرَتْ فمَا
وبحرِ حديدٍ، قد تَلاطَمَ، أخضرٍ، إذا عَصفَت رِيحُ الجِلادِ به طَمَى
أَبى عِزُّ نفسٍ أَن يَجُولَ فيُجْتَلى؛ وأَشرَفَ هادٍ أن يُنالَ، فيُلجَمَا[3]
جرى الحسنُ ماءً، فوقَه، غيرَ أنه، إذا ما جرى، نارُ الغَضا مُتَضَرِّمَا
عِدا، فاستَنار البرقُ لَوناً وسرعةً، وغَبَّرَ في وجهِ النهارِ فغَيَّمَا
بيومٍ أراني البرقَ أحمَرَ قانياً به، واستَطارَ النَّقعُ أربَدَ أقتَمَا
تَرى الطَّرفَ منه، كلَّما خاض هبوةً، مُحِلاًّ، وتَلقى الصارمَ العَضبَ مُحرِمَا[4]

(٢٢٣)
وانتحيْنا مُدامَه

قامَ يَسعَى بها غُلامٌ يُغَنِّي، فانثَنى خُوطةً وناحَ حَمامَهْ

---

(١) أرزم: حنّ، والمراد أرزمت النّاقة إذا أرسلت صوت حنينها.
(٢) الذّمر: الباسل الشجاع ـ أحجم: تراجع ونكص.
(٣) يجتلى: ينظر إليه، يتأمل ـ الهادي: من أسماء الأسد، والمراد جواده.
(٤) المحرم: خلاف المحل، أي الذي يعطل الحرام.

وانتَحَينا، من طَرفِه ويَديهِ ولمَاهُ ووجنَتَيه، مُدامَهْ
والدُّجى قد لَوى لِواءَ الثُّريَّا، وانتضَتْ راحةُ الصباحِ حُسامَهْ
وكأنَّ الغَمامَ، والبرقَ يهفُو، راكِبٌ سَلَّمَ النُّعاسَ زِمامَهْ

(٢٢٤)
أَشْكو إليها

لكَ اللهُ مِن برقٍ تراءَى، فسَلَّما، وصافَحَ رَسماً، بالعُذيبِ، وَمَعْلَمَا(١)
إذا ما تَجاذبنا الحديثَ، على السُّرى، بَكيتُ على حُكمِ الهَوى، وتَبَسَّمَا
ولمَ أَعتَنِق بَرقَ الغَمامِ، وإنما وضَعتُ على قلبي يَديّ تألُّمَا
وما شَاقَني إلاَّ حَفيفُ أُراكَةٍ، وسَجعُ حَمامٍ، بالغُمَيمِ ترَنَّمَا(٢)
وسَرحَةُ وادٍ هَزَّها الشَّوق لا الصَّبا، وقد صَدَحَ العُصفورُ فَجراً، فَهينَمَا(٣)
أَطَفتُ بها أَشكُو إليها وتَشتَكي، وقد تَرجَمَ المُكّاءُ عنها، فأفْهَمَا(٤)
تَحِنُّ، ودمعُ الشوقِ يَسجُم، والنَّدى، وقَرَّ بَعَيني أَن تَحِنَّ ويسْجُمَا
وحَسبُك مِن صَبٍّ بَكى وحمامةٍ، فلم يُدرَ شُوقاً أيُّما الصَّبُّ منهُمَا
ولمَّا تَراءَت لي أَثافِيُّ منزِلٍ، أَرتني مُحيّا ذلكَ الرَّبعِ أَهيَمَا(٥)
تَرنَّحَ بي لذعٌ، من الشوق، موجعٌ، نَسيتُ له الصبرَ الجميلَ تألُّمَا
فأسلَمتُ قلباً باتَ يَهفُو به الهوى؛ وقُلتُ لِدَمعِ العينِ أنجِدْ، فأتْهَمَا
وخَلَّيتُ دَمعي والجُفونَ هُنيهةً، فأفصَحَ سِرٌّ ما فغرتُ به فمَا
وعُجتُ المَطايا حَيثُ هاجَ بِيَ الهَوى؛ فحيَّيتُ ما بينَ الكَثيبِ إلى الحِمَى

---

(١) **العذيب**: موضع ـ **السّرى**: السير ليلاً.
(٢) **الأراكة**: واحدة الأراك وهو شجر يستاك به ـ **الغميم**: واد في أرض العرب.
(٣) **السرحة**: الشجرة الضخمة ـ **الصّبا**: الريح الناعمة.
(٤) **المكاء**: جمع مكائي، ضرب من الطيور التي ترسل صوتاً كالصفير.
(٥) **الأثافي**: حجارة الموقد ـ **الرّبع الأهيم**: الأسود الحالك.

وقبّلتُ رَسمَ الدارِ حبّاً لأهلِها، وَمن لمْ يَجِد إلاَّ صَعِيداً تَيَمَّمَا[1]
وحنّت رِكابي، والهوى يَبعثُ الهَوى، فلَم أرَ في تَيماءَ إلاَّ مُتَيَّمَا[2]
فها أنا والظّلماءُ والعِيسُ صُحبَةٌ، تَرامى بنا أَيدي النَّوى كلَّ مُرتَمَى
أُراعِي نُجومَ اللّيلِ حُبّاً لِبدرِهِ، ولَستُ كما ظَنَّ الخَليُّ مُنَجِّمَا
وما راعنَي إلاّ تبسُّم شَيبَةٍ، نَكَرتُ لها وَجهَ الفَتاةِ تَجَهُّمَا
فَعِفتُ غُراباً، يصدَعُ الشّملَ، أبيضاً، وكان، على عَهدِ الشبيبَةِ، أَسْحَمَا[3]
فآهِ طويلاً ثمَّ آهِ لِكَبرَةٍ، بَكَيتُ على عَهدِ الشبابِ بِها دَمَا
وقد صدِئَتْ مِرآةُ طَرفي ومِسمَعي، فما أَجِدُ الأشياءَ كالعَهدِ فِيهِمَا
وهل ثِقَةٌ في الأرضِ يَحفَظُ خِلَّةً، إذا غَدرا بي: صاحِبانِ هُما هُمَا
كأنْ لَمْ يَشُقني مَبسِمُ الصبحِ باللّوى؛ ولم أرتَشِفْ من سُدفَةٍ، دونه، لَمَى[4]
وَلم أطرُقِ الحسناءَ، تَهتَزُّ خُوطَةً، وتَسحَبُ من فَضلِ الضَّفيرةِ أرقَمَا
ولا سِرتُ عَنها أَركَبُ الصّبحَ أشهباً، وقد جِئتُ، شوقاً، أَركَبُ الليلَ أدهَمَا
ولا جاذَبَتني الريحُ فَضلَ ذؤابَةٍ، لَبِستُ بها ثَوبَ الشبيبةِ مُعْلَمَا[5]

(٢٢٥)
فَانْصَاعَ يَنْسَابُ

وظَلامِ لَيلٍ لا شِهابَ بأفقِهِ، إلاَّ لنَصلِ مُهنَّدٍ أو لَهذَمِ[6]
لاطَمتُ لُجَّتَهُ بِموجَةِ أشهَبٍ، يُرمى بها بَحرُ الظلامِ، فتَرتَمي

(١) التيمّم: مسح الأطراف والوجه بالتراب إذا لم يوجد الماء الصالح للوضوء من أجل تأدية الصلاة.
(٢) تيماء: موضع في أرض العرب ـ المتيم: العاشق المولّه بالحب.
(٣) الأسحم: الأسود.
(٤) السدفة: (من الأضداد)، وهي بمعنى الضوء والظلام.
(٥) المعلم: ذو العلامة.
(٦) اللهذم: السيف الحادّ القاطع.

قــد ســالَ فــي وجــه الــدُّجُنَّــة غُــرَّةٌ، فــالليــلُ فــي شِيَــةِ الأغــرِّ الأدْهَــمِ[1]
أطلَعَــتُ منــه، ومِــن سِنــانٍ أزرقٍ ومُهَنَّــدٍ عَضــبٍ، ثــلاثــةَ أنْجُــمِ[2]
إن يَعتكــرِ لَيــلُ العَجــاجَــةِ تَستَتِــرْ، أو يَعتَــرِضْ شَيطــانُ حَــربٍ تُــرجَــمِ[3]
جــاذَبتُــه فَضــلَ العِنــانِ، وقــد طَغــى، فــانصــاعَ يَنســابُ انسِيــابَ الأرقــمِ
فــي خُضــرِ عُــودٍ بــالأراكِ مُــوَشَّــحٍ، أو رأسِ طَــودٍ بــالغَمــامِ مُعَمَّــمِ
أو بحــرِ نَحــرٍ بــالحَبَــابِ مُقَلَّــدٍ، أو وَجــهِ خَــرقٍ بــالضَّــريــبِ مُلَثَّــمِ[4]
حتــى تَهــادى الغُصــنُ يــأطُــرُ مَتنُــه طَــرَبــاً، لِشَــدوِ الطــائــرِ المُتَــرَنِّــمِ
وكــأنَّ ضَــوءَ الصبــحِ رايــةُ ظــافِــرٍ، نَفَضَــت بــه الهَيجــاءُ نَضحــاً مِــن دَمِ[5]

(٢٢٦)
وَأَسْهَرُ لوعَةً

وأَلْــزَمتُــه حُكــمَ الهَــوى فــالتَقــى بــه، وبــي أَلِــفٌ عنــدَ العِنــاقِ وَلامُ
وبِتْنــا خَليطَــيْ ضَمَّــةٍ واعتِنــاقَــةٍ، كمَــا خــالَطَــت، مــاءَ الغَمــام، مُــدامُ
تَشُــفُّ بــيَ الشَّكــوى إليــه وتَــرتَقــي، وأَسهَــرُ فيــه لَــوعَــةً وينَــامُ
وأَستكتِــمُ الشِّعــرَ اسمَــه خــوف كــاشِــحٍ، فبينــي وبيــنَ الشعــرِ فيــه ذِمــامُ[6]
فــلا أُنــسَ إلاَّ فــي عُيــونِ قصــائــدٍ تُنَبِّــهُ بــالإنشــادِ، وهْــيَ نيــامُ
ولــمْ يطــوِ شِعــرٌ قَبلَــهُ مــن سَــرِيــرةٍ، ولكــنَّ أَشعــارَ الكــرام كِــرامُ

---

(١) الأدهم: الفرس الأسود اللون.
(٢) العضب: السيف القاطع.
(٣) يعتكر: يسود ويظلم ـ العجاجة: الغبار.
(٤) الخرق: الأرض القفراء.
(٥) نفضت نضحاً من الدم: يشير إلى الإحمرار الذي يظهر في الأفق الشرقي عند شروق الشمس.
(٦) الكاشح: العدو المبغض.

(٢٢٧)
وسرى الهِلالُ

طافَ الظلامُ به فأسرَجَ أدهَما، وسعا السِّماكُ به فأشرَعَ لَهذَمَا[1]
وسَرى يطيرُ به عُقابٌ كاسِرٌ، أمسى يُلاعِبُ من عِنانٍ أرْقَمَا[2]
زَحمَ الدُّجى منه برُكْنَيَ هيكلٍ، لو كان زاحَمَ شاهقاً لتَهدَّمَا[3]
في سُدفَةٍ يَندَى دُجاها صَفحةً، ويَطيبُ رَيّاً ريحُها مُتَنَسَّمَا
فتكادُ رِيقَةُ طَلِّها أن تُحتَسى رَشْفاً، ومَبسِمُ بَرقِها أن يُلثَمَا[4]
مِن ليلةٍ غَنَّيتُ فيها، أنثَني طَرباً، وأسعدَني المطيُّ فأرزَمَا
وسرى الهِلالُ يَدِبُّ فيها عَقرباً، وانسابَ مُنعَطَفُ المَجرَّةِ أرقمَا
وتَلَدَّدتْ، نحو الحِمى، بي نظرةٌ عُذريَّةٌ، ثَنَت العِنانَ إلى الحِمَى[5]
فلَويتُ أعناقَ المَطيِّ مُعَرِّجاً؛ ونَزَلتُ أعتَنِقُ الأراكَ مُسَلِّمَا
مُتَنَسِّماً نَفَسَ القَبُول، وربما أوري زِنادَ الشوقِ أن أتنَسَّمَا[6]
فسَألتُ أحساءَ الدُّموعِ علامةً؛ ولوَيتُ أحناءَ الضُّلوعِ، تألَّمَا[7]
في مَنزلٍ ما أوطَأتهُ حافِراً عُرْبُ الجِيادِ، ولا المَطايا مَنْسِمَا
أكرَمتُهُ عن أن يُنالَ بِوطأةٍ، ولمثلِهِ من مَنزلٍ أنْ يُكرَمَا
دمَعَتْ به عينُ الغَمامِ صَبابةً، ولربما طَرِبَ الجوادُ فحَمْحَمَا
ما أذكَرتني العَهدَ فيه أيكةٌ، إلّا بَكَيتُ، فسالَ واديها دَمَا

---

(١) السّماك: نجم.
(٢) أراد بالعقاب الكاسر: الفرس النشيطة الحثيثة الجري.
(٣) الهيكل: الفرس الضخم.
(٤) الريقة: الريق، رضاب الثغر ـ تحتسى: تشرب ـ يلثم: يقبل.
(٥) تلدّد: تحير.
(٦) القبول: ريح الصّبا الناعمة.
(٧) أحساء الدموع: استعارة. وواحد الأحساء الحسي وهو مستنقع الماء أو موضع تجمعه.

وسَجعتُ أندُبُ لَوعَةً، ولربما صَدَحَ الحَمامُ يُجيبُني، فتَعَلَّمَا

(٢٢٨)

مِلْ إلى أيْكةٍ

أنعم، فقد هبّتِ النُّعامَى، ونبّهت ريحُها الخُزامَى(١)
ومِلْ إلى أيكةٍ بَليلٍ، يَهفُو، اهتزازاً بها، قُدامَى(٢)
تَهُزُّ أعطافَها القوافي لها، وأكوابُها النَّدامَى
كأنَّ أُمّاً بها رَؤوماً، تَحضُنُ، من شَربها، يَتامَى

(٢٢٩)

عَلَى الغُصْنِ سلامُ

ربما استضحَكَ، الحَبابَ، حبيبٌ نَفَضَتْ، ثَوبَها، عليه المُدامُ
كلّما مرَّ قاصِراً من خُطاهُ، يتهادى كما يَمُرُّ الغَمامُ
سلَّم الغُصنُ والكَثيبُ علينا، فعلى الغُصنِ والكَثيبِ السلامُ

(٢٣٠)

ما راقني كمجدِك

عثر صديق ابن خفاجة الفقيه أبو أمية وأصابه وهن فبعث إليه بهذه القصيدة

بذاتِ المَكارِمِ ذاكَ الألَمْ؛ وفي اللهِ ما نابَ تلكَ القَدَمْ
فروَّعَ حتى نُجومَ العَلاءِ، وضَعضَعَ حتى سماءَ الكَرَمْ
مُهِمّ تَعاطي رُكوبَ السُّرى، فصمَّمَ يَطرُقُ حتى ألَمّ
ووافى، يُقَلِّصُ أذيالَه، ليَعبُرَ لُجَّةَ بحرٍ خِضَمّ
وهابَ، فألقى، على وجهِه، قِناعَ سوادِ الدُّجى، والتَثَمْ

---

(١) النعامى: ريح جنوبية. الخزامى: زهرة طيبة الرائحة.

(٢) القدامى: طليعة الجيش المتقدّمة.

وأَمَّ يَــدِبُّ دَبِيــبَ الكَــرى، ويَمشِــي الضَّــراءَ بــذاكَ الحَــرَمْ[1]
وللسَّعْــدِ طَــرفٌ بــه كــالِــئٌ، يُــراعــي الهِـزَبـرَ، ويَحمِـي الأَجَـمْ[2]
فمــا طَــرَقَ الحــيَّ حتــى اتَّقــى؛ ولا استَقبَــلَ المجــدَ حتــى احتشَــمْ
وولَّــى يكُــدُّ الخُطــى خَشيــةً، ويَحــذَرُ مِمَّــا اجتــرى واجتَــرَمْ[3]
فــلا زالَ يــرمــي، فيُصمِــي العِــدى، وتكتَنِــفُ ابــنَ عِصــامٍ عُصَــمْ[4]
هُمــامٌ، لِعَيــنِ الهُــدى نــاظِــرٌ بــه، ولــوجــهِ العُلــى مُبتَسَــمْ
أَضــافَ إلــى مُجْتَلــىً مُجْتَنَــى: فبَــرقٌ يُشــامُ ورَوضٌ يُشَــمْ[5]
وفــاتَ الــريــاحَ وطــالَ الــرمــاحَ، فطَــولٌ عمِيــمٌ وطُــولٌ عَمَــمْ[6]
يمُــدُّ بغُــرِّ الأيــادي يــداً، تَصــاحَــبَ فيهــا النَّــدى والقَلَــمْ
فيَمحُــو مِــدَادَ سَــوادِ الــرَّجــا بمــا فــاضَ مِــن مــاءِ بيــضِ النِّعَــمْ
ويكتُــبُ، والخَطــبُ مُستَفحِــلٌ، فيَــدفَــعُ فــي صَــدرِ مــا قــد أَهَــمْ
فيــا رُبَّ حيَّــةِ وادٍ رقَــى، هنــاكَ، ورُقعــةِ وشــيٍ رقَــمْ
ففــي وَجــهِ مَكــرُمــةٍ غُــرَّةٌ تُنيــرُ، وفــي أَنــفِ مَجــدٍ شَمَــمْ
وإنَّــا، إذا مــا تَصــدَّى الصَّــدى، لَنكــرَعُ فــي مــاء تِلــكَ الشِّيَــمْ[7]
ونَســري، وقــد قَــرَّ ليــلُ السُّــرى، فَنقبَــسُ مِــن نــارِ ذاكَ الفَهَــمْ

---

(١) **الكرى**: النّوم ـ **مشى الضّراء**: أي مشى متوارياً بين الأشجار.

(٢) **الكالي**: الحافظ الذي يحرس ويرعى ـ الهزبر: الأسد الأجم: جمع الأجمة العرين، مأوى الأسد.

(٣) **اجترا**: مخفف: اجترأ، واجترأ: أقدم بجرأة ـ **اجترم**: اقترف جريمة.

(٤) **يصمي العدى**: يرميهم فيقتلهم ـ تكتنفه: تحيط به ـ **العصم**: جمع العصمة وهي الصون والحفظ من الأذى والشرّ.

(٥) **المجتلى**: المنظر ـ **المجتنى**: ما يجنى ـ مدحه وجعله منهلاً يرده المعتفون وذوو الحاجة.

(٦) **الطّول**: الفضل ـ **العميم**: الشامل ـ **العمم**: الكامل في القوة والفتوة.

(٧) **الصدى**: الظمأ والعطش الشديد ـ **نكرع**: نمد العنق ونتناول الماء بفينا من موضعه ـ **ماء الشيم**: استعارة شخص بها مكارمه وجعلها مورداً يرتوى منه الظامئون.

ولَسنـــا، وآراؤه أَنجُـــمٌ، نَصِـلٌ، وغُـرَّتُـه بـدرُ تـمْ
فما شِئتَ من سيِّدٍ أيِّدٍ، يَصُدُّ العِدى ويَسُدُّ الثُّلَمْ
يَغارْ وَيَمْنَعُ من غارَة، فيَحمِي الحرِيمَ ويرعى الحُرَمْ
ويَغشى النَّديَّ بخُلقٍ نَدٍ، تَرى الماءَ يَجري به من عَلَمْ
فهَضبَةُ حِلمٍ، إذا ما احتبى، وقِسطاسُ عدلٍ، إذا ما حَكَمْ[1]
يَسيرُ به الحَقُّ سَيرَ القَطا، فيَقضِي ويمضِي، مُضِيَّ الخُذُمْ[2]
يُسدِّدُ حتى صُدورَ القَنا؛ ويَضربُ حتى رُؤوسَ البُهَمْ[3]
ويَهجُرُ في الله حتى الكَرى؛ ويألَفُ في الله حتى نَعَمْ
وحسبُك من أَوحَدٍ أَمجدٍ، تُباهِي به العُربُ صِيدَ العَجَمْ
سَنِيُّ العَطايا، حفِيُّ التَّحايا، عَلِيُّ السَّجايا، وفِيُّ الذِّمَمْ
يُنَوِّرُ، بالبِشرِ، أَخلاقَه، ويَجري بكفَّيهِ ماءُ الكَرَمْ
ويهتَزُّ، للضيفِ، خُدّامُه، وتُعدِي سَجايا المَوالي، الخَدَمْ
فَزُرْهُ تَزُرْ رَوضَةً غَضَّةً؛ وحَيِّ تَجِدْ هِزَّةَ الغُصنِ، ثَمْ[4]
ودَعْ عنكَ من جاهلٍ ذاهلٍ، كأنَّكَ حَيَّيتَ منه صَنَمْ
فما ظُلمَةُ الجهلِ إلاَّ عَمىً؛ ولا نَبوَةُ الفَهمِ إلاَّ صَمَمْ
ولا شرفُ المرءِ غيرُ النُّهى، وإلاَّ فحيثُ الوُجودُ العَدَمْ
ولا العِزُّ إلاَّ اعتِقالُ القَنا، وضَربُ الطُّلى، واعتِسافُ الظُّلَمْ[5]
وجَوبُ الفُجاجِ، وخوضُ الهِياجِ، وشَقُّ العَجاجِ، ووَطءُ القِمَمْ[6]

---

(١) **الحلم**: الوقار والتعقل ـ **القسطاس**: الميزان.
(٢) **القطا**: طائر يشبه الحمام ـ الخذم: جمع الخذوم، السيوف الماضية.
(٣) **يسدّد**: يصوب ـ القنا: الرماح ـ البهم: جمع البهمة، الشجاع.
(٤) **ثَمّ (بفتح الثاء)**: هنالك، أي تجد في روضته.
(٥) **اعتسف الظلم**: سار يخبط في الظلام.
(٦) **جاب**: قطع ـ **الفجاج**: جمع فج وهو الطريق بين الجبلين ـ **العجاج**: الغبار، والمراد غبار=

وحسبُ الدُّمى والعِدى أنّني	رَشفتُ اللَّمى، وخضبتُ اللِّمَمْ
وأكرهتُ صدرَ القَنا والظُّبى،	فهذا تثنَّى وذاك انثلَمْ
وأقبلتُ، وجهَ الرَّدى، أدهماً،	رَميتُ الصَّباحَ به، فادلَهَمْ[٤]
كأني، وقد رثَّ ثوبُ الدُّجى،	رَتقتُ به خَرقَهُ فالتَأمْ
وليلٍ قدَحتُ به عَزمةً،	قدَحتُ الظَّلامَ بها فاضطَرَمْ
وأوطأتُ أحشاءَهُ أشقراً،	كأني نَفختُ به في ضَرَمْ
كأني، وقد خَبَطَ الليلُ بي،	قَدحتُ به شُعلةً في فَحَمْ
ويا رُبَّ ليلٍ جَنيِّ المُنى،	شَهيِّ اللَّمى، مُستطابِ اللِّمَمْ
لَهوتُ، ودُون التِماحِ الصباحِ	ظلامٌ سَجا، وغمامٌ سَجَمْ
يُمَدُّ الشَّرابُ بِبَردِ الرُّضابِ،	وجنحُ الظَّلامِ بسُودِ اللُّمَمْ[١]
وقد كَتَمَ الليلُ سِرَّ الهوى؛	ونَمَّت بما استَودَعَتْهُ النَّسَمْ
وأهدى، إلى الرَّوضِ، نشرُ الصَّبا	سلاماً، يَلُفُّ فُرُوعَ السَّلَمْ[٢]
تَحمَّلَ، من شُكرِ قاضي القُضاةِ،	ثَناءً، تجَسَّمَ طِيباً، فَنَمْ
أَرِقتُ، أغُوصُ، على دُرِّهِ،	وقد ماجَ بحرُ الدُّجى والتَطَمْ[٣]
وقد وَقفَ الليلُ لا يَهتَدي،	فتَخطُو به، لِلثريّا، قَدَمْ
وغامَ، فأجهَشَ حتى بكَى	سُحَيراً، وأبرقَ حتى التَدَمْ[٤]
ولَمّا تَرنَّمتُ أُطرِبتُهُ	بما صُغتُ أُطرِيكُمُ، فابتسَمْ
فيا شمسَ سعدٍ، إذا ما اعتَزَى؛	وكَوكَبَ رَجْمٍ، إذا ما اعتَزَمْ
أَبى طَودُ عِزّكَ من أن يُضامَ،	وأبطَحُ خُلقِكَ من أن يُذَمْ

= الحرب ـ وطء: دوس ـ القمم: الأعالي.

(١) يمدّ: يمزج ـ الرّضاب: الريق ـ اللّمم: جمع لّمة، الشعر المجاوز شحمة الأذن.

(٢) السّلم: نوع من الشجر يتخذ للدباغة.

(٣) أرقت: سهدت، لم أنم ـ التطم البحر: هاج موجه.

(٤) سحيراً: قبيل الفجر ـ التدم: اضطرب.

وإنّــي، ومَجــدِكَ، مــا راقَنــي كمَجــدِكَ، أعِــزز بــه مــن قَسَــمْ!

(٢٣١)
الشّفيع الأَكرَمُ

خاطب بهذه الأبيات أبا مدافع العربي مستشفعاً.

يـا أيهـا الطَّـودُ المنيـعُ الأَيْهَـمُ؛ يـا أَيُّهـا البَطَـلُ الكَمـيُّ المُعَلَّـمُ[1]
هـا أَنَّ لـي، عنـدَ الليـالي، حـاجـةً، بعُـدَت منـالاً، والليـالـي تَلـؤمُ
والفضـلُ يـأبـى أن تَفُـوتَ لُبـانَـةٌ، وأبُـو مُـدافِـعِ الشَّفيـعُ الأكـرَمُ
فـامنُـنْ بهـا يـدَ نعمـةٍ يُـزهـى بهـا، مـن غِـرَّةٍ، هـذا الـزمـانُ الأدهَـمُ
واسلَـمْ بمُعْتَـرَكِ الفـوارِس، والظُّبـى تَحنِـي قـراعـاً، والعَـوالـي تُحطَـمُ

(٢٣٢)
جاءَتْ بها كريمةً

رفع ابن خفاجة هذه القصيدة إلى مريم بن إبراهيم مستشفعاً
بها إلى الأمير أبي الطاهر

يَمَّمـتُ مـن عَليـاكَ خيـرَ مُيَمَّـمِ؛ وحلَلـتُ مـن مَغنـاكَ دارَ مُخَيَّـمِ
فخلَعـتُ عـن عُنقـي حَميلـةَ صـارمٍ؛ و أَرَحـتُ نفسـي مِـن حُمـالـة مَغـرَمِ[2]
ونـزَلـتُ مـن خِصـبٍ بـأمـرَعِ مَنـزِلٍ؛ وحَللـتُ مـن أمـنٍ بـرأس يَلَمْلَـمِ[3]
ولئـن تَهـادَتنـي المطـايـا والسُّـرى، وعُبـابُ لُجَّـةِ كـلّ ليـلٍ مُظلِـمِ
فلقـد سكَنـتُ، ولليـالـي جَـولـةٌ، كُحِلَـتْ، بهبَـوتَهـا، عيـونُ الأنجُـمِ
وكفـى احتِمـاءً مَكـانَـةٍ، وصِيـانـةٍ، أنّـي عَلِقـتُ بـذِمَّـةٍ مـن مَـريـمِ
ذاتِ الأمـانـةِ والـدِّيـانـةِ والتُّقـى، والخُلـقِ الاشـرفِ والطَّريـقِ الأقـوَمِ

---

(١) الطود: الجبل ـ الأيهم: الجبل الشاهق الشامخ.
(٢) حميلة الصارم: حمالة السيف ـ الحمالة: ما يدفع غرامة، الدية.
(٣) يلملم: اسم جبل على مسافة من مكة.

ذاتِ الجلالةِ والجزالةِ والنُّهى، والبيتِ الارفَعِ والنِّصابِ الأكرَمِ
من أُسَرةٍ يتلثَّمونَ إلى الوغى، يومَ الحفيظةِ، بالعَجاجِ الأقتَمِ[1]
من بيتِ عزٍّ، من نِبالٍ، حيثُ لا تُلقى بغيرِ مُسوَّدٍ ومُعظَّمِ[2]
مُتهلِّلٍ للطَّارقينَ بَشاشةً؛ أو ضاربٍ رأسَ الكميِّ المُعلَمِ
طلقٍ يَشِفُّ لثامُه عن كوكبٍ مُتألِّقٍ، في الحادث المُتجهِّمِ[3]
مُتقدِّمٍ في صدرِ كلِّ كتيبةٍ شَهباءَ، يَندى جانباها بالدَّمِ
يَثني بها، عِطفَيه، كلُّ مثقَّفٍ لَدْنٍ، ويَضحكُ كلُّ أبيضَ مِخذَمِ
إن جادَ جَادَ هناكَ حاتِمُ طيّئٍ أو صالَ صالَ ربيعةُ بنُ مُكَدَّمِ[4]
وإنِ استَجرتَ به استجَرتَ بهَضْبَةٍ، مأوى الطَّريدِ بها وكنزُ المُعدَمِ
لا تَعثُرُ الأحياءُ، دُون طُروقِه، إلاّ بِشلوةِ لَهذمٍ أو ضَيغَمِ[5]
تُنمي إليه، من الحرائرِ، حُرَّةٌ، تَغنى بسُؤدُدِ ذاتها أن تَنتَمي
مَشهورةٌ في الفَضلِ، قِدماً، والنُّهى، والنُّبلِ، شُهرةَ غُرَّةٍ في أدْهَمِ
جاءَت بها الغُرُّ الكرامُ كريمةً، لا تَشرَئبُّ إلى بياضِ الدِّرهَمِ
سِطَةُ القِلادةِ رِفعَةً، ومكانُها، من كلِّ مَعلاةٍ، مكانُ اللَّهذَمِ[6]
تُولي الأيادي عن يدٍ نَزَلَ النَّدى «منها بمنزِلَةِ المُحبِّ المُكرَمِ»[7]

---

(١) **الوغى**: الحرب ـ **يوم الحفيظة**: يوم الذود عن الحرمات ـ العجاج الأقتم: غبار المعركة الأسود.

(٢) **النبال (هنا)**: جمع نبيل، أي ذو الأصالة والنبل.

(٣) **الحادث المتجهم**: الحادث المدلهم.

(٤) **حاتم طيء**: هو الذي يضرب به المثل في الكرم ـ ربيعة بن مكدّم: من الفرسان المعروفين قبل الإسلام.

(٥) **الشلوة**: مؤنث الشلو وهو الجزء من كل جسم ـ **اللهذم**: السيف ـ **الضّيغم**: الأسد.

(٦) **السطة**: الواسطة أي واسطة القلادة أو العقد وهي أكبر حباته ودرره.

(٧) الشطر الثاني من معلقة عنترة بن شدّاد، وأول هذا البيت:

ولقد نزلتُ، فلا تظني غيره. . .

مـن كـلِّ عـارِفَـةٍ، كمـا انسجـم الحَيـا، وافتـرَّ بـارَقُ مُـزنَـةٍ عـن مَبْسِـم
عَلِقَـتْ بهـا، حُـرَّ الثَّنـاءِ، عَقيلَـةٌ أنـدى يَـديـن مـن الغَمـامِ المُـرزِمِ[1]
جـودٌ تَنُـوءُ بـه الـرِّكـابُ علـى السُّـرى، مـن مُنجـدٍ أَرِج الـرِّيـاحِ ومُتْهِـمِ
يَنـدى بـه النَّبـتُ الهَشيـمُ نَضـارةً؛ ويَنِـمُّ ذيـلُ الـرِّيـحِ طيـبَ تَنَسُّـم
خبـطَ البـلادَ يَمُـرُّ غيـر مُغَيِّـمٍ؛ فـي حـالـةٍ، ويَصُـوبُ صَـوبَ مُـدَيِّـم[2]
ويَفُـكُّ مـن أَغـلالِ أَسـرى فـاقَـةٍ، وفَصيـحِ قـومٍ فـي مَقـادَة أَعجَـمِ
ملكَـتْ بـه، الأحـرارَ، أَكـرَمُ حُـرَّةٍ، بَسَـطَ المُقِـلُّ لهـا يميـنَ المُعْـدَمِ
حمـلَ، الثَّنـاء، بهـا القَـريـضُ، وإنَّمـا حَمَـلَ الحَـديـثَ رِوايـةً عـن مُسلِـمَ

(٢٣٣)
رِجالٌ نُجُبٌ

قال هذا الشعر نزولاً عند رغبة السلطان التي أفصح بها وزيره أبو القاسم بن الرقيق طالباً إليه أن يقول شعراً موطّأً له بالغزل، فأنشد:

قُـلْ لِمَسـرى الـريـحِ مـن إِضَـمِ، وليـالينـا بـذِي سلَـمِ[3]
طـالَ ليلـي فـي هـوى قمـرٍ، نـامَ عـن ليلـي ولـم أَنَـم
وأَبـي، حيَّـاهُ مـن رَشـإٍ، مُستَطـابِ اللّثـمِ والشَّيَـمِ[4]
لتَسـاوى مـا بنَظـرَتِـه، وبِجِسمـي فيـه مـن سَقَـمِ
لا مَسَحـتُ الجَفـنَ مـن سَهَـرٍ، ووَقَيـتُ القلـبَ مـن أَلَـمِ
ولَئِـن راوَدْتُ مـن سِنَـةٍ لِمـا أَرتـادُ مِـن حُلُـمِ[5]

---

(١) **أندى**: أكثر ندى، أي جواداً وعطاء ـ **الغمام المرزم**: المرعد.

(٢) **المديّم**: المطر الدائم الهطول.

(٣) **إضم، وذو سلم**: موضعان.

(٤) **الرشأ**: ولد الغزال، شبه به المحبوب ـ اللثم: التقبيل.

(٥) **السِّنة**: النّوم، وراودت من سنة أي حاولت النوم ـ **أرتاد**: أبغي.

وخِيالٍ، لو سَرى لخَبا … ما بصدرِ الصَّبّ من ضَرَمِ
فسقَى اللهُ مَضاجِعنَا، … بين طَلحِ الجِزعِ والسَّلَمِ[1]
وبكى باكي الغَمامِ بها، … بينَ مُنهَلٍ ومُنسَجِمِ
فلكَمْ شكوى، هناك، لنا؛ … ولَكَمْ نجوى بها وكمِ...
والتثامٍ بينَ مُعتَنِقٍ، … واعتَناقٍ بينَ مُلتَثِمِ
بكلامٍ رقَّ جانِبُه، … بينَ مَنثورٍ ومُنتَظِمِ
فتَعاقَدْنا يداً، بيدٍ؛ … وتعاهَدْنا فماً لفمِ
وانتَصفْنا من مَظالِمِنا … وأخَذْنا أخْذَ مُحتكِمِ
وانثنى يَمشي به غُصُنٌ، … من جَناهُ نَورُ مُبتَسِمِ
وقبلتُ الكأسَ من يدِه، … فاجتَنَينا الوَرْدَ من عَنَمِ[2]
وسواءٌ دُرُّ مَنطِقِه، … وحُلاهُ، حُسنَ مُنتَظَمِ
صَمَّ سَمعي فيه عن عَذَلٍ؛ … وابنُ سِتّينَ أخُو صَمَمِ
فأراني، لا أرى صَدداً … عَن وُلُوعٍ، والغَرامُ عَمِي
أينَ ما عانَيتُ من شَغَفٍ؛ … أينَ ما قضَّيتُ من لَمَمِ؟
أين ما أحرَزتُ من أملٍ، … آلَ يَطْوِينِي على ألَمِ؟
هلْ لَدَيَّ اليومَ، منه سِوى … طُولِ قرعِ السِّنِّ من نَدَمِ؟
كلُّ رَيّانٍ إلى ظَمإٍ؛ … كلُّ وجدانٍ إلى عَدَمِ
أيُّ شَملٍ غيرُ مُنصَدِعٍ؛ … أيُّ حَبلٍ غيرُ مُنصَرِمِ؟
آهِ تَحتَ الليلِ من أرَقٍ، … ووَراءَ البُرءِ من سَقَمِ!
مالَ بي عن عيشَةٍ، كَرُمَتْ، … عُمُرٌ، أدنى إلى الهَرَمِ
عاثَ في خَطِّ العِذارِ به … شرَرٌ، قد طارَ في فَحَمِ

---

(١) الطلح: شجر الطلح، الجزع والسلم: موضعان.

(٢) العنم: أراد ثمر العنم وواحدته العنمة الحمراء اللون، يشبه بها البنان.

وبَيــاضُ العَيـشِ مُقتَـرِنٌ بسَـوادِ العُـذرِ واللَّمَـمِ[1]
وكَفـانـي مـسٌّ فـاقَتِـه أَنْ يُـذِيـعَ الـدَّهـرُ مُهتَضَمـي
لا لعَمـرِ المَجـدِ والكَـرمِ، ومَضـاءِ السَّيـفِ والقَلَـمِ
قَسمـاً بَـرّاً، ويَشفَعُـه قَسَـمٌ أَرعـاهُ مـن قَسَـمِ
لا يَنـالُ الـدَّهـرُ مـن جِهتَـي، وبـإبـراهيـمَ مُعتَصَمِـي
الإمـامُ المُستقِـلُّ بـه رُكـنُ بيَـتِ الفَضـلِ والكَـرَمِ
والشِّهـابُ المُستضـاءُ بـه فـي دَيـاجـي الظُّلْـمِ والظُّلَـمِ
مـلءُ نَفـسِ الـدَّهـرِ مـن شَـرفٍ، قـد رَسـا طَـوداً علـى القِـدمِ
وسمَـاحٌ بـاسـطٌ يَـدَه، بـاليـدِ الطُّـولـى مـن النِّعـمِ
مـن قُـريـشٍ فـي الصَّميـم، ومـن فِتيـةِ الهَيجـاءِ فـي القِمَـمِ
حَملَـتْ، زَهـوَ الكـلامِ بـه، دولـةٌ قـامَـت علـى قَـدَمِ
نَهَضَـتْ، فـي كـلِّ مُعضِلـةٍ، بـوجـود السَّعـدِ فـي الخـدَمِ
واهتَـدَتْ فـي كـلِّ مَجهلـةٍ، بـأبـي إسحـاقَ مِـن عَلَـمِ
يـا لـهُ مِـن فـارسٍ نَجِـسدٍ، لـو نَضَـا عـن صـارِمٍ خَـذِمِ[2]
وارتَـدى منـه، علـى غَضَـبٍ، بحُسـامٍ غيـرِ مُنثَلِـمِ
نُضِيَـتْ، يـومـاً، بـه ظُبَتـا مَشـرَفِـيٍّ ليـس بـالقَصِـمِ[3]
كـم مضـى يَفـري، وكـم سَفَكَـتْ شَفـرتَـاه مـن عَبِيـطِ دَمِ[4]
والحُسـامُ المَشـرَفـيُّ هُنـا، رَمـزَةٌ تُـومِـي إلـى الحَشَـمِ
ورجـالٌ قـادةٌ نُجُـبٌ، نـزلـوا عـن رُتبـةِ البُهُـمِ

---

(١) اللّمم: الجنون.
(٢) النّجد: الجريء الشجاع ـ الصارم: السيف ـ والصارم الخذم: السيف القاطع.
(٣) ظبتا: مثنى ظبة: حد السيف ـ القصم: السريع العطب والانكسار.
(٤) يفرى: يقطع ـ العبيط من الدماء: الدم الخالص.

وأَحَلُّوا من مَراكِزِهِم، واستطارَت خَيلُهم بهِمِ
فتَفَرّى الجيشُ عن مَلِكٍ، سافرٍ عن وَجهِ مُلتَثِمِ
مُقدِمٍ، في الرَّوعِ، مُجتَرِيءٍ، ضارِبٍ بالسيفِ مُقتَحِمِ
وبِهم ما جَرَّ ذلك من كَلْمِ عارٍ، أَو جَنى كَلِمِ
لا تُقَدِّمْ غيرَ مُضطَهَدٍ، وقَريعٍ غيرِ مُهتَضِمِ
صابِرٍ في اللهِ مُحتَسِبٍ، واثِقٍ باللهِ مُعتصِمِ[(١)]
في ضَمانِ المَشرَفيِّ به، وقعةٌ للعُربِ في العَجَمِ
فتَكَةٌ، في الرُّومِ، قاصِمةٌ ظَهْرَ عِزِّ الرُّومِ والصَّنَمِ
يَجمَعُ الضَّربُ التؤامُ، بها، بينَ فَلِّ الرُّومِ والرِّمَمِ[(٢)]
حقُّ حِمصٍ أَنْ تُسَرَّ به أرضُها من عالِمٍ عَلَمِ
وغَمامٌ، دُونَ رَيِّقِه بَرقُ بِشرٍ غيرُ مُتَّهَمِ
ما ابتدى إلاّ رَأَيتَ به شيخَ رأيٍ في فَتى كَرَمِ
ظَلَّ يَنْدى وَجْهُهُ خَفَراً، وهو ذاكي شُعْلَةِ الفَهَمِ
سخِرَت بالنَّجمِ هِمَّتُه؛ وازدَرَت يُمناهُ بالدِّيَمِ[(٣)]
أَعصَمَتْ نفسُ امرىءٍ عَلِقَتْ، منه، بالوُثقى من العِصَمِ
واستجارَت، من مخيِّمِه، بِفِناءِ البَيتِ والحَرَمِ

(٢٣٤)
كم يَدٍ لكَ

قال مادحاً من كنّاه بأبي بكر:

أَسجايا كما تَرِقُّ المُدامةْ، وعَطايا كما تُريقُ الغَمامَةْ

(١) محتسب: أي يحتسب خيراً عند الله. معتصم: أي معتصم بالله.
(٢) الضرب التؤام: أي الضرب المضاعف، والواحد منهما التّوأم ـ الفل من الجيش: المنهزمون ـ الرّمم: جمع رمّة ما بلي من العظام.
(٣) الدّيم: جمع ديمة، السحابة الممطرة.

وهجـومٌ، عليـه غُـرَّةُ نصـرٍ، ونجـومٌ، عليـه بُشـرَى سـلامَـهْ
فهَفَـا النَّصـلُ أن تُنـاطَ ظُبـاهُ، وتـلا النصـرُ أن يَسُـلَّ حُسـامَـهْ[1]
يـا أبـا بَكـرٍ كـم يَـدٍ لـك، بِكـرٍ، سـامَـتِ الشُّكـرَ أن تفُـضَّ خِتـامَـهْ
طَـوَّقتنـي، وكنـتُ غيـر مُحَلَّـى، فتَغنَّيـت بـالمَـديـح حَمـامَـهْ
فـاركُض الـدهـرَ سـابحـاً، وانتضِ المِقـ ـدا رسيفـاً، واستصحبِ السّعـد لامَـهْ[2]

(٢٣٥)
أَنْجدَ في طُرُق المَعَالي

ومن مدائحه قوله

تَرى يـوسفـاً، في ثـوبـهِ، حُسنَ صُـورةٍ، وتَسمَـعُ داوداً، بـه، مُتـرنِّمَـا
تَقلَّـدَ منـه عـاتِـقُ المُلـكِ مُـرهَفـاً، إذا مـا نَبـا العضـبُ المُهَنَّـدُ صَمَّمَـا
مَضـى حيـثُ لـمْ يعْلَـق نَجيـعٌ بنَصلِـه، فيَـدمـى، ولـم يَكهَـمْ ظُبـاهُ فيَكهَمَـا[3]
فهـا هُـو، فـي السِّـنِّ، السَّـلامُ تـأخُّـراً، وفـي المَجـدِ عُنـوانُ الكِتـابِ تقَـدُّمَـا
تـواضَـعَ عَـن عِـزٍّ، وأشـرفَ هِمَّـةً، فـأنجَـدَ فـي طُـرقِ المعـالـي وأتهمَـا
لـه عَـزمَـةٌ لـو نَهَنَهـتْ صـارمـاً نَبـا، فلـم يَمـضِ، أو مَـرَّتْ بِطَـوْدٍ تَهـدَّمَـا
ورأيٌ جَـلا بِيـضَ السُّيـوفِ طـريـرَةً، وثَقَّـفَ مَيّـادَ الـرِّمـاحِ ولَهـذَمَـا
وهـا أَنـا إن تَمـرَضْ بـأرضِـكَ حـاجَـةٌ، فقـد جِئتُ أبغِي منكَ عِيسى بنَ مريَمَا
وغَيـرُ بَعِيـدٍ أن أَنـالَ بـكَ السُّهـى، سُمُـوّاً، إذا كـان اعتنـاؤكَ سُلَّمَـا[4]
فعِـشْ تَخلَـعِ الأمـداحُ ثـوبـاً مُطـرَّزاً عليـكَ، وحُـرُّ الشُّكـرِ عِقـداً مُنظَّمَـا
فمـا السيـفُ يـومَ الـرَّوعِ نَبَّهـتَ حَـدَّه، فـأضـرمتَـه نـاراً وضـرَّجتـه دَمَـا[5]

---

(١) **الظّبى**: جمع ظبَة: حد السيف ـ **الحسام**: السيف القاطع.
(٢) **انتضى السيف**: استلّه ـ أخرجه من غمده ـ **اللامة**: مخفف: اللأمة، وهي الدرع.
(٣) **النجيع**: الدم ـ لم يكهم السيف أوحده: لم يكل.
(٤) **السهى**: نجم.
(٥) **يوم الروع**: يوم الحرب.

بِـأَلْيَـنَ أَعطـافـاً وأخشَـنَ مَضـرِبـاً، وأَرهَـبَ إقـدامـاً وأَجـدى تَخـذُّمَـا[1]
ولا الـرَّوض، غِـبَّ القطـر، فضَّضـه النّـدى، ورَجَّـع فيـه طـائِـرٌ، فتكلَّمَـا
بـأطَيـبَ أفيـاءً... وأنضَـرَ صَفحـةً، وأَعطَـرَ أخـلاقـاً وأحلـى تَـرنُّمَـا

(٢٣٦)
كمْ مِنّة لَكَ

من مدائحه التي قالها يثني على الأمير أبي حسن:

أَلا لَيـتَ أَنفـاسَ الـرِّيـاحِ النَّـواسِـمِ، يُحَيِّيـنَ عنِّـي الـواضِحـاتِ المبـاسِـمِ
ويَـرمِيـنَ أَكنـافَ العَقيـقِ بِنَظْـرَةٍ، تَـردَّدُ فـي تلـكَ الـرُّبـى والمَعـالِـمِ[2]
ويَلثُمـنَ، مـا بينَ الكَثيـبِ إلـى الحِمـى، مَـواطِـىءَ أَخفـافِ المَطِـيِّ الـرَّواسِـمِ[3]
فمـا أَنسَـهُ لا أَنـسَ يـومـاً بِـذي النَّقـا، أَظَلْنـا بـه، لِلـوَجْـدِ، عَـضَّ الأبـاهِـمِ
وقفنـا بـه نَشكُـو، وقـد لَـوَتِ النَّـوى معـاطِفَنـا لَـيَّ الغُصـونِ النَّـواعِـمِ
فمَـن مُبلِـغٌ عَنِّـي الشبيبَـةَ، أنَّنـي لَـوَيـتُ عِنـانـي عـن طُـرُوقِ الجَـرائِـمِ
ومِلـتُ بطـرَفـي عـن فتـاةٍ وقَهـوةٍ؛ وعَطَّلـتُ سَمعـي مِـن مَـلامِ اللَّـوائِـمِ
فمـا راعَنـي إلاَّ ومِيـضٌ لِشَيبَـةٍ، تـوقَّـدَ فـي قَطـعٍ مـن الليـلِ فـاحِـمِ
ولا هـالَنـي إلاَّ نَـذِيـرٌ بـرِحلَـةٍ، مَسَحـتُ لـه، مـن رَوعـةٍ، جَفـنَ نـائِـمِ
تَـولَّـى الصِّبـا، إلاَّ ادِّكـارَ مَعـاهِـدٍ، لـه لَـذعَـةٌ بيـن الحَشـى والحَيـازِمِ[4]
أَطَلـتُ لـه رَجـعَ الحنيـنِ، وربمـا بكيـتُ علـى عَهـدٍ، مضـى، مُتَقـادِمِ
فـإن غـاضَـتِ الأيـامُ مـاءَ شَبيبَتـي، ومـالَـتْ بغُصُـنٍ، مـن قَـوامِـيَ، نـاعِـمِ
لقـد طـالَ صَـدرُ الـرُّمـحِ منّـي بِهِمَّـةٍ، تَهُـزُّ بهـا العَليـاءُ صَفحـةَ صـارِمِ

---

(١) التخذم: التقطيع.
(٢) أكناف: جمع كنف، جوانب.
(٣) الرّواسم: جمع راسمة وهي الناقة التي تسير سيراً حثيثاً.
(٤) ادّكار: مصدر ادّكر أي اذّكر ـ الحيازم: جمع حيزوم، وسط الصدر.

لَيــالــيَ تَصلُ السيـفِ ظفـري، وإنمـا قــوائِـمُ أَبنـاءِ الجَـدِيـلِ قــوادِمــي[1]
أَسيـرُ فيَغشـى بـي دُجَـى الليـلِ هِمَّـةٌ تَهُـمُّ، فـأعْـرَوري ظُهـورَ العـزائِـمِ[2]
فـرُبَّ ظَلِيـمٍ قـد ذَعَـرتُ، علـى السُّرى، بحَـزوى، وظَبـيٍ قـد طَـرَدتُ بجاسِـمِ[3]
فلـم أدرِ أُمَّ الـرَّآلِ مـن بنـتِ أَعْـوَجٍ؛ ولا ظَبيَـةَ الـوَعسـاءِ مـن أُمِّ سـالـمِ[4]
وإنْ كنـتُ خَـوَّارَ العِنـانِ علـى الهـوى، فـإني، علـى الأعـداءِ، صَعبُ الشَّكـائـمِ
فيـا عَجَبـا أَنْ أُعطِـيَ الظَّبْـيَ مِقـوَدي، وأَدرَأَ عنـه فـي نُحـورِ الضَّـراغِـمِ[5]
وأَدهَـمَ مـن لَيـلِ السُّـرى قـد رَكِبتُـه، وأَودَعْـتُ أَسـرارَ السُّـرى صَـدرَ نـائِـمِ
علـى حِيـنَ أَرخـى الـدَّجنُ فَضـلَ لِثامِـه، علـى كـلِّ أَقنـى، مِـن أُنُـوفِ المَخـارِمِ
وقـد كَمَنـت بِيـضُ السُّيـوفِ، وأَشـرَفـت طـلائِــعُ آذانِ الجِيـادِ الصَّـلادِمِ[6]
وكاثَـرتُ أَوضاحَ النُّجومِ، على السُّرى، بغُـرٍّ كـرامٍ فـوقَ غُـرٍّ كـرائِـمِ
إذا مـا تَـداعَـوا للكَـريهَـةِ، حَمَّلُـوا صُـدورَ العَـوالـي فـي صُـدورِ المَلاحِـمِ
وكَـرُّوا، وصـدر السيـف يَـدمى، فثَلَّمُـوا رِقـاقَ الظُّبـى، بيـنَ الطُّلـى والجَمـاجـمِ
فمَـن مُبلِـغُ الحسنـاءِ غَنِّـي أَنَّنـي خَلعـتُ نِجـادَ السيـفِ، خَلـعَ التَّمـائِـمِ؟
وكنـتُ، إذا مـا أَعضَـلَ الخَطـبُ، لاجِئـاً إلى كالىءٍ، من مَضرِبِ السَّيفِ، عاصِمِ
فهـا أَنـا لا يُسـرى تُـؤاخِـي، علـى السُّرى، عِنـانـاً، ولا يُمنـى تَلـوذُ بقـائِـمِ
مُنيـخٌ بمَثـوى المَجـدِ مـن ظِـلِّ أَروَعٍ، ودُورُ الأعـادي دارِسـاتُ المَعـالِـمِ
جَـديـرٌ بـإحـرازِ العُلـى، غيـرَ راكِـضٍ، مُغِـذٌّ، وإدراكُ السُّهـى غيـرُ قـائِـمِ

---

(١) **أبناء الجديل**: الإبل المنسوبة إلى جديل وهو من فحول النعمان بن المنذر وهو مضرب المثل عند العرب.
(٢) **اعروري**: ركب.
(٣) **الظليم**: ذكر النّعامة ـ **السّرى**: السير ليلاً ـ **حزوى**: موضع، ومثله جاسم.
(٤) **الرأل**: ولد النعام ـ **بنت أعوج**: اسم فرس منسوبة إلى أعوج ـ **أم سالم**: اسم امرأة.
(٥) **أدرأ عنه**: أرد عنه، أذود وأدافع ـ **الضراغم**: الأسود.
(٦) **الجياد الصلادم**: جمع صلدم: الفرس القوي الشديد الحافر.

تَهُزُّ بهِ رِيحُ المَكارِمِ خُوطَةً، ... تَغُضُّ بها الآمالُ نُورَ الدَّراهِمِ
كأنّي، وقد أسحَبتُه الحَمدَ رَيطةً، ... سَننتُ، على عِطفَيهِ، حُلَّةَ راقِمِ
فيا راكِباً يُزْجِي المَطِيَّ على الوَجى، ... ويَخبِطُ أنفاسَ الرِّياحِ النَّواسِمِ
ويَفحَصُ عن ثَغرٍ، من النَّورِ، ضاحِكٍ، ... فيُسفِرُ عن وَجْهٍ من الجَدبِ قاتِمِ
كفاكَ بذاكَ الطَّولِ من وَبلِ مُزنَةٍ؛ ... وحسبُكَ ذاكَ البِرُّ من بَرقِ شائِمِ
فإن قَذَفَتْ يوماً إليكَ به النَّوى، ... وأدَّتكَ أيدي النَّاجِياتِ الرَّواسِمِ
فعَرِّضْ، من العَلياءِ، في رأسِ هضبةٍ ... تُزاحِمُ أشباحَ النُّجومِ العَواتِمِ
منَ القَومِ، سادوا في المُهودِ نَجابةً، ... وطَبُّوا، صِغاراً، من كُلُومِ العظائمِ[1]
وقاموا لأوفادِ الخُطوبِ، ودمَّثوا ... جَنابَ الليالي للمُلوكِ الخَضارِمِ
فإن دَقَّتِ الهَيجاءُ أرماحَ حَلبَةٍ، ... فثَمَّ من الآراءِ أمضى لَهاذِمِ
وإن هَدَّتِ الأيامُ أركانَ دولةٍ، ... فثَمَّ من الأقلامِ أقوى دَعائِمِ
ترى بِهِمُ، من هِزَّةٍ في طَلاقةٍ، ... لِدانَ العوالي في بَريقِ الصَّوارمِ[2]
وما شِئتَ من آراءِ نُجحٍ كَوالىءٍ، ... تُسدِّدُ من أطرافِ سُمرٍ كَوالِمِ
تُقلِّمُ أظفارَ المَكارِهِ تارةً، ... وتمسَحُ طَوراً عن وُجوهِ المكارمِ
أيا حَسَنٍ كم مِنَّةٍ لكَ حُرَّةٍ، ... كما سَحَّ صَوبُ العارضِ المُتراكِمِ
هَزَزتَ لها عِطفَ القَضيبِ، وربما ... سَجَعتَ، لبَثِّ الشَّجو، سَجعَ الحمائمِ
فما رَوضةٌ غَنَّاءُ في رأسِ رَبوةٍ، ... تُعَلُّ بِمُنهَلٍّ، من المُزنِ، ساجِمِ
بأحسنَ مَرأى من حِلاكَ لناظِرٍ؛ ... وأعطَرَ نَشراً من ثَناكَ لِناظِمِ

---

(١) **طبّوا**: من طبّ: داوى ـ **الكلوم**: جمع كلم: الجرح ـ العظائم: الخطوب الفوادح.
(٢) **العوالي**: الرماح ـ **الصّوارم**: السيوف.

(٢٣٧)
للهِ دُرّك فارساً

ذكر في هذه الأبيات كيف راجع الوزير أبا جعفر ابن سعد عن شعره:

أَنَفحَـةُ طِيـبٍ مـا تَنَسَّمـتُ أَمْ نَظـمُ؛ وفضلَـةُ كـأسٍ مـا ترشَّفـتُ أم ظَلْـمُ؟[1]
خَطِيـرٌ مـن الشِّعـرِ اشتَمَلـتُ ببُـردِه، وقد بَزَّ جسمِي، بُردةَ الصِّحَّةِ، السُّقمُ
يكـادُ يَشِـفُّ الطِّـرسُ عـن نُـور حُسنِه، وما فُضَّ، في ثوبِ الدَّياجي، له خَتْمُ
تَفَجَّـر فيـه الطَّبـع فجـراً، وإنمـا أَطَـلَّ بـه مـن كـلِّ قـافِيـةٍ نَجْـمُ
ولـو أَنَّ سَمعـاً ثـمَّ يُصغِـي لمَـا درى: أَبَيـتٌ يُـرَوّى أَم يُـراشُ لـه سَهْـمُ
شَفاني،وقد أشفى الضَّنى بي على الرَّدى؛ وبعـضُ الكـلامِ الحُـرِّ يُشفـى بـه الكَلَـمُ
فقبَّلـتُ كفّـاً أَتحَفَتنِـي بعِلْقِـه؛ وحُـقَّ لِكـأسِ الـرَّاحِ أَن يُكـرَم الكَـرمُ
وعـانَقـتُ عُنـوانـاً، هنـاك، قـرأتـه، وقلـتُ: ألا لَيـتَ التَّمنِّـي هـو الإِسـمُ
أبـا جَعفَـرٍ للهِ درُّكَ فـارِسـاً، بحيـثُ سُطـورُ الشِّعـرِ خيـلٌ لـه دُهْـمُ

(٢٣٨)
ما ضَرَّهُ. . .

جمع في هذه القصيدة بين النسيب والرثاء النادب

أَفِـي مـا تُـؤَدِّي الـرِّيحُ عَـرْفُ سـلامِ، وممَّـا يَشُـبُّ البَـرقُ نـارُ غَـرامِ؟
وإلاَّ فَمـاذا أَرَّجَ الـرِّيـحَ سحـرَةً، وأذكـى، علـى الأحشـاءِ، لَفـحَ ضِـرامِ؟
أمـا وجُمـانٍ مـن حَـديـثِ عَـلاقَـةٍ، يهُـزُّ إليـهِ الشَّيـخُ عِطـفَ غُـلامِ[2]
تَحَلَّـتْ بـه، مـا بيـنَ سَلمـى ومَـربَـعٍ، سـوالِـفُ أَيَّـامٍ، سَلَفْـنَ، كِـرامِ
لقَـد هـزَّنـي فـي رَيطَـةِ الشَّيـبِ هـزَّةً، أَرتْنـي ورائِـي، فـي الشَّبـابِ، أَمـامِـي

---

(١) النظم: الشعر المنظوم ـ الظَّلْم: الريق.

(٢) الجمان: اللؤلؤ، واحدته جمانة ـ العلاقة: صلة الحبّ.

فَلَولا دِفاعُ اللهِ عُجتُ معَ الهَوى، وجُلتُ بِوادِيهِ أَجُرُّ خِطامي
ورُبَّ لَيالٍ، بالغَميمِ، أَرِقتُها، لمَرضى جُفونٍ، بالفُراتِ، نِيامِ[1]
يطُولُ عليَّ الليلُ، يا أُمَّ مالِكٍ، وكلُّ لَيالي الصَّبِّ ليلُ تَمامِ
ولمْ أَدرِ ما أَشجى وأَدعى إلى الهوى: أَخَفْقَةُ بَرقٍ أَمْ غِناءُ حَمامِ
إذا ما استَخَفَّتني لها أَرَيحيَّةٌ، عثَرتُ بذَيلَيْ لَوعَةٍ وظَلامِ
وخَضخَضتُ، دون الحَيِّ، أَحشاءَ ليلةٍ، يُخَفِّرُني فيها وميضُ غَمامِ
فقَضَّيتُها ما بينَ رَشفةِ لَوعَةٍ، وأَنَّةِ شَكوى، واعتِناقِ غَرامِ
وأَحسَنُ ما التفَّتْ عليهِ دُجُنَّةٌ، عِناقُ حبيبٍ عن عِناقِ حُسامِ
فلَيتَ نَسيمَ الرِّيحِ رَقرَقَ أَدمُعي، خِلالَ دِيارٍ باللِّوى وخِيامِ
وعاجَ على أَجراعِ وادٍ بِذي الغَضا، فَصافَحَ عنِّي فَرعَ كلِّ بِشامِ[2]
مَسَحتُ له، عن ناظرَيَّ، صَبابَةً، وأَقلِلْ بِدَمعي مِن قَضاءِ ذِمامِ
فيا عَرفَ ريحٍ عاجَ عن بَطنِ لَعلَعٍ، يَجُرُّ، على الأَنداءِ فَضلَ زِمامِ
بِما بَيْنَنا بالحِقفِ من رَملِ عالِجٍ، وفي مُلتَقى الأَرطَى بسَفحِ شِمامِ[3]
تَلَذَّذْ بِدارِ القَصفِ عنِّيَ ساعَةً، وأَبلِغْ نَداماها أَعَمَّ سَلامِ
وقُلْ لِغَمامٍ أَلحَفَ الأَرضَ ذَيلَهُ، فلَفَّ فُجاجاً تحتَهُ بإِكامِ[4]
أَما لَكَ من طَلٍّ يُبَرِّدُ مَضجَعي؛ أَما لكَ من طَلٍّ يَبُلُّ أُوامي؟
وأَيُّ نَدًى، أَو بَردِ ظِلٍّ لمُزنَةٍ، على عَقْبِ أَترابٍ، رُزِئنَ، كِرامِ
وقَفتُ وُقوفَ الشَّكِّ بيْنَ قُبورِهم، أُعَظِّمُها من أَعظُمٍ ورِجامِ

---

(١) الغميم: اسم واد على مسافة من مكة.

(٢) البشام: ضرب من الشجر طيب الرائحة، وهو مثل الأراك تتخذ منه المساويك.

(٣) الحتف وعالج والأرطى: مواضع ـ سفح شمام: أراد سفح جبل شمام وجميع هذه الأعلام في أرض العرب.

(٤) الفجاج: جمع فج: الطريق الواسعة بين جبلين.

وأَنــدُبُ أَشجـى رَنَّـةٍ مـن حَمـامَـةٍ؛ وأَبكـي وأَقضِـي مـن ذِمـام رِمـامِ[1]
قَضَـوْا بيـنَ وادٍ، للسَّمـاحِ، ومشـرَعٍ، وغـارِبِ عِـزٍّ، فـي العُلـى، وسَنـامِ
ومنتَصِـبٍ، كـالـرُّمـحِ، هِـزَّةَ عِـزَّةٍ، وفَتْكَـةَ بَـأسٍ، واستـواءَ قَـوامِ
ومُنصَلِتٍ، كالسَّيف، نُصرَةَ صاحبٍ، وضحكَـةَ بِشـرٍ، واعتِـزازَ مَقـامِ
ومُنتَقِـلٍ مُستَقبِـلٍ كَعبَـةَ العُلـى، يُصَلِّـي بـأهلِيهـا صَـلاةَ زُؤامِ[2]
تَهِـلُّ لـه، مـن عِفَّـةٍ، فـي طَـلاقَـةٍ، كـأنَّ، ببُـردَيـه، هِـلالَ صِيـامِ
ومـا ضَـرَّهُ أَنْ يَستَسِـرَّ لِعـاتِـمٍ، إذا مـا بَـدا فـي آخِـرٍ بِتَمـامِ[3]

(٢٣٩)

ملء يدي وفمي

قال ابن الصائغ يرثي الأمير أبا بكر بن إبراهيم:

يـا صَـدًى بـالثغـرِ جـاوَرَهُ رِمَـمٌ، بُـورِكـت مـن رِمَـمِ[4]
صَبَّحَتْـكَ الخَيـلُ غـادِيَـةً، فـأثـارَتـكَ، فلَـمْ تَـرِمِ[5]

فعارض ابن خفاجة هذا الشعر فقال:

يـا صَـدًى بـالثَّغْـرِ مُـرتَهَنـاً، بمَمَـرِّ الـرِّيـحِ والـدِّيَـمِ[6]
لا أَرى إلاَّ أَخـا كَـرَمٍ، بـاكِيـاً منـه أَخـا كَـرَمِ
كـم بِصـدري فيـكَ مِـن حُـرَقٍ، وبِكَفِّـي منـكَ مِـن نِعَـمِ

وممّا قاله أيضاً:

لا لَعَمْـرِ المَجـدِ والكَـرَمِ، ومَـزَارِ البَيـتِ والحَـرَمِ

(١) الرمام: العظام البالية، جمع رِمّة.
(٢) الزؤام: الموت، وتستعمل اللفظة عادة للميتة الكريهة.
(٣) يستسر: يختفي ـ العاتم: الحالك المظلم.
(٤) الصدى: الجدث، الجسد بعد الموت ـ الرمم: بقايا العظام، جمع رمة.
(٥) لم ترم: أي لم تفر.
(٦) الدِّيم: جمع ديمة، السحابة الممطرة.

لا سَلَوتُ الدَّهرَ عن مَلِكٍ، طَلْقِ وجهِ العُرفِ والشِّيَمِ
هذه نُعماهُ مِلءُ يَدِي، وَثَنا رُحمَاهُ مِلءُ فَمِي

(٢٤٠)
تنافسُ فيها الملوكُ

استطعمه القاضي أبو إسحاق بن ميمون فراخ حمام وعنباً، فأنشد مداعباً:

بما حُزتَهُ مِنْ شَريفِ النِّظَامِ، وأرهَفتَهُ من حَواشي الكلامِ[1]
تَعالَ إلى الأنسِ في مَجلسٍ، يَهُزُّ به الشيخُ عِطفَيْ غُلامِ
صَقيلٍ تخالُ به بَيضةً، تَرُوقُكَ تحتَ جَناحِ الظَّلامِ
رَطيبِ النَّسيمِ، كأنَّ الصَّبا تُجَرِّرُ فيه ذُيولَ الغَمامِ
يَكادُ سُروراً بأضيافِه يَهَشُّ، فيَلقاهُمُ بالسَّلامِ
وعندي لمِثلِكَ، مِنْ خاطِبٍ، بَناتُ الحَمامِ وأُمُّ المُدامِ[2]
بناتٌ تنافَسُ فيها الملوكُ، وتَلهُو العَذارى بها في الخِيامِ
فقد كِدْنَ يَلقَطنَ حَبَّ القُلوبِ، ويَشرَبْنَ ماءَ عُيونِ الكِرامِ
وصَفراءَ طَلَّقتُ بِنتاً لها؛ وما للكريمِ ومأتى الحَرامِ
أُمُصُّ مَراشِفَها لوعَةً، وأذكُرُ ما بيَنَنا من ذِمامِ[3]
فعُجْ تتَصفَّحْ بديعَ البديعِ، وتَلمَحْ سلامةَ شِعرِ السَّلامي
وعِشْ تَتَثَنَّى انثِناءَ القَضيبِ سُروراً، وتَسجَعُ سجعَ الحَمامِ
ويجمِلُ ثوبُكَ خَطِّيَّهُ، ويَنطِقُ عنكَ لِسانُ الحُسامِ

---

(١) حزت: نلت ـ حواشي الكلام: أطرافه.
(٢) المدام: الخمر.
(٣) الذمام: العهد، الميثاق.

قافية النّون

(٢٤١)
سَقْياً لِوادِيهِم

فيا لَشَجا قَلبٍ، منَ الصَّبرِ، فارِغٍ؛ ... ويا لقَذَى طَرفٍ، من الدمعِ، مَلآنِ
ونَفسٍ، إلى جَوِّ الكَنيسةِ، صَبَّةٍ؛ ... وقَلبٍ، إلى أُفقِ الجزيرةِ، حَنَّانِ
تعَوَّضتُ مِن واهاً بِآهٍ، ومِن هوًى ... بِهُونٍ، ومن إخوانِ صِدقٍ بِخُوّانِ
وماء كلُّ بيضاءٍ بَسرُوقٍ بِشحمَةٍ؛ ... وما كلّ مرعًى ترتَعيه بِسُعْدانِ (١)
فيا ليتَ شِعرى! هلْ لِدَهريَ عَطفةٌ، ... فتُجمَعَ أوطارِي عليَّ وأوطاني؟
مَيادِينُ أوطارِي ولَذَّةُ لَذَّتي، ... ومَنشَأُ تَهيامي ومَلعَبُ غُزلاني
كأنْ لَمْ يَصِلني فيهِ ظَبيٌ، يَقومُ لي ... لَماهُ وصِدغاهُ بِراحي ورَيحاني
فَسَقياً لِوادِيهِمْ، وإن كنتُ إنّما ... أبِيتُ، لِذِكراهُ، بِغُلَّةِ ظَمآنِ
فكم يومِ لَهوٍ قد أدَرنا، بأفقِه، ... نُجومَ كُؤوسٍ، بين أقمارِ نَدمانِ
ولِلقُصبِ والأطيارِ مَلهًى بِجَرعَةٍ، ... فما شِئتَ من رقص على رَجعِ ألحانِ
وبالحَضرَةِ الغَرّاءِ غِرٌّ عَلِقتُه، ... فأحبَبتُ، حُبّاً فيه، قُضبانَ نَعمانِ (٢)
رَقيقُ الحَواشِي، في مَحاسِنِ وَجهِه ... ومَنطِقِه مَسلى قلوبٍ وآذانِ

---

(١) **السُّعدان**: نبات يكثر في مراعي الإبل.
(٢) **القضبان**: الأغصان جمع قضيب.

أَغــارُ لِخَــدَّيــه علــى الــورد كلَّمــا بَــدا، ولِعِطفَيــه علــى أَغصُــنِ البــانِ[1]
وهَبْنِــيَ أَجنِــي وَردَ خَــدٍّ بِنــاظِــري، فمــن أيــنَ لــي منــه بتُفّــاح لُبنــانِ؟
يُعلِّلُنــي منــهُ، بمَــوعِــدِ رَشفَــةٍ، خَيــالٌ لــه يُغــري بِمَطْــلٍ وليّــانِ[2]
حبيــبٌ عليــه لِجَّــةٌ مــن صَــوَارِمٍ، عَــلاهــا حَبــابٌ مــن أَسِنَّــةِ مُــرّانِ
تَــراءى لنــا فــي مِثْــلِ صــورةِ يُــوسُــفٍ؛ تَــراءى لنــا فــي مِثْــلِ مُلــكِ سُلَيمــانِ
طَــوى بُــردُه منهــا صَحيفَــةَ فِتنَــةٍ، قَــرَأنــا لهــا، مــن وَجهِــهِ، سَطْــرَ عُنــوانِ
مَحبَّتُــه دينــي ومَثْــواهُ كَعبَتِــي، ورُؤيَتُــه حَجِّــي وذِكــراهُ قُــرآنِــي

(٢٤٢)

العَفافُ مِنْ شِيَمي

قُــل للقَبيــحِ الفِعــالِ: يــا حَسَنــا! مَــلأتَ جَفنَــيَّ ظُلمــةً وسَنَــا[3]
قــاسَمَنِــي طَــرْفُــكَ الضَّنــى، أَفَــلا قــاسَــمَ، جَفنَــيَّ، ذلــك الــوَسَنَــا؟
إنــي وإن كُنــتُ هَضبَــةً، جَلَــداً، أَهتَــزُّ للحُســنِ، لَــوعــةً، غُصُنَــا[4]
قَسَــوتُ بَــأْســاً ولنــتُ مَكــرُمــةً، لــم أَلتَــزِمْ حــالــةً ولا سَنَنَــا[5]
لَســتُ أُحِــبُّ الجُــودَ فــي رَجُــلٍ، تَحسِبُــه، مــن جُمــودِه، وثَنَــا
لَــم يَكحَــلِ السُّهــدُ جفنَــه كَلَفــاً، ولا طَــوَى، جسمَــه، الغَــرامُ ضَنَــى
فمَــن عصــى داعِــيَ الهَــوى فَقَســا، وكــانَ جِلــداً، مِــنَ الصَّفــا، خَشِنَــا
فــإنَّنــي، والعَفــافُ مــن شِيَمــي، آبــى الــدَّنــايــا وأَعشَــقُ الحَسَنَــا
طَــوراً مُنِيــبٌ وتــارَةً غَــزِلٌ، أَبكــي الخَطــايــا وأَنــدُبُ الــدِّمَنَــا[6]

---

(١) اللبان: شجر واحدته البانة، تشبه به قدود الحسان الناعمة.
(٢) الليّان: الذي يلوي عن العهود، ولا يفي بما وعد بل يماطل ويتنصل.
(٣) السنا: النور والضياء.
(٤) الجلد من الجلادة أي القوي الذي يحتمل الشدائد.
(٥) السنن: جمع سنة: الطريقة، النهج.
(٦) المنيب: الذي ينوب إلى الله أي يرجع إليه ويتوب.

إذا اعتَرَتْ خَشيَةٌ شَكا، فبَكى، أَوِ انتَحَتْ راحَةٌ دَنا فَجَنى
كأنَّني غُصنُ بانَةٍ خَضِلٌ، تَثنيهِ رِيحُ الصَّبا هُنا وهُنَا

(٢٤٣)
نَمَّتْ خَميلَةٌ

وساقٍ لِخيلِ اللَّحظ، في شأوِ حُسنِه، جِماحٌ، وللصَّبرِ الجميلِ حِرانُ[١]
تَرى للصِّبا ناراً بخَدَّيهِ لَمْ يَثُرْ لها، مِن سَوادَيْ عارِضَيهِ، دخانُ
سقاها، وقد لاحَ الهلالُ عشِيَّةً، كما اعوَجَّ، في دِرعِ الكَميِّ، سِنانُ
عُقاراً نَماها الكَرْمُ، فَهْيَ كريمةٌ، ولم تَزنِ بابنِ المُزنِ، فَهْيَ حَصانُ
وقد جالَ، من جَونِ الغمامةِ أدهَمٌ، له البَرقُ سَوطٌ والشَّمالُ عِنانُ[٢]
وضَمَّخَ رَدعُ الشمسِ نَحرَ حَديقَةٍ، عليه من الطَّلِّ السَّقيطِ جُمانُ[٣]
ونَمَّتْ، بأسرارِ الرياضِ، خَميلَةٌ، لها النَّورُ ثَغْرٌ والنسيمُ لِسانُ

(٢٤٤)
كَأنّها مُقْلَةٌ

وأسوَدٍ يَسبَحُ في لُجَّةٍ، لا تَكتِمُ الحَصباءَ غُدرانُهَا[٤]
كأنَّها في شَكلِها مُقلَةٌ، وذلك الأسوَدُ إنسانُهَا[٥]

(١) الشأو: الشوط، الغاية ـ الحران: صفة الفرس أو المطيّة الصعبة الانقياد.
(٢) الجون: الأسود ـ الأدهم: الفرس المائل إلى السواد ـ العنان: الزمام.
(٣) الطلّ؛ الندى ـ السقيط: الساقط ـ الجمان: اللؤلؤ، واحدته جمانة.
(٤) اللجّة: أكثر الماء ـ لا تكتم: لا تخفي ـ يقول إن هذه اللجة صافية وحصاها باد للعين من خلالها.
(٥) المقلة: العين ـ انسان العين: البؤبؤ الذي في وسطها.

(٢٤٥)
البرقُ سَوْط خافِقٌ

وخَميلَـةٍ قـد أخمَلَـتْ سِـربـالَهـا ... كفًّـا صَنـاعٍ، تَستَهِـلُّ، هَتُـونِ[١]
طَـوَتِ السُّـرى، والبَـرقُ سـوطٌ خـافـقٌ ... بيَـدِ الـدُّجـى، والـرِّيـحُ ظَهـرُ أَمُـونِ[٢]
بُشْـرى تَهـادى فـي وِشـاحٍ مُـذْهَـبٍ، ... قَلِـقٍ، وتَسحَـبُ مـن ذُيـولِ جُـونِ[٣]
طَبَعَـتْ، علـى النُّوّارِ، بِيضَ دراهِـمٍ، ... مَـدَّتْ إليـكَ بهـا بَنـانُ غُصُـونِ
فَـرِفَلْـتُ، حيـثُ تَعثَّـرتْ بـي نَشْـوَةٌ، ... فـي ثَـوبِ وَشْـيٍ، للـربيـعِ، مَصُـونِ
والأرضُ تَسفُـرُ عـن وُجـوهِ محـاسـنٍ ... بِيـضٍ، وتَنظُـرُ عـن عُيـونٍ عِيـنِ[٤]

(٢٤٦)
وشاقَ إلى تُفّاحِ لبنانَ

بعث ابن خفاجة بهذه القصيدة إلى أبي بكر محمّد البطليوسي، عن شعر ورد عليه في العروض والروي:

أَبِشْـرُكَ أَم مـاءٌ يَسُـحُّ، وبُستـانُ، ... وذِكـرُكَ أَمْ راحٌ تُـدارُ، ورَيحـانُ؟
وإلّا فمـا بـالـي، وفَـوديَ أَشمَـطُ، ... تَلَـوَّيـتُ فـي بُـردي، كـأنّـي نَشـوانُ؟
وهـلْ هِـيَ إلّا جُملَـةٌ مـن مَحـاسِـنٍ، ... تَغـايَـرُ أَبصـارٌ عَلَيهـا وآذانُ؟
بـأمثـالِهـا مـن حِكمَـةٍ، فـي بَلاغَـةٍ، ... تُحَلَّـلُ أَضغـانٌ، وتُـرحَـلُ أَظعـانُ
وتُنظَـمُ، فـي نَحـرِ المَعـالـي، قِـلادَةٌ، ... وتُسحَـبُ، فـي نـادِي المَفـاخِـرِ، أَردانُ
كَـلامٌ، كمـا استشـرَفَـتَ جِيـدَ جَدايـةٍ، ... وفُصِّـلَ يـاقـوتٌ، هنـاكَ، ومَرجـانُ[٥]

---

(١) الخميلة: المعطف المخملي، والخميلة أيضاً البستان ونحوه حيث الشجر كثير وملتف ـ الهتون: المطر.
(٢) السّرى: السير ليلاً ـ الدجى: الليل ـ الأمون: الناقة.
(٣) الذيول: جمع ذيل ـ الجون: جمع جون: الأسود.
(٤) العيون العين: الواسعة والقويّة السّواد.
(٥) الجيد: العنق ـ الجداية: الظبية ـ المرجان: من الحجارة الكريمة.

تـدفَّـقَ مـاءُ الطَّبـعِ فيـهِ تـدفُّقـاً، فَجاءَ، كما يصفُو على النَّارِ عِقْيان[1]
أَتـانـي يَـرِفُّ النَّـورُ فيـهِ نَضـارةً، ويَكْـرَعُ منـه فـي الغَمـامَـةِ ظمـآنُ
وتَـأخُـذُ عنـهُ صَنعـةَ السِّحـرِ بـابِـلٌ، وتَلـوي إليـه أَخـدَعَ الصَّـبِّ بَغْـدانُ[2]
وجـدتُ بـه ريـحَ الشبـابِ لُـدُونَـةً، ودون صِبـا رِيـح الشبيبـةِ أزمـانُ
وشـاقَ إلـى تُفَّـاحِ لُبنـانَ نَفحُـهُ، وهَيهاتَ، من أَرضِ الجَزيرَةِ، لُبنانُ
فهـل تَـرِدُ، الأستـاذَ، مِنِّـي تحيَّـةٌ، تَسيرُ كما عاطى، الزُّجاجةَ، نَدمانُ
تَهَـشُّ إليهـا روضَـةُ الحَـزنِ، سَحـرَةً، ويَثنـي إليهـا، مِـن مَعـاطِفِـه، البـانُ
تحمَّلهـا، حَمْـلَ السَّفيـرِ، بَنَفْسَـجٌ، تَحمَّلـهُ، حَمْـلَ السَّريـرَة، سُـوسـانُ

(٢٤٧)

لا تَقِفْ تَسْأَلُها

دِنْ دِيـنَ مُعتَمِـلٍ فـي اللهِ مُبتَهِـلٍ، وعَـدِّ عـن سِـرِّ عِلـمٍ، ثَـمَّ، مُختَـزَنِ
ولا تَقِـفْ بِطِـوال الكُتْـب تَسـأَلُهـا، فَلَسـتَ تَحظـى بغيـرِ الهَـمِّ والحَـزَنِ
وكُـن، إذا التَقَـت الأرمـاحُ، سـافلَـةً، فـربمـا انـدقَّ صـدرُ العـامِلِ اليَـزَنـي[3]

(٢٤٨)

كُنْتَ ضَنينا

رَحَلْـتُ عَنكُـم، ولـي فـؤادٌ، تَنفُـض أَضـلاعُـه حَنينـا
أَجُـودُ فِيكـم بِعِلْـقِ دَمـعٍ، كنـتُ بـهِ قَبلَكُـم ضَنينـا
يَثُـورُ فـي وَجنَتَـيَّ جَيشـاً، وكـانَ فـي جَفنِـهِ كَمينـا
كـأَنَّنـي، بَعـدَكُـم، شِمـالٌ، قـد فـارَقَـت منكُـمُ يَمينـاً

---

(١) العقيان: الذهب الخالص.
(٢) الأخدع: وريد في العنق ـ بغدان: من أسماء بغداد.
(٣) اليزني: نسبة إلى سيف بن ذي يزن، وهو من ملوك اليمن قديماً الذين يعرفون بـ «الأذواء».

قافية الهاء

(٢٤٩)
تارةً وأخرى

أَيُّ عَيشٍ، أَو غِذاءٍ، أَو سِنَة، لِابنِ إِحدى وَثمانِينَ سَنَة
قَلَّصَ الشَّيبُ بِهِ ظِلَّ امرئٍ، طالما جَرَّ صِباهُ رَسَنَهْ
تارَةً تَسطُو بِهِ سَيِّئَةٌ تُسخِنُ العَينَ، وأُخرى حَسَنَهْ

(٢٥٠)
قَسَوْتَ قَلْباً

يا نُزهةَ النَّفسِ يا مُناها، يا قُرَّةَ العَينِ يا كَراهَا[1]
أَما تَرى لي رِضاكَ أَهلاً، وهذه حالَتي تَراهَا
فاستَدرِكِ الفَضلَ، يا أَباهُ، في رَمَقِ النَّفسِ، يا أَخاهَا[2]
قَسَوتَ قَلباً ولِنت عِطفاً، وعِفتَ من تَمرةٍ نَواهَا[3]

---

(١) **كراها**: الكرى: النّوم.

(٢) **الرمق**: بقية الروح.

(٣) **النوى**: بزرة التمرة.

قافية الواو

(٢٥١)
أما لديك

دعا في هذه الأبيات إلى اللهو وترك الوقار على العقار

أَمَـــا لَـــدَيْـــكَ حَـــلاوَهْ؛ أَمَـــا عَلَيْـــكَ طَـــلاوَهْ؟
طَـــايِـــبْ وَداعِـــبْ وَلاعِـــبْ، ودَعْ سجـــايـــا البَـــداوَهْ
فَـــإنَّ أَوحَـــشَ شَـــيْءٍ جَســـاوةٌ فـــي غَبـــاوَهْ[1]

(١) الجساوة: القساوة والخشونة.

قافية الياء

(٢٥٢)
على غيرِ مَوْعِدِ

لقد زارَ مَن أهوى على غيرِ مَوعِدٍ، فَعايَنْتُ بَدرَ التَّمِّ، ذاكَ التَّلاقِيَا
وعاتَبْتُه، والعَتبُ يَحْلو حَديثُهُ، وقد بَلَغَتْ رُوحي لَديهِ التَّراقِيَا(١)
فلمّا اجتَمعنا قُلتُ من فَرحِي به، مِنَ الشِّعرِ، بَيتاً، والدُّموعُ سَواقيَا
وقد يَجمعُ اللهُ الشَّتيتَين، بَعدَما يَظُنّانِ كُلَّ الظَّنِّ أن لا تَلاقِيَا(٢)

(٢٥٣)
تجسّم النُّورُ نَوراً

للهِ نُوريَّةُ المُحَيَّا، تَحملُ نارِيَّةَ الحُمَيَّا(٣)
والدَّوحُ رَطْبُ المَهَزِّ لَدْنٌ، قد رَقَّ رَيّا وطابَ رَيّا(٤)
تَجسَّم النُّورُ فيه نَوراً، فكلُّ غصنٍ به ثُرَيّا

---

(١) التراقي: جمع ترقوة، أعلى الصدر.

(٢) هذا البيت من شعر مجنون ليلى استعمله الشاعر هنا من باب التضمين.

(٣) النورية: نسبة إلى النور ـ المحيّا: الوجه ـ أراد بالحميا الخمرة.

(٤) الدوح: الشجر الضخم، جمع دوحة ـ المهز: الأغصان لاهتزازها ـ اللدن: الغصن اللين ـ الريّا: الرائحة الطيبة.

(٢٥٤)
نُطْتُ آمالي . . .

بعث ابن خفاجة إلى أبي بكر يستنهض عزمه في أمر ألمّ به:

أَهُـزُّكَ لا إنِّـي إِخـالُـك نـابِيـاً، وإن كنـتَ مَطـرُورَ الغِـرارِ يَمـانيَـا[1]
ولكـنَّ هَـزَّ السَّيـفِ والسَّـوطِ شِيمَتـي، وإنْ رُعـتُ سَبَّـاقـاً ونَبَّهـتُ مـاضِيَـا
ومـا هَـزَّ أعطـافَ الكـريـمِ إلـى العُلـى كـأروَعَ، شَيحـانٍ، يَهُـزُّ العَـواليَـا[2]
إذا السَّيـفُ لَـمْ يَشـربْ بـه الـدَّمَ قـانِئـاً عَبيطاً، أَبى أن يَشربَ الماءَ صادِيَا[3]
وقـد نُطْـتُ آمـالـي بِـأبلَـجَ واضِـحٍ، يُجَشِّمُهـا أَمضـى مِـن السَّيـفِ عـارِيَـا
وأكـرَمَ آثـاراً مـن المُـزنِ غـادِيـاً، وأشْهَـرَ أوضـاحـاً مـن البَـدرِ سـارِيَـا
فمـا الغُصُـنُ المَطلُـولُ أَشـرفَ باسِمـاً، ومادَ، أُصَيلاناً، على الماءِ صافِيَا[4]
بـأليَـنَ أعطـافـاً، وأحسَـنَ هَشَّـةً، وأعطَـرَ أخـلاقـاً، وأنـدى حَـواشِيَـا

(٢٥٥)
زمانٌ تقضّى

جمع في هذه القصيدة بين رثاء بعض إخوانه وندب حظه ممّا تقضى من زمانه ومدح الوزير العلاء بن زهر

كَفانيَ شَكوى أن أرى المَجدَ شـاكِيـا، وحسـبُ الـرَّزايـا أن تَـرانِـيَ بـاكِيَـا
أُدارِي فُـؤاداً، يَصـدَعُ الصَّـدرَ زَفـرَةً، ورَجـعَ أَنِيـنٍ، يَحلُـبُ الـدَّمـعَ سَـاجِيَـا
وكيـفَ أُوارى مِـنْ أُوارٍ وَجَـدتُنـي له صادِراً، عن مَنهَلِ الماءِ، صادِيَا[5]

---

(١) مطرور الغراء: مشحوذ الحدّ.
(٢) الشيحان: الغيور ـ العوالي: الرماح.
(٣) الصادي: العطش.
(٤) أصيلانا: تصغير أصلان من الأصيل وهو الوقت قبيل غروب الشمس.
(٥) الأوار: الحرّ الشديد ـ الصادي: الظمآن.

وهـا أنـا تَلقـانـي الليـالـي، بمِلئِهـا، خُطُـوبـاً، وأَلقـى بـالعَـويـلِ اللَّيـالِيَـا
وتَطوي، على وَخزِ الأشافِي، جَوانِحي، تَـوالِي رَزايا لا تَـرى الـدَّمعَ شافِيَـا[1]
ضَمـانٌ عَليهـا أَن تَـرى القَلـبَ خَـافِقـاً، طِـوالَ الليـالـي، أَو تَـرى الطَّـرفَ دامِيَـا
وإنَّ صَفـاءَ الـوِدِّ، والعَهـدُ بَينَنـا، لَيَكـرَهُ لـي أَن أَشـرَبَ المـاءَ صـافِيَـا
وكـم قَـد لَحَتنِـي العـاذِلاتُ جَهـالَـةً، ويَـأتـي المُعَنَّـى أَنْ يُطِيـعَ اللَّـواحِيَـا
فقُلـتُ لَهـا: إنَّ البُكـاءَ لَـراحَـةٌ، بِـهِ يَشتَفِـي مَـن ظَـنَّ أن لا تَـلاقِيَـا
أَلا إنَّ دَهـراً قَـد تَقـاضـى شَبِيبَتـي وصَحبِي لَدهرٌ قد تَقاضى المرازِيَا[2]
وقد كُنتُ أُهدي المَدحِ، والدارُ غُربَةٌ، فكَيـفَ بـإهـدائـي إليـهِ المَـراثِيَـا!
أَأَحبـابَنـا بـالعَـدوَتَيـنِ صَمَمتُـمُ، بِحُكـمِ اللَّيـالـي أنْ تُجِيبُـوا المُنـادِيَـا[3]
فقيَّدتُ من شَكوى، وأطلقتُ عَبرتي، وخَفَّضتُ من صَوتِي، هُنالِك، شاكِيَا
وأكبَـرتُ خَطبـاً أن أرى الصبـرَ بـالِيـاً، وَراءَ ظَـلامِ اللَّيـلِ، والنَّجـمَ ثـاوِيَـا
وإن عُطِّـلَ النـادِي بِـهِ مِـن حِـلاكُـمُ، وكـانَ علـى عهـدِ التَّفـاوُضِ حـالِيَـا
ومـا كـانَ أَحلى مُقتضى ذلـكَ الجَنى، وأَحسَـنَ هـاتِيـكَ المَـرامِـي مَـرامِيَـا
وأَنـدى مُحَيَّـا ذلـكَ العَصـرِ مَطلعـاً، وأَكـرَمَ نـادِي ذلـك الصَّحـبِ نـادِيَـا
زَمـانٌ تَـولَّـى بـالمَحَـاسِـنِ عـاطِـرٌ، تكـادُ لَيـالِيـهِ تَسيـلُ غَـوالِيَـا
تَقَضَّـى، وأَلقَـى بيـنَ جَنبَـيَّ لَـوعَـةً، أُبـاكـي بها، أُخـرى اللَّيـالـي، البَواكِيَـا
كـأنِّـيَ لَـمْ أَنـسَ إلـى اللَّهـوِ لَيلَـةً، ولَـمْ أَتَصَفَّـحْ صَفحَـةَ الـدَّهـرِ راضِيَـا
ولَـمْ أَتَلَـقَّ الـرِّيـحَ تَنـدى على الحَشـى، شَـذاءً، ولَـمْ أَطْـرَبْ إلـى الطيـرِ شـادِيَـا
وكانَت تَحايانا، على القُربِ والنَّوى، تَطِيـبُ علـى مَـرِّ اللَّيـالـي تَعـاطِيَـا
فَهَـلْ مِـن لِقـاءٍ مُعـرِضٍ، أو تَحِيَّـةٍ مَعَ الرَّكب يَغشى، أو مع الطيف سارِيَا!

---

(١) **الأشافي**: جمع الأشفى: المخرز أي الأداة التي يثقب بها.

(٢) **المرازي**: جمع المرزئة، أي النكبة أو الداهية العظمى.

(٣) **بالعدوتين**: مثنى العدوة: ضفة النهر ـ والعدوة هي أرض المغرب عند أهل الأندلس.

فهـا أنـا، والأرزاءُ تَقـرَعُ مَـرورَةً ... بصَـدري، وقَلبـاً بيـنَ جَنبَـيَّ حـانِيَـا[1]
أَحِـنُّ، إذا مـا عَسعَـسَ اللَّيـلُ، حَنَّـةً ... تُـذِيبُ الحَوايـا أو تَفُـضُّ التَّـراقِيَـا[2]
وأُرخِـصُ أعـلاقَ الـدُّمـوعِ صَبـابَـةً، ... وعَهـدي بـأعـلاقِ الـدُّمُـوعِ غَـوالِيَـا
فَمـا بِنـتُ أَيـكٍ، بـالعَـراءِ، مُـرِنَّـةٌ، ... تُنـادِي هَـدِيـلاً، قَـد أَضَلَّتـهُ نـائِيَـا
وتَنـدُبُ عَهـداً قَـد تَقَضَّـى بِـرامَـةٍ، ... ووَكـراً بـأكنـافِ المُشَقَّـرِ خـالِيَـا
بـأخفَـقَ أَحشـاءً، وأنبـا حَشِيَّـةً، ... وأَضـرَمَ أنفـاسـاً، وأنـدى مـآقِيَـا[3]
فَهَـلْ قـائِـلٌ عنِّـي لِـوادٍ بِـذِي الغَضـا: ... تَـأَرَّجْ مَـعَ الأمسـاءِ حُيِّيـتَ وادِيَـا
وعَلِّـلْ بِـرَيَّـا الـرَّنـدِ نَفسـاً عَليلَـةً، ... معَ الصُّبحِ يَندى، أو مع اللَّيلِ هادِيَا
فكَم شاقَني مِن منظَرٍ، فيكَ، رائِقٍ، ... هَزَزْتُ لـه من مِعطَفِ السُّكرِ صاحِيَا
وضـاحَكَنـي ثَغـرُ الأقـاحِ ومَبسِـمٌ، ... فلَـمْ أَدرِ أَيٌّ بـانِ ثَـمَّ أقـاحِيَـا[4]
ودُونَ حِلـى تِلـكَ الشَّبِيبَـةِ شَيبَـةٌ، ... جَلَبـتُ بِهـا غَمّـاً ولَـمْ أَكُ خـالِيَـا
وإنَّ أَجَـدَّ الـوَجـدِ وجـدٌ بـأشمَـطٍ، ... تَلَـدَّد يَستَقـرِي الـرُّسـومَ الخَـوالِيَـا
وتَهفُـو صَبـا نَجـدٍ بـهِ طِيـبَ نَفحَـةٍ، ... فيَلقـى صَبـا نَجـدٍ بمـا كـانَ لاقِيَـا
فَقُـل لِليـالـي الخِيـفِ: هـل مِـن مُعَـرَّجٍ ... عَلَينـا، وَلَـوْ طَيفـاً سُقِيـتَ لَيـالِيَـا
ورَدِّدْ بِهـاتِيـكَ الأبـاطِـحِ والـرُّبـى ... تَحِيَّـةَ صَـبٍّ لَيـسَ يَـرجُـو التَّـلاقِيَـا
فمـا أَستَسِيـغُ المـاءَ، يَعـذُبُ، ظـامِئـاً، ... وَلا أَستَطِيـبُ الظِّـلَّ، يَبـرُدُ، ضـاحِيَـا
ولَـولا أَمـانٍ عَلَّلَتنـي، علـى النَّـوى، ... بِلُقيـا ابـنِ زُهـرٍ مـا عَـرَفـتُ الأمـانِيَـا

---

(١) المروة: الحجارة. يصف ما أنزل الدهر به من البلايا فيقول بأن المصائب تقرع مروته أي تذيقه الآلام.

(٢) عسعس الليل: أظلم واشتدت حلكته ـ التراقي: جمع ترقوة: مقدم الحلق في أعلى الصدر حيث يترقى فيه النَّفس.

(٣) الحشية: الفراش المحشو ـ وقوله: أنبا حشية أي أنه لا يجد الراحة لنبو فراشها بها.

(٤) البان: شجر اللبان، واحدته البانة، تشبه بها الأعطاف اللينة في المرأة ـ الأقاحي: واحدته الأقحوانة وهي من الزهور التي تبشر بمقدم الربيع.

أخو المَجدِ لم يَعدُل عن النَّجدِ، نازِلاً … بأرضٍ، ولم يَشمَخ مع العِزِّ ثاوِيَا
تَلُوذُ بِرُكنَيْ حالِقٍ منهُ شاهِقٍ، … فتَغشى كَريماً حامِلاً عَنكَ حامِيَا(١)
يُساجِلُ طَوراً كَفُّه الغَيثَ غادِياً، … ويَحمِلُ طوراً دِرعُه اللَّيثَ عادِيَا
وتَبأى العُلَى منه بأبيضَ ماجِدٍ، … يُجرِّدُ دون المجدِ أبيضَ ماضِيَا(٢)
ويَحطِمُه ما بين دِرعٍ ومِغْفَرٍ، … وإنْ كانَ عَضبَ الشَّفرَتَين يمانِيَا
شَريفٌ لآباءٍ، نَمَتهُ، شَريفةٍ، … يَطُولُ العوالي بَسطَةً والمعاليَا
يُسابِقُ أنفاسَ الرِّياحِ سَماحةً؛ … ويَحمِلُ أوضاحَ الصَّباحِ مَساعيَا
إذا نحنُ أثنَينا عليها وجَدتُنا … نُحَلِّي صدوراً للعُلى، وهَوادِيَا(٣)
كفى قومَهُ عَلياءَ أن كان غايةً … لهم، وكفاهُ أنْ يكونوا مَباديَا
تَبوَّأَ من رَسم الوزارةِ رُتبةً … تمنَّى، مَراقِيها، النجومُ، مراقيَا
وأحرزَ في أُخرى الليالي فَضائلاً … تُعَدُّ، على حُكمِ المَعالي، أوالِيَا
مَكارِمُ نَستَضحِي بها من مُلِمَّةٍ … تَنُوبُ، ونَستَسقي الغمامَ غَواديَا
لَقِيتُ به، والليلُ رائِشُ نَبلِهِ، … أخا فَهَمٍ لا يُخطِئُ الرَّأيَ رامِيَا
وأروَعَ يَندى للطَّلاقةِ صَفحةً، … ويَقدَحُ زَنداً للنَّباهَةِ واريَا
فيَجمَعُ بين الماءِ أبيضَ سَلسلاً … يَسُحُّ، وبين الجمرِ أحمرَ حامِيَا
أَحِنُّ إليه حَنَّةَ النِّيبِ هَجَّرَتْ، … وقد ذكَرت ماءَ العُضاهِ صَوادِيَا(٤)
فيا ايُّها النَّائي مع النَّجمِ هِمَّةً، … ومَرقى خِلالٍ في الوِزارةِ سامِيَا
ترى فَرقَدَ الليلِ السُّرى منه ثالثاً، … وتَرعى به بَدرَ الدُّجُنَّةِ ثانيَا
حنانَيكَ في ناءٍ شَكَا مَسَّ لوعةٍ، … فسفَّرَ، من شوقٍ إليكَ، القَوافِيَا

---

(١) **تلوذ**: تلجأ، وتحتمي ـ **الحالق**: العالي ومثله الشاهق ـ **حاميا**: مدافعا.
(٢) **تبأى**: تزهو، تفخر ـ **الأبيض الماضي**: السيف القاطع.
(٣) **الهوادي**: الأعناق جمع الهادي.
(٤) **النيب**: النّوق المسنة جمع الناب ـ **الصوادي**: جمع الصادي العطش.

وحيًّا بها أذكى منَ الرَّوضِ نفحةً، وأرهَفَ من لَدْنِ النَّسيم حَواشيَا
وقد نَدَبَتْ، من حيثُ لم أدرِ، رُقعةً أُنَمِّقُ، أمْ دَمعاً أُرَقرِقُ جارِيَا
وإنكَ لَلعَذبُ الفُراتُ على الصَّدى، وإنْ بِنتَ، والبَرُّ الكريمُ أياديَا
شقيقُ النَّدى وابنُ النُّهى وأبو العُلا؛ وحَسبُكَ بَيتاً في المكارِمِ عاليَا

(٢٥٦)
وقَفْتُ أَنْدُبُ رسْماً

أَقوى مَحَلٌّ، مِن شبابِك،آهِلٌ، فوَقَفتُ أَندُبُ منهُ رَسماً عافِيَا[١]
مَثَلَ العِذارُ، هُناكَ، نُؤياً داثِراً، واسوَدّتِ الخِيلانُ فيه أثافِيَا[٢]

(١) **أقوى المكان**: أقفر من ساكنيه ـ **الأهل**: المأهول بالساكنين ـ **الرسم العافي**: الأثر الدارس.
(٢) **النؤي**: حوض يحفر حول الخباء ـ **الخيلان**: جمع الخال، وهو الشامة ـ **الأثافي**: جمع أثفية، حجر الموقد.

فهرس المحتويات

قافية الراء

قافية السين

قافية الصاد

قافية الضاد

قافية العين

قافية الفاء

قافية القاف

قافية الكاف

قافية اللام

قافية الميم

قافية النون